الفصل الثاني

منهجه في توحيد الأسماء والصفات

ويحتوي على أربعة مباحث :

المبحث الأول :توحيد الأسماء والصفات بين أهل السُنَّة والجماعة ومخالفيهم

المبحث الثاني : منهج سيد قطب في تقرير توحيد الأسماء والصفات .

المبحث الثالث : منهج سيد قطب في إثبات الأسماء الحسنى .

المبحث الرابع : منهج سيد قطب في إثبات الصفات .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول
توحيد الأسماء والصفات بين أهل السُّنَّة ومخالفيهم

المطلب الأول
المقصود بتوحيد الأسماء والصفات ومنهج أهل السُّنَّة فيه

أولًا : تعريفه:

التوحيد : جعل الشيء واحدًا ، والأسماء: جمع اسم ، وهو: العلم على الذات والصفات.

والصفات : جمع صفة ، وهي ما تقوم بالذات [(١)].

وتوحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، التي أثبتها لنفسه،أو أثبتها له الرسولﷺ ، على الوجه الذي يليق به سبحانه، ونفي ما نفاه عن نفسه سبحانه أو نفاه عنه رسول اللهﷺ [(٢)].

منهج أهل السُّنَّة والجماعة في الأسماء والصفات : " هوأن يثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ، وينفى عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسولهﷺ، إثباتًا من غير تمثيل ، وتنزيهًا من غير تعطيل ، على حد قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [(٣)].

" فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، نفيًا وإثباتًا ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه ، وقد عُلم أن

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ٢٤ ، وفتاوى اللجنة الدائمة، ٣/ ١١٦ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٤٠٣ ، ومدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٨ .. وفتح الباري لابن حجر ١/ ٥٢ . وأعلام السُّنَّة للحكمي مكتبة الرشد الرياض ط٤ عام ١٤١٦هـ ص ٥٧ .

(٣) سورة الشورى ، الآية ١١.

طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته لنفسه من الصفات من غير تكييف [١] ولا تمثيل [٢]، ومن غير تحريف [٣]، ولا تعطيل [٤].

فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد للإلحاد والتعطيل [٥].

(١) التكييف: هو حكاية كيفية الصفة، وأنها على هيئة كذا وكذا، أو السؤال عنها بكيف.

(٢) التمثيل: هو إثبات مثيل للشيء، والفرق بينه وبين التشبيه، أن التشبيه يقتضي المشابهة أو المساواة في أكثر الصفات، والتمثيل يقتضي المماثلة أو المساواة من كل وجه، وقد يطلق أحدهما على الآخر.

(٣) التحريف، التغيير، ويقصد به، تغيير النص لفظًا أو معنى.

(٤) التعطيل: نفي الصفات الإلهية أو إنكار قيامها بالذات، وهو مأخوذ من العطل الذي هو الفراغ والترك، وهذه التعريفات مستقاة من: شرح الواسطية لهراس ص ٢٠- ٢١، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن تيمية ص ٥٤- ٥٥.

(٥) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٧١٦، وشرح الواسطية لهراس ص ٢٠- ٢١، وأعلام السُّنَّة للحكمي ص٥٧- ٥٨.

obeikandl.com

المطلب الثاني
المخالفون لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات

المخالفون لأهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات طوائف عديدة ، خلاصة أقوالهم كما يأتي [1] :

الجهمية : وهم طائفتان :

الأولى : الغلاة منهم- ومعهم الباطنية والقرامطة- : وهم الذين يصفون الله بالسلوب المحضة ، فيسلبون عنه النقيضين ، فيقولون لا موجود ولا معدوم ، ولا حي ولا ميت ... وهكذا .

الثانية : الذين يثبتون ذاتًا مجردة عن الصفات ، أي يثبتون وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق ، فينفون الأسماء والصفات ، ويصفونه بالسلوب .

المعتزلة : وهم قسمان :

الأول : من ينفون الصفات ويثبتون الأسماء على أنها أعلام محضة تدل على الذات.

الثاني : من ينفون الصفات ، ويثبتون الأسماء على أنها بمعنى متعلقاتها ، فالسمع بمعنى المسموع والبصر بمعنى المبصر .. إلخ.

وحاصل مذهبهم نفي الصفات ، أما الأسماء فهي عندهم مترادفة لا تدل على صفة وإنما تدل على الذات فقط .

الأشاعرة : وهم يثبتون الأسماء ، أما الصفات فلهم فيها قولان :

الأول : إثبات سبع صفات – وهي التي يسمونها العقلية – وهي العلم والقدرة

---

(١) ينظر في ذلك : مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٠٧- ٢١٠- ٢٣٧- ٣١٢ والفرق بين الفرق للبغدادي ١٩٩، والملل والنحل للشهرستاني ي ١/ ٤٣- ٢٤- ٨٧- ٥٩- ٩٦- ١٠٤- ١٠٥ . ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ١١٣- ١١٧، وشرح الطحاوية ص ٥٧ وما بعدها ، والأسماء والصفات للأشقر ص ١٥٦ .

والإرادة والكلام والسمع والبصر والحياة ، ويسمونها أيضًا صفات المعاني.

الثاني: التفويض، وهو التصريح بعدم معرفة معناها وكيفياتها ، فهي مجهولة المعنى مجهولة الكيف .

٤- المشبهة الممثلة : وهم الذين غلوا في جانب الإثبات ، فمثلوا صفات الله بصفات خلقه فقالوا : لله يدان كأيدي المخلوقين ، وسمع كسمع المخلوقين ...الخ ، وهؤلاء جماعة من الشيعة الغالية [١]، ويلحق بهم الكرامية [٢][٣].

والملاحظ عند الفرق السابقة أنها قسمان :

قسم غلا في التنزيه حتى وقع في النفي والتعطيل ، وقسم غلا في الإثبات حتى وقع في التشبيه والتمثيل . فالنفاة أحسنوا في التنزيه ، وأساءوا في نفي المعاني الثابتة لله ، والمشبهة أحسنوا في الإثبات ، وأساءوا في التشبيه [٤].

أما أهل السُّنَّة فقد أخذوا الحسنين عن الفريقين وتركوا السيئتين فأثبتوا ونزهوا.

(١) وهم: الحكمية: أصحاب هشام بن الحكم. والجواليقية: أتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي ، واليونسية: أتباع يونس القمي والشيطانية : أتباع شيطان الطاق .

(٢) أتباع محمد بن كرام السجستاني .

(٣) الرسالة الصفدية لابن تيمية ص ٧١٦، وشرح الواسطية لهراس ص ٢٠- ٢١ ، وأعلام السُّنَّة للحكمي ، ص٥٧- ٥٨.

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٦٤ .

المبحث الثاني
منهج سيد قطب في تقرير توحيد الأسماء والصفات

توطئة :

قبل بيان منهج سيد قطب في تقرير الأسماء والصفات يجدر الإشارة إلى أن البعض أتهم سيدًا بمخالفة منهج السلف في باب الأسماء والصفات ، وأنه تبنى منهج الخلف القائم على نفي أو تأويل الصفات [١] ، بل صرح بعضهم أن سيدًا غلا في نفي الصفات كالجهمية [٢] ، وأدخله بعضهم في المعتزلة والأشاعرة [٣].

وكلهم يعتمدون على كلام عام أو خطأ جزيء في تفسيره لبعض الصفات خلافًا لما هو عند أهل السُّنَّة والجماعة ، ثم يطلقون الحكم في نسبته تارة إلى المعتزلة وتارة إلى الجهمية وتارة إلى الأشاعرة !! .

والقضايا التي استدلوا بها على نسبة سيد إلى غير منهج أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات سيأتي بيانها كل في موضعها من هذا البحث .

لكن الخلاصة التي يمكن أن نخرج بها من خلال استقراء منهج سيد في هذا الباب هي: أن سيدًا – رحمه الله – لم يتبنى منهج أي فرقة من الفرق المخالفة لأهل السُّنَّة والجماعة سواءً الجهمية أو الأشاعرة أو المعتزلة أو غيرهم ، وكونه وافق هذه الفرقة أو تلك في مسألة من المسائل لا يعني بالضرورة أنه ينتمي لهذه الفرقة ، أوأنه يتبنى منهجها في العقيدة .

بالإضافة إلى أن سيدًا – رحمه الله – نقد جميع الفرق الكلامية في منهج تعاملها مع الأسماء والصفات سواءً النفاة أو المؤولة أو المشبهة، و سواءً كانوا من متكلمي المسلمين أو من الفلاسفة على حدٍ سواء – كما سيأتي – وعمل على بيان منهج القرآن

---

(١) الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسُّنَّة ، تأليف / سليم الهلالي ، دار البصيرة الإسكندرية ، ب . ت ، ص ٢٠٨ .

(٢) أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب ، د/ ربيع المدخلي ، ص ١٧٤ .

(٣) المفسرون بين التأويل والإثبات للشيخ / محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، مؤسسة الرسالة – بيروت– ط١ –١٤٢٠هـ ، ٣/ ١٣٦٧ وما بعدها .

في تقرير الأسماء والصفات ، وتميزه عن مناهج المتكلمين والفلاسفة وغيرهم .

ومع هذا فسيد قطب – رحمه الله – بشر يخطئ ويصيب ، والعصمة لمن عصم الله من أنبيائه لهذا نجد لسيد أخطاء ومخالفة لما عليه أهل السُّنَّة في تفسير بعض الصفات، وهذا أمر بدهي عنده وعند غيره .

وفيما يأتي بيان وتجلية لمنهج سيد قطب في باب الأسماء والصفات.

obeikandl.com

المطلب الأول

بيان عناية الإسلام في تحديد التصور في الله وصفاته

ركز سيد قطب – رحمه الله – في كتاباته كثيرًا على بيان عناية الإسلام بأمر العقيدة عمومًا ، واهتم بتحديد التصور في الله تعالى وصفاته – سبحانه – وكذا بيان منهج القرآن في عرض الأسماء والصفات ومميزات هذا المنهج عن غيره من المناهج ، ويمكننا بيان ذلك فيما يأتي :

أولًا : بيان عناية الإسلام بتحديد التصور في الله وصفاته :

يقول سيد : "لقد جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات .. يختلط فيها الحق بالباطل ، والصحيح بالزائف ، والدين بالخرافة .. والضمير الإنساني تحت هذا الركام يتخبط في ظلمات وظنون .

وكان التيه الذي لا قرار فيه ولا يقين ولا نور، هو ذلك الذي يحيط بتصور البشرية لإلهها ، وصفاته وعلاقته بخلائقه ، ونوع الصلة بين الله والإنسان على وجه الخصوص ، ولم يكن مستطاعًا أن يستقر الضمير البشري على قرار في أمر هذا الكون، وفي أمر نفسه ، وفي منهج حياته ، قبل أن يستقر على قرار في أمر عقيدته وتصوره لإلهه وصفاته ... ومن ثم كانت عناية الإسلام الأولى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة ، وتحديد التصور الذي يستقر عليه الضمير في أمر الله وصفاته ، وعلاقته بالخلائق ، وعلاقة الخلائق به على وجه القطع واليقين .

ومن ثم كان التوحيد الكامل الخالص المجرد الشامل ، الذي لا تشوبه شائبة من قريب ولا من بعيد هو قاعدة التصور التي جاء بها الإسلام وظل يجلوها في الضمير ، ويتبع فيه كل هاجسة وكل شائبة حول حقيقة التوحيد ، حتى يخلصها من كل غبش .

كذلك قال الإسلام كلمة الفصل بمثل هذا الوضوح في صفات الله ، وبخاصةٍ

ما يتعلق منها بالربوبية المطلقة ، فقد كان معظم ذلك الركام في ذلك التيه ، متعلقًا بهذا الأمر، وبذلك ندرك ذلك الجهد المتطاول الذي بذله الإسلام لتقدير كلمة الفصل في ذات الله ، وصفاته ، وعلاقته بمخلوقاته ، من خلال النصوص القرآنية الكثيرة "[١]" وندرك الأهمية البالغة لوضوح ، صفة الله – سبحانه – في الضمير الإنساني لإنقاذه من ذلك الركام والضلال والتخبط[٢].

ثانيًا : بيان أساليب المنهج الإسلامي في عرض توحيد الأسماء والصفات :

يقول سيد : " إن التصور الإسلامي يقوم ابتداءً على تعريف الناس بربهم تعريفًا دقيقًا كاملًا شاملًا يعرفهم بذاته سبحانه ، ويعرفهم بصفاته ، ويعرفهم بخصائص الألوهية المتفردة ، وآثارها في الكون وفي الناس ، ويتم هذا التعريف على نطاق واسع جدًا في القرآن الكريم "[٣].

ويتم ذلك من خلال مجموعة من الأساليب القرآنية منها :

١ – التعريف بالله تعالى من خلال نبذ كل تصور ليس من عند الله :

يقول سيد : " يبدأ المنهج القرآني في التعريف بالله تعالى من نبذ كل ما تصوره" الفكر البشري "أو يتصوره – من عند نفسه – عن ذات الله – سبحانه – وخصائصه، وصفاته وأفعاله ، وكيفيات أفعاله ، وكيفيات تعلق مشيئته بالحوادث ..

إن معرفة الله – سبحانه – في التصور الإسلامي تبدأ من نبذ كل الصور التي انبثقت ابتداءً من تصورات البشر وأوهامهم عن ذات الله – سبحانه – وصفاته لتستقى مباشرة من تعريف الله لعباده بذاته وصفاته وخصائصه وأفعاله وكيفيات أفعاله ، وهي تتلقى من هذا المصدر وحده ، ولا تتلقى من مصدر آخر غيره ، ذلك أنه ليس لدى البشر مما يعرفونه شيء مثله – سبحانه – يعرفونه على مثاله ، أو يقيسون عليه ، ويقيسون أفعاله بأفعاله أو كيفيات أفعاله بكيفيات أفعاله، والله – سبحانه – ليس كمثله شيء مما خلق على الإطلاق ، ولا يملك الخيال البشري –

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢٣ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٨٦ ، وينظر أيضًا ٣/ ١٨٠٧ .
(٣) خصائص التصور الإسلامي ص ١٠١ بتصرف يسير .

مهما اجتهد – أن يعثر على شبيه له في صورة أو حال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[١]، ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٢]، ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[٣]، وبتحكيم هذه النصوص تسقط كل التصورات الوثنية أو الفلسفية أو غيرها[٤].

٢-تعريف الله نفسه لعباده بصفاته ذات الأثر في حياتهم ووجودهم: حيث يلمس بها مشاعرهم وقلوبهم،فيثير رجاءهم وطمعهم، وخوفهم وخشيتهم ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٥] "[٦]، وقوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[٧]، حيث يواجهه القلب البشري بهذه المجموعة من صفات الله – سبحانه – فيها تعريف به ، مع الإيحاء الأسر بالخلوص له نتيجة الشعور بحقيقة الألوهية المتفردة "[٨].

وعموما " فالمنهج القرآني يزحم الشعور الإنساني بحقيقة الألوهية ، ويأخذ على النفس أقطارها جميعًا بهذه الحقيقة ، وهو يتحدث عن ذات الله – سبحانه – وصفاته، وآثار قدرته وإبداعه "[٩].

---

(١) سورة الشورى الآية ١١ .
(٢) سورة النحل ، الآية ٦٠ .
(٣) سورة النحل ، الآية ٧٤ .
(٤) مقومات التصور الإسلامي ، ص ١٩٩- ٢٠٠ بتصرف .
(٥) سورة غافر الآيات ١ – ٣ .
(٦) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٦٨ .
(٧) سورة الحديد الآيات ١-٦ .
(٨) في ظلال القرآن ٦- ٣٤٧٦ .
(٩) مقومات التصور الإسلامي – سيد قطب – ص ١٩٠ .

٣- تقرير صفات الله وأسمائه الحسنى من خلال بناء التصور الإيماني الكوني: أي من خلال عرض آثار أسماء الله وصفاته الحسنى في الكون والحياة ، إيجادًا ورعاية وتدبيرًا وإحاطة [١].

" وهكذا يمضي المنهج القرآني في توحيد الذات الإلهية ، وفي تفردها بصفاتها كذلك ، والقرآن كله معرض لهذا التوحيد والتفرد ، ولا نملك المضي في الاستشهاد به على كل صفة من صفات الله لكن نقتصر على مواضع التركيز في هذا المنهج .

حيث ركز المنهج القرآني على خصائص بعينها أراد الله سبحانه أن يبرزها ، وهو يعرف عباده بذاته وصفاته ومن هذه الخصائص : خصائص الخلق والإحياء، والرزق والكفالة ، والتدبير والقوامة والعلم والإحاطة والهيمنة ، والسلطان ، والبعث والجزاء .. "[٢].

٤ – بيان عجز البشر عن إدراك ذات الله سبحانه أو إدراك كيفيات أفعاله :

" يقرر المنهج القرآني عجز البشر عن إدراك ذات الله سبحانه أو إدراك كيفيات أفعاله في الكون وفيهم، ومع ذلك يقرر أيضًا أن الله سبحانه قريب منهم، سميع لهم، مجيب رحيم ودود ، فعجزهم ذلك لا يحرمهم الصلة بربهم ، فهم يجدون في فطرتهم، ويرون آثار قدرته في الكون وفيهم " [٣].

ثالثا: مميزات وخصائص التصور الإسلامي عن ذات الله وأسمائه وصفاته :

أهتم سيد قطب كثيرًا بإبراز خصائص ومميزات المنهج الإسلامي المستقى من القرآن الكريم ، فيما يتعلق بذات الله- سبحانه- وأسمائه وأفعاله ، مقارنًا ذلك بما في المناهج الأخرى التي لم تستمد من القرآن الكريم ، ومن أهم خصائص المنهج القرآني التي ذكرها – سيد – ما يأتي :

الكمال والصدق : يقول سيد: " والتصور الإسلامي لله ، هو أكمل تصور،

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٨٣ وما بعدها .
(٢) مقومات التصور الإسلامي ص ٢٤٧ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٨٠ بتصرف يسير .

وأصدقه،لأنه وصف الله – سبحانه – لنفسه "[١].

الدقة والوسع : يقول سيد: " إن التصور الإسلامي عن الذات الإلهية ، وصفاتها العلوية وآثار هذه الصفات في الكون وفي الحياة الإنسانية ، هو أوسع وأدق وأكمل من كل تصور سابق في الديانات الإلهية ، وهذا يتفق مع طبيعة الرسالة ومهمتها الأخيرة ، ومع الرشد البشري الذي جاءت هذه الرسالة لتخاطبه وتوجهه ، وتنشئ فيه هذا التصور الشامل الكامل بكل مقتضياته وفروعه وآثاره "[٢].

الجمال والتناسق : يقول سيد: " إن التصور الإسلامي لذات الله – سبحانه – وصفاته وعلاقته بالخلق وعلاقة الخلق به .. إن هذا التصور بكل مقوماته . جميل جمالًا أخَّاذًا ، سواءً في التعبير القرآني عن الحقائق التي يقوم عليها ، أو في المشهد الفريد الذي يرسمه هذا التعبير لهذه المقومات في تناسقها الرائع .

إن جمال هذا التصور يتمثل – أول ما يتمثل – في كماله ، في تكامله وتناسقه ، إنه ليس مجموعة قضايا منفصلة ، ولا مجموعة حقائق منعزلة ، إن كل حقيقة وكل مقوم فيها يؤدي دوره في " الكل " المتكامل " المتناسق "[٣].

الشمول في مقوماته وفي خطابه للكينونة البشرية : يقول سيد: " والمنهج القرآني يزحم الشعور الإنساني بحقيقة الألوهية ،ويأخذ على النفس أقطارها جميعًا لهذه الحقيقة ، وهو يتحدث عن ذات الله – سبحانه – وصفاته ، وآثار قدرته وإبداعه ، فتتمثل في الضمير البشري تلك الحقيقة ، حقيقة الذات الخالقة لكل شيء ، المالكة لكل شيء ، المحيطة بكل شيء ، المهيمنة على كل شيء ، المدبرة لكل شيء ، المؤثرة في كل شيء ، وتشغل مشاعر الإنسان وحسه ، وضميره وعقله ، وكيانه كله ، بهذه الحقيقة وخصائصها ، وقدرتها وقوتها ، ورحمتها ورعايتها ، وجلالها ومهابتها ، وأنسها وقربها وإحاطتها بالكون والناس في كل وضع وفي كل حال ...

وهذا هو الشعور الذي يخرج به الإنسان من قراءة القرآن الكريم ، الشعور بوجود الله – سبحانه – الذي لا يماثله وجود آخر وحضوره الذي لا يزايل الإنسان

(١) في ظلال القرآن ١/ ٣٧٩ .
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٥٨٤ .
(٣) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٤١ .

لحظةً من ليلٍ أو نهارٍ في أي وضعٍ وفي أي حال .

كما أنه - أي المنهج القرآني- يوقع على أوتار النفس البشرية جميعًا ، ويدخل عليها من منافذها كلِها ، يوقع على أوتار الخوف والحذر ، والرجاء والطمأنينة ، والمهابة والجلال والأنس والود... والقهر والجبروت ، والرأفة والرحمة ، وعلى أوتار النغمة والغِراب ، والنعمة والعطاء وعلى أوتار المغايرة الكاملة بين الألوهية والعبودية مع الأنس والقرب بين الله وعباده ، ويخاطب وجدان الجمال بما في الكون والنفس من ألوان وأطياف ، كما يخاطب وجدان المجهول بالغيب وما وراء الأستار من قدر الله .

ويكفل بهذا التنوع الشامل الفريد أن يخاطب الكينونة البشرية بجملتها .. خطابًا متفردًا يشهد بذاته على أن هذا المنهج من صنع الله لا يقدر على فعله سواه .

ويشعر المتدبر لهذا القرآن أن هذا موضوعه ، وأن هذه هي غايته ، وكل آية فيه، وكل فقرة ، وكل توجيه فيه وكل تعليم - هو في الحقيقة - جانب من جوانب التعريف بالله ، تعريف الناس بحقيقة ذاته - سبحانه - وحقيقة صفاته على قدر ما يعلم سبحانه أنهم يدركون منها ويطيقون " [١].

الإيجابية والفاعلية : يقول سيد: " يقوم تصور الإله عند الفلاسفة على أنه لا يفكر في شيء من مخلوقاته لأنه تعالى أن يفكر في غير ذاته ، ويحسبون أن هذا تنزيهًا لله وتعظيمًا له ، بينما هو قطع للصلة بينه وبين الوجود الذي خلقه .

أما التصور الإسلامي فهو تصور إيجابي لا سلبي ، يقوم على أساس أن الله سبحانه قائم على كل شيء ، وأن كل شيء قائم في وجوده على إرادة الله وتدبيره، .. ومن ثم يظل ضمير المسلم ، وحياته ووجوده ، ووجود كل شيء من حوله مرتبطًا بالله الواحد ، الذي يصرف الأمور وفق حكمةٍوتدبير " [٢]، " فالتوحيد الإسلامي ليس مجرد توحيد ذات الله ، وإنما هو توحيدٌ إيجابي ، توحيد الفاعلية والتأثير في الكون ، وتوحيد السلطان والهيمنة أيضًا ، ومتى شعرت النفس أن لله ما في السموات وما في الأرض ، وأنه بكل شيء محيط ، لا يند شيء عن علمه ولا عن

(١) مقومات التصور الإسلامي ، ص ١٩٠ - ١٩٢ بتصرف يسير .
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٢٨٧بتصرف يسير .

سلطانه ، كان هذا باعثها القوي إلى أفراد الله سبحانه بالألوهية والعبادة ، ومحاولة إرضائه باتباع منهجه ، وطاعة أمره .

بخلاف الفلسفات التي تقرر وحدانية الله ولكنها تنفي عن الإرادة أو العلم أو السلطان أو الملك ، إلى آخر ذلك الركام المسمى " فلسفات " ، ومن ثم كان التصور الفلسفي سلبيًا لا فاعلية له في حياة الناس، ولا أثر له في سلوكهم وأخلاقهم ، ولا قيمة له في مشاعرهم وواقعهم " [١].

رابعًا : أثر استشعار المسلم لصفات الله تعالى من خلال المنهج القرآني :

أشار سيد - رحمه الله - عند استعراضه لبعض الآيات التي فيها ذكرٌ لبعض أسماء الله وصفاته إلى أثر تلك الأسماء والصفات في حياة المسلم ، وإلى أهمية استشعار إيجابية وفاعلية ومعاني الأسماء والصفات الإلهية وآثارها في الكون والحياة . ومن هذه الآثار :

١- أن استشعار إيجابية صفات الله تعالى وفاعليتها يجعل الإنسان يعيش هادئ النفس ، مطمئن السريرة ، قرير الضمير ، يرى يد الله في كل حادث وفي كل أمر [٢].

٢- أن صحة تصور الإنسان لإلهه يفيض على القلب السلام ، فيعيش الإنسان في ثقة واطمئنان ورضى واستقرار ، يعيش سلامًا مع النفس والضمير، ومع العقل والمنطق ، ومع الناس والوجود ، فلا حيرة ولا قلق ولا شرود ولا ضلال [٣].

٣ - أن استشعار صفات الله تعالى كما جاءت في التصور الإسلامي تجعل القلب البشري يعيش في حساسية مرهفة ، وتوفز دائم ، وخشية وارتقاب ، وطمع ورجاء، ويمضي في الحياة معلقًا في كل حركة وكل خالجة بالله ، شاعرًا بقدرته وهيمنته ، شاعرًا بعلمه ورقابته ، شاعرًا بقهره وجبروته ، شاعرًا برحمته

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٧٦٤ بتصرف.
(٢) المصدر السابق ١/ ١٣ .
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠٧ بتصرف يسير .

وفضله ، شاعرًا بقربه منه في كل حال[١].

٤ – أن تذكير القرآن للناس كثيرًا بصفات الله تعالى الغرض منه أن يتأدبوا منها بما يطيقون [٢]. ويتطلعون للاستمداد منها بقدر طاقتهم كي يحققوا إنسانيتهم العليا، ويصبحوا أهلا لتكريم الله وللخلافة في الأرض ، وكي يتأهلوا للحياة الرفيعة ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [٣].

٥– أن استشعار معاني كل اسم وكل صفة على حدة يزرع في نفس المسلم أثرًا .

وقد ذكر سيد – رحمه الله – أمثلة للآثار التي تنتج من استشعار معاني أسماء الله – تعالى – وصفاته ومن ذلك :

أ – استشعار" وحدانية الله " يجعل المسلم يتجه وجهة واحدة يستقر عليها قلبه ، فلا تتفرق به السبل، ولا تتعدد به القبل ، ولا يطارده إلهٌ من هنا وإلهٌ من هنا – كما كان في الوثنية والجاهلية .. إنما هو إلهٌ واحدٌ يتجه إليه في ثقة وطمأنينة .

ويتقرر في ضمير المؤمن وحدانية الاعتقاد ، ووحدانية العبادة ، ووحدانية الاتجاه، ووحدانية الفاعلية ، من مبدأ الخلق إلى منتهاه ، ويقوم على هذه الوحدانية منهج كامل في التفكير والشعور والسلوك على أساس وحدانية الإله.

ب – استشعار " قوة الله وقدرته وعزته وقهره " يجعل المؤمن في أمن من كل قوة زائفة ، لا يخاف أحدًا أو شيئًا غير الله ، لأنه يعبد الله القوي القادر العزيز القاهر .

ج – استشعار " عدل الله وحكمته " يجعل المؤمن يأوي إلى ركن شديدٍ ، ينال فيه العدل والرعاية والأمان .

د – استشعار أنه سبحانه " ربٌّ رحيمٌ ودودٌ ، منعمٌ وهابٌ ، غافرٌ للذنب ، وقابلٌ للتوب ، مجيبٌ للدعاء كاشفٌ للسوء .. يجعل المسلم يعيش في كنفه سبحانه آمنٌ آنسٌ ، سالمٌ غانمٌ مرحومٌ إذا ضعف ، مغفورٌ له متى تاب " [٤].

---

(١) المصدر السابق ٦ / ٣٥٨٤ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٠٨ .
(٣) المصدر السابق ٦/ ٣٦٥٧ .
(٤) في ظلال القرآن ١/ ٢٠٧ ، ٦/ ٣٥٣٢ .

هـ - شعور المؤمن بأن الله وحده هو " المالك لما في السموات وما في الأرض " كفيلٌ بأن يطامن من حدة الشره والطمع ، وحدة الشح والحرص ، وحدة التكالب المسعور ، ويسكب في النفس القناعة والرضى بما يحصل من الرزق ، والسماحة والجود بالموجود ، وأن يفيض على القلب الطمأنينة والقرار ، في الوجدان والحرمان سواء ، فلا تذهب النفس حسرات على فائتٍ أو ضائع ، ولا يتحرق القلب سعاراً على المرموق المطلوب[١].

و - وشعور المؤمن بأن الله " يعلم ما بين يديه وما خلفه " ، شعوره بعلم الله الشامل والمحيط من شأنه أن يحدث في النفس رجة وهزة ، وتقف النفس عارية في كل لحظة أمام بارئها الذي يعلم ما بين يديها وما خلفها ، يعلم ما تضمر علمه بما تجهر ، ويعلم ما تعلم علمه بما تجهل، ويعلم ما يحيط بها من ماضٍ وآتٍ مما لا تعلمه هي ولا تدريه .. شعور النفس بهذا خليق بأن يحدث فيها هزةً الذي يقف عريانًا بكل ما في سريرته أمام الديان ، كما أنه خليق بأن يسكب في القلب الاستسلام لمن يعرف ظاهر كل شيء وخافيه ، وبالتالي تستيقظ مراقبة الله في السر والعلن في ضمير المؤمن [٢].

ز - شعور المؤمن بأن الله " رحمن رحيم " ينشئ في حسه وفي حياته وفي خلقه آثاراً عميقة يصعب تقصيها ومنها :

- أن الشعور بحقيقة الرحمة الإلهية يسكب في قلب المؤمن الطمأنينة إلى ربه - حتى وهو يمر بفترات الابتلاء بالضراء التي تزيغ فيها القلوب والأبصار، فهو يستيقن أن الرحمة وراء كل لمحة وفي كل حالة وكل وضع ، وأن ربه لا يعرضه للابتلاء لأنه تخلى عنه أو طرده من رحمته ، فإن الله لا يطرد من رحمته أحدًا يرجوها، إنما يطرد الناس أنفسهم من هذه الرحمة حين يكفرون بالله ، ويرفضون رحمته ويبعدون عنها !

وهذه الطمأنينة إلى رحمة الله تملأ القلب بالثبات والصبر، وبالرجاء والأمل ، وبالهدوء والراحة ، فهو في كنفٍ ودودٍ ، يستروح ظلاله .

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٨٨ ، ٦/ ٣٥٣٣ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٨٩ ، ٦/ ٣٥٣٢ .

- والشعور بهذه الحقيقة يستجيش في حس المؤمن الحياء من الله ، فإن الطمع في المغفرة والرحمة لا يجرئ على المعصية - كما يتوهم البعض - إنما يستجيش الحياء من الله الغفور الرحيم ، والقلب الذي تجرئه الرحمة على المعصية هو قلب لم يتذوق حلاوة الإيمان الحقيقية ، لذلك لا أستطيع أن أفهم أو أسلم ما يجري على ألسنة بعض المتصوفة من أنهم يلجون في الذنب ليتذوقوا حلاوة الحلم ، أو المغفرة ، أو الرحمة ، إن هذا ليس منطق الفطرة السوية في مقابلة الرحمة الإلهية ! .

- وكذلك فإن الشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو يؤثر تأثيرًا قويًا في خلق المؤمن وهو يعلم أنه مأمورٌ أن يتخلق بأخلاق الله - سبحانه - وهو يرى نفسه مغمورًا برحمة الله مع تقصيره وذنبه وخطئه فيعلمه ذلك كله كيف يرحم ، وكيف يعفو وكيف يغفر" .[1]

- " وهكذا يمضي المسلم مع صفات ربه التي يعرفه بها الإسلام ، فيجد في كل صفة ما يؤنس قلبه وما يطمئن روحه ، وما يضمن معه الحماية والوقاية والعطف والرحمة والعزة والمنعة والاستقرار والسلام .." [2].

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٥٢ ، ٦/ ٣٥٣٣ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٠٧ ، وينظر أيضا في أثر الإيمان بالأسماء والصفات ٥/ ٣١٦٣ ، ومقومات التصور الإسلامي ص ٢٩٢ ، وخصائص التصور الإسلامي ص ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٥٧ .

المطلب الثاني

أسس توحيد الأسماء والصفات وموقف سيد قطب منها

أولًا: أسس توحيد الأسماء والصفات عند أهل السُّنَّة والجماعة:

يقوم توحيد الأسماء والصفات عند أهل السُّنَّة والجماعة على ثلاثة أسس، من جاء بها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ج والسلف الصالح، ومن خالفها فقد ضل، وهذه الأسس هي:

١ - تنزيه الله - عز وجل - عن مشابهة الخلق:

وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[١]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٢]، وقوله ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٣].

٢ - الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسُّنَّة وعدم التعرض لنفيها:

ويدل على هذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٣ - قطع الطمع عن إدراك الكيفية:

ويدل على هذا الأصل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[٤]، أي: لا تحيط علومهم بذاته ولا صفاته ولا بعلمه، وذلك لأن معرفة كيفية الصفات متوقف على إدراك كيفية الذات، وإدراك كيفية ذات الله مستحيلة، وبالتالي فالواجب عدم التعرض للكيفيات سواء كيفيات ذات الله أو صفاته أو أفعاله وعدم الخوض

(١) سورة الشورى، الآية ١١.
(٢) سورة الإخلاص، الآية ٤.
(٣) سورة النحل، الآية ٧٤.
(٤) سورة طه، الآية ١١٠.

فيها، والوقوف عند حدود الشرع في هذا الباب [١].

ثانيًا: موقف سيد قطب من أسس ومقومات توحيد الأسماء والصفات:

يمكن بيان موقف سيد قطب من أسس ومقومات توحيد الأسماء والصفات في ما يأتي :

الأساس الأول : تنزيه الله - عزَّ وجلَّ - عن مشابهة الخلق :

هناك العديد من النصوص لسيد قطب في تقرير هذا الأصل - تنزيه الله عز وجل عن مشابهة الخلق- منها :

في معرض نقاشه لفكرة التثليث عند النصارى يقول : " والله - سبحانه- تعالى عن الشركة وتعالى عن المشابهة ، ومقتضى كونه خالقًا يستتبع.. بذاته.. أن يكون غير الخلق ، وما يملك إدراك أن يتصور إلا هذا التغاير بين الخالق والخلق.. وإلى هذا يشير النص القرآني ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾[٢] " [٣]، " ويشهد بهذا وحدة الناموس ، ووحدة الخلق ، ووحدة الطريقة ، ويشهد بذلك العقل البشري ذاته ، فالقضية في حدود إدراكه ، فالعقل البشري لا يتصور خالقًا يشبه مخلوقاته"[٤]، " ولهذا عني الإسلام عناية بالغة بتقرير حقيقة وحدانية الله سبحانه ، وحدانية لا تتلبس بشبهةِ شركٍ أو مشابهةٍ في صورة من الصور ، عني بتقرير أن الله - سبحانه- ليس كمثله شيء ، فلا يشتركُ معه شيء في ماهية ولا صفة ولا خاصية " [٥].

ويقول أيضًا : " وتنفرد الذات الإلهية بخصائص لا يشاركها البشر في شيء منها ولو كان هذا البشر محمدًا رسول الله وحبيبه ومصطفاه - عليه صلوات الله وسلامه- " [٦]، " وليس بعد هذا تنزيه وتجريد لذات الله - سبحانه - وخصائصه عن ذوات العبيد " [٧].

---

(١) انظر فتح القدير للشوكاني ، المكتبة العلمية - بيروت - ط عام ١٤١٥هـ ، ٣/ ٤٨١ ، و " منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، طبعة الجامعة الإسلامية عام ١٤٠١هـ ، ص ٣ وما بعدها بتصرف .

(٢) سورة النساء ،الآية ١٧١ .

(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٨١٦ .

(٤) المصدر السابق ٢/ ٨١٧ .

(٥) المصدر السابق ٢/ ٨١٨ .

(٦) المصدر السابق ٣/ ١٤١٠ .

(٧) المصدر السابق ٢/ ١١١١.

ويقول أيضا : " ثم تفرد هو – سبحانه – دون خلقه جميعًا ، فليس هناك من شيء يماثله – سبحانه وتعالى –: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ ، والفطرة تؤمن بهذا بداهة، فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه " (١) ، " فالله تعالى ليس كمثله شيء ، ومن ثم يرتفع كل شبهٍ من الخصائص التي تتميز بها حياة الأشياء "(٢).

ويقول في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (٣)، " أي لم يوجد له مماثل أو مكافئ لا في حقيقة الوجود ، ولا في حقيقة الفاعلية ، ولا في أي صفة من الصفات الذاتية ، وهذا يتحقق بأنه ﴿ أَحَدٌ ﴾ " (٤).

٥- و يقول: " إن الله سبحانه ذات واحدة، متفردة الصفات لا نظير لها ولا شبيه :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (٥).

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٦).

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٧).

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (٨).

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ (٩). (١٠)" .

" وهكذا يمضي المنهج القرآني في توحيد الذات الإلهية ، وفي تفردها بصفاتها كذلك ، والقرآن كله معرض لهذا التوحيد والتفرد ، فلا نملك نحن المضي في

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٣١٤٦ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٨٧ .
(٣) سورة الإخلاص ، الآية ٤ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٤٠٠٤ .
(٥) سورة الإخلاص ، الآيات١- ٤ .
(٦) سورة النحل ، الآية ٦٠ .
(٧) سورة النحل ، الآية ٧٤ .
(٨) سورة الشورى ، الآية ١١ .
(٩) سورة مريم ، الآية ٦٥ .
(١٠) مقومات التصور الإسلامي ص٢٤٤ ، وخصائص التصور الإسلامي ص ١٩٥ .

الاستشهاد به على كل صفة من صفات الله سبحانه " [١]. فسيد- رحمه الله - يؤكد فيما سبق على تنزيه الله سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقين

وهناك نصوص أخرى أيضًا في تنزيه الله عمَّا لا يليق به سبحانه من الصفات والأحوال مثل :

تنزهه سبحانه عن الولد والصاحبة [٢]، وتنزهه عن السِنَة والنوم [٣]، وتنزهه سبحانه عما لا يليق بألوهية عمومًا حيث يقول سيد - رحمه الله - : " فنحن على هُدَىً من الله ونور، نعرف طريقنا جيدًا، ونسير فيها على بصر وإدراك ومعرفة، لا نخبط ولا نتحسس ولا نحدس، فهو اليقين البصير المستنير، ننزه الله - سبحانه- عما لا يليق بألوهيته، وننفصل وننعزل ونتميز عن الذين يشركون به " [٤].

الأساس الثاني: الإيمان بالصفات الثابتة وعدم التعرض لنفيها أو تأويلها:

وهذا هو الأصل الثاني عند أهل السُّنَّة والجماعة بعد التنزيه المطلق لله سبحانه، حيث يؤمنون بما ورد من أسماء الله وصفاته في الكتاب والسُّنَّة، ويثبتونها على الوجه اللائق به - سبحانه - دون التعرض لنفيها . وقد مر معنا أن النفي على مراتب وأقسام :

* منها نفي الأسماء والصفات وتعطيل الذات عنها، كما فعل غلاة الجهمية .

* ومنها نفي الصفات مع إثبات الأسماء على أنها أعلام محصنة تدل على الذات، كقول غلاة المعتزلة .

* ومنها نفي معاني الصفات وتأويل حقيقتها التي يدل عليها لفظ الصفة كقول المعتزلة سميع بلا سمع

* ومنها نفي بعض الصفات وإثبات البعض الآخر كما هو الحال عند بعض الأشاعرة .

---

(١) مقومات التصور ص ٢٤٧ .
(٢) في ظلال القرآن ١/ ١٦٠، ٣/ ١٨٠٦ .
(٣) المصدر السابق، ١/ ٢٨٧، ٦/ ٣٦٦٥ .
(٤) في ظلال القرآن، ٤/ ٢٠٣٤.

ومن خلال استقراء كلام سيد – رحمه الله – في هذا الباب نجد أنه يثبت الأسماء والصفات لله سبحانه وتعالى .. وإن كان له كلام موهم أو تفسير لبعض الصفات خلافًا لتفسير أهل السُّنَّة والجماعة لها .. كما سيأتي إيضاحه – عند استعراض موقفه من كل صفة ، إلا أنه من حيث الأصل يثبت ما ورد به الشرع من الصفات الإلهية على وجهها دون التعرض لنفيها ، ويمكن بيان موقفه من الإيمان بالصفات وإثباتها ونقده للنفاة وأهل التأويل فيما يأتي :

أولًا: موقف سيد قطب من إثبات الصفات وعدم التعرض لها بالنفي :

١ – يقررسيد – رحمه الله – أن الصفات الإلهية متعلقة بالذات، وأنها قديمة قدم الذات فيقول : " إن الله يمنح العباد من رعايته ، ويفيض عليهم من رحمته ، ويغمرهم بسابغ فضلة ... لأن هذه صفاته المتعلقة بذاته ، لا لحاجته إليهم " [١].

وفي ظلال قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [٢] ، يقول: " ولن يكون لأن الله لم يرده ابتداءً .. إنما هو فرض جدلي لتقرير حقيقة مجردة ، هي أن كل ما يتعلق بذات الله – سبحانه – قديمٌ لا حادث ، وباقٍ غيرُ فانٍ ... لأنه يتعلق بالذات الأزلية الباقية " [٣].

٢ – يثبت – رحمه الله – الصفات بمعانيها الدالة عليها وما تتضمنه : فيقرر أن الله تعالى سميعٌ يسمع القول، بصيرٌ يرى ، عليمٌ يعلم ما في القلوب والأفئدة، رحيمٌ استغرقت رحمته كل شيء.. وهكذا، خلافًا لمن نفى الصفة أو معناها من المخالفين لأهل السُّنَّة .

يقول - رحمه الله – : " ومع أنه ليس كمثله شيء ، فإن الصلة بينه وبين ما خلق ليست منقطعة لهذا الاختلاف الكامل ، فهو يسمع ويبصر وهو السميع البصير ، ثم يحكم حكم السميع البصير" [٤]. ويقول أيضًا : " إن لله سبحانه صفاته أو أسماءه الحسنى ، ولكن البشر لا يملكون إدراك " كيفية " هذه الصفات ، فهو سبحانه

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٩٣٧ بتصرف . .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية ١٧ .
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٧١- ٢٣٧٢ .
(٤) المصدر السابق ٤/ ٣١٤٦ .

سميع يسمع ، بصير يرى ،عليم يعلم ، ولكن البشر لا يدركون كيفية شيء من ذلك بالقياس إليه – سبحانه –، فالله ليس كمثله شيء "[١].

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾

ويقول أيضًا مقدمة سورة الإسراء : " والسياق ينتقل في آية الافتتاح من صيغة التسبيح لله ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ إلى صيغة التقرير من الله ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ إلى صيغة الوصف لله ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ، وفقًا لدقائق الدلالات التعبيرية بميزان دقيق حساس ، فالتسبيح يرتفع موجهًا إلى ذات الله سبحانه ، وتقرير القصد من الإسراء يجيء منه تعالى نصًا ، والوصف بالسمع والبصر يجيء في صورة الخبر الثابت ذاته الإلهية ، وتجتمع هذه الصيغ المختلفة في الآية الواحدة لتؤدي دلالاتها بدقة كاملة ". ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾يسمع ويرى كل ما لطف ودق وخفي على الأسماع والأبصار من اللطائف والأسرار"[٢].

ويقول أيضًا : " إن هناك فارقًا بين الإنسان الذي يرى أن إلهه هو " الطبيعة " الخرساء الصماء ... والإنسان الذي يعرف أن إلهه " الله " الحي الذي لا يموت، الصمد المقصود في الحاجات الرقيب الذي لا يغفل ، الحسيب الذي لا ينسى العادل الذي لا يظلم ، الرحيم الذي لا يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، إلى آخر صفات الله وأسمائه الحسنى "[٣].

وينقل عن أبي الحسن الندوي كلامًا حول أثر الإسلام في تغيير حياة العرب ذلك التغيير ، ويرجع ذلك إلى أنهم : " آمنوا بالله الذي له الأسماء الحسنى ، والمثل الأعلى، آمنوا برب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، الملك القدوس، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر، الخالق ، البارئ ، المصور، العزيز، الحكيم ، الغفور، الودود ، الرؤوف، الرحيم ، له الخلق والأمر، بيده

---

(١) مقومات التصور الإسلامي ص ٢٧٩ .

(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢١٢ ، وينظر أيضًا : ١/ ٢٦٥ ، ٢٩٢ ، ٤٦٨ ، ٦/ ٣٥٠٦ .

(٣) خصائص التصور الإسلامي ، ص ١٥٧

ملكوت كل شيء، يجير ولا يجارعليه، إلى آخر ما جاء في القرآن من وصفه "[١].

٣ - ينتقد منهج المعتزلة في نفيهم للصفات: بناءً على ما توهموه من أن إثبات الصفات يؤدي إلى إثبات قديمين، فيقول: "ولقد أبعد المعتزلة وهم ينفون الصفات عن الله - سبحانه - لئلا يتعدد القدماء لأن هذه الصفات إن كانت قديمة كذات الله تعدد القدماء!.

فهذا قياس ذهني بحث لا يتعامل مع الواقع، ولا مع المنهج القرآني، فالله سبحانه قد وصف نفسه بصفاته، ومن هذه الصفات ما يقرر وحدانيته، وأزليته وأبديته وإحاطته - سبحانه - بكل شيء إلى آخر أسمائه الحسنى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣].

إنما تابع المعتزلة منطق "أرسطو "الذهني وتجريدات "أفلوطين" المهوّمة، ولم يتابعوا المنهج الإسلامي الأصيل، وكذلك فعلوا فيما عرف في تاريخ الفكر الإسلامي بعنوان "فتنة خلق القرآن" لئلا يكون القرآن قديماً فيتعدد القدماء، والبحث على هذا النحو بجملته غريب على الفكر الإسلامي، وعلى المنهج الإسلامي، فالقرآن وحي الله وكلامه وكفى.."[٤].

٤ - وأخيرًا يقرر - رحمه الله - "أن الإيمان بما وصف الله به نفسه من الثوابت في العقيدة الإسلامية والتي لا يصح الإيمان إلا بها فيقول: "وكل ما يتعلق بالحقيقة

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٦٣: وكلامه الندوي ي كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين دار القلم الكويت - ط٢ عام ١٤٠٠، ص ٧١، وينظر أيضًا في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٦٨.

(٢) سورة الحديد الآية ١- ٣.

(٣) سورة الحشر الآية ٢٢- ٢٤.

(٤) مقومات التصور الإسلامي - سيد قطب - ص ٢٧٨.

الإلهية وهي قاعدة التصور الإسلامي ثابت الحقيقة ، وثابت المفهوم أيضًا.. حقيقة وجود الله ، وسرمديته ، ووحدانيته بكل إشعاعاتها – وقدرته وهيمنته ، وتدبيره لأمر الخلق ،وطلاقة مشيئته ، إلى آخر صفات الله الفاعلة في الكون والحياة والناس.

* وحقيقة أن الكون كله – أشياءه وأحياءه – من خلق الله وإبداعه .

* وحقيقة العبودية لله ، عبودية الأشياء والأحياء ..

* وحقيقة أن الإيمان بالله – بصفته التي وصف بها نفسه – وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره شرط لصحة الأعمال وقبولها و إلا فهي باطلة من الأساس " (٥).

ففي هذه النصوص وغيرها كثير يثبت سيد قطب الصفات ومعانيها التي تتضمنه وأثرها في الحياة ، وينتقد كل من تعرض لنفي الصفات سواءً من المتكلمين أو الفلاسفه .

ثانيًا: موقف سيد قطب من التأويل :

١- **التأويل في اللغة :** مصدرمن آل يؤول أوْلًا ، ومادته تدورعلى معانٍ منها : العودة والرجوع والتفسير، والعاقبة ، والإصلاح، والخثور (٦).

وقد تكرر لفظ التأويل في القرآن الكريم ست عشرة مرة (١٦) في سبع (٧) سورٍ من القرآن الكريم(٧)، ومدلول التأويل في ما ورد من القرآن دائرٌ بين معنيين:

الأول : التفسير والبيان .

والثاني : العاقبة والمرجع والمصير .

وعلى هذين المعنيين سار المتقدمون من السلف ومن تبعهم في بيان معنى التأويل

---

(٥) خصائص التصور الإسلامي ص ٧٧ بتصرف ، وينظر أيضًا مقومات التصور الإسلامي ص ٢٦٠ .

(٦) جمهرة اللغة لابن دريد ، دار العلم للملايين – بيروت– ط(٢ ، عام ١٩٨٧م ، ٣/ ٤٨٢ ، وتهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٤٣٧. والصحاح للجوهري ٤/ ٦٢٧، والتعريفات ،للجرجاني ص ٣٨ .

(٧) سورة آل عمران ٧ ، والنساء ٥٩ ، والأعراف٥٣ ، ويونس ٣٩ ، ويوسف ٦ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ،٤٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، والإسراء ٣٥ ، والكهف٧٨ ، ٨٢.

معتمدين على المعنى اللغوي والشرعي [١].

أما معنى التأويل في اصطلاح المتأخرين فيعني: " هو رد الظاهر إلى ما إليه مآله في دعوى المؤول" [٢]، أو " هو عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي دل عليه الظاهر" [٣].

وقيل هو: " صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى آخر مرجوح أو غير مراد " [٤].

ومستندهم في تعيين ذلك المخالف للظاهر قد يكون المجاز، أو الاشتراك، أو غير ذلك مما يذكرونه في قوانين التأويل .

وهذا المعنى الذي اصطلح عليه المتأخرون لم يرد في لغة المتقدمين ، ولا في نصوص القرآن أوالسُّنَّة ، وبالتالي فهو يحتاج إلى عرضه على القرآن والسُّنَّة وعرف السلف الصالح ، فما كان عليه دليل شرعي صحيح فهو تأويل صحيح يلحق بما سبق ، وما خالف ذلك كان تأويلا فاسدًا .

يقول السبكي - رحمه الله - : " التأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، فإن حمل لدليل فصحيحٌ ، أو ما يظن دليلا ففاسدٌ ، أو لا لشيءٍ فعبثٌ لا تأويل " [٥].

٢- تفسير سيد قطب لمعنى " التاويل " الوارد في الآيات القرآنية :

فسَّرسيد قطب لفظ التأويل الوارد في الآيات القرآنية بما لا يخرج عن المعنيين الذين ذكرهما أئمة التفسير قبله .

- فلفظ التأويل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٦]، وفي قوله تعالى:

---

(١) ينظر : تفسير الطبري ٣/ ١٢٢ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ، ٣/ ٥٥، ٥٦و ٥/ ٣٥ و ١٣/ ٢٨٨، وفتح الباري لابن حجر ٨/ ٦٠٦ ، والصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ١٨، ١٨٣ ،

(٢) البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني دار الوفاء المنصورة ط٣ عام ١٤٢٠هـ ١/ ٣٣٦ .

(٣) المستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي دار الأرقم الكويت ط٣ عام ١٤٢٠هـ ١/ ٧١٣ وما بعدها ، وينظر : الإحكام للآمدي ٣/ ٥٩٩ .

(٤) الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ٧٩ .

(٥) جمع الجوامع ، للسبكي ، مطبعة الحلبي - القاهرة - ط٢ - ب . ت - ٢/ ٥٣ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية ٧.

﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [١]،وفي قوله تعالى :﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾[٢]، وقوله تعالى :﴿ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[٣]،وفي قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ ﴾[٤]، وفي قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٥]، يعني عند سيد : " معرفة حقيقة الأمر، وعاقبته ومآله الذي يصير إليه ويقع في النهاية " [٦].

– ولفظ " التأويل " في قوله تعالى: ﴿ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[٧]. وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [٨]. يعني عند سيد : التفسير وبيان المعنى[٩].

وهو بهذا موافق لجمهور المفسرين من السلف [١٠].

٤- موقف سيد – رحمه الله – من معنى التأويل في اصطلاح المتكلمين :

التأويل عند المتأخرين كما سبق هو : " صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى مرجوح أو غير مراد " ، وقد بنى المتكلمون هذا القانون على قاعدة تعارض العلوم الضرورية ،وبالتالي وجوب تقديم العقلي منها على السمعي،يقول الرازي:" إن الظواهر النقلية إذا عارضت الدلائل العقلية لم يمكن تصديقهما ولا تكذيبهما، لامتناع اجتماع النقيضين وارتفاعهما ، ولا تصديق النقل وتكذيب العقل ، لأن العقل أصل النقل ، فتكذيبه – أي العقل – لتصديقه – أي النقل – يوجب تكذيبهما، فتعين تصديق العقل ، وتفويض علم النقل إلى الله ، أو الاشتغال بتأويل الظواهر " [١١].

---

(١) سورة النساء ، الآية ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٥٣.
(٣) سورة يونس ، الآية ٣٩ .
(٤) سورة يوسف، الآية ١٠٠ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية ٣٥ .
(٦) في ظلال القرآن ١/ ٣٦٩ ، ٢/ ٦٩٢، ٣/ ١٢٩٤ ، ١٧٩٤، ٤/ ٢٠٢٩، ٢٢٢٦ .
(٧) سورة يوسف ، الآية ٦ .
(٨) سورة الكهف ، الآية ٨٢
(٩) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٦٢، ١٩٧١ ، ٢٢٨١، وكذا استخدام لفظ التأويل بمعنى التفسير ٢/ ١٠٦٤ .
(١٠) ينظر : تفسير الطبري ٦/ ٢٠٥ ، ١٢/ ٩٢ ، ١٥/ ٩٣، ١٨١ ، وتفسير ابن كثير ٥/ ٢٠٩٠ ، ٢١٨٤ . ، وتفسير السعدي ، ١/ ٣٥٨ ، وأضواء البيان للشنقيطي ١/ ٢٣٦ ،وغيرها .
(١١) أساس التقديس للرازي ص ١٧٢ ، والمحصول للغزالي ص ٣١ .

وهذا القانون قد جعله المتكلمون فيما يستدل به من كلام الله ورسله ، وردوا به نصوص الصفات التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة ، وأصبح العقل هو الأصل فيما يثبت من الصفات وما لا يثبت [١].

وقد انتقد سيد – رحمه الله – منهج المتكلمين والفلاسفة في تأويلهم للنصوص الشرعية ، والأخبار والحقائق الغيبية بناءً على قانون تقديم العقل على النقل ، ووضح في مواطن متفرقة خطأ ما هم عليه ، ومن ذلك :

أ - تقرير أن الأصل في بناء التصور الإسلامي هو الاستمداد من القرآن بدون تاويل للنصوص :

حيث يقول : " إن الطريق الأمثل في فهم القرآن وتفسيره ، وفي التصور الإسلامي وتكوينه ، أن ينفض الإنسان من ذهنه كل تصور سابق ، وأن يواجه القرآن بغير مقررات تصورية أو عقلية أو شعورية سابقة ، وأن يبني مقرراته كلها حسبما يصور القرآن والحديث حقائق الوجود ، ومن ثم لا يحاكم القرآن والحديث لغير القرآن ، ولا ينفي شيئًا مما يثبته القرآن ولا يؤوله ، ولا يثبت شيئًا ينفيه القرآن ويبطله ، وما عدا المثبت والمنفي في القرآن، فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله وتجربته ، نقول هذا بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن ، وهم مع ذلك يؤولون نصوصه هذه لتوائم مقررات سابقة في عقولهم،وتصورات سابقة في أذهانهم لما ينبغي أن تكون عليه حقائق الوجود " [٢].

ويقول : " وقد جرينا في هذه الظلال على قاعدة ألا نتزيد بشيء في أمر الغيبيات التي يقص الله علينا طرفًا من خبرها ، وأن نقف عند حدود النص القرآني لا نتعداه، وهو كاف بذاته لإثبات ما يعرض له من أمور ...

ويضرب أمثلة لذلك بقول الله تعالى : ﴿ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [٣]، " فالتعبير في ظاهره يبدو مجازًا تصويريًا لحالة جهنم ، ولكنه – فيما نحس – يقرر حقيقة ،

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٥ .
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٧٣٠ – ٣٧٣١ .
(٣) سورة الملك ، الآية ٧ ، ٨ .

فكل خليقة من خلائق الله ذات روح من نوعها تعرف ربها ، وتسبح بحمده ، قال سبحانه : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾[2] ، وهي تعبيرات صريحة لا مجال فيها للتأويل .

وكذلك جواب السماوات والأرض : ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [3]. يحتمل أن يقال فيه أنه مجاز تصويري لحقيقة خضوع السماء والأرض لناموس الله ، ولكن هذا التأويل لا ضرورة له ، بل هو أبعد من المعنى المباشر الصريح "[4].

ب- نقده لمدرسة الشيخ محمد عبده ومن على منهجها في تأويلهم لبعض الأمور:

يقول سيد : " وقد تأثر تفسير الأستاذ الإمام لجزء (عمَّ) بهذه النظرة – تقدم العقل وتأويل النص تبعًا لما يدل عليه – تأثرًا واضحًا ، وتفسير تلميذه المرحوم الشيخ رشيد رضا وتفسير تلميذه الأستاذ الشيخ المغربي لجزء " تبارك " حتى صرح مرات بوجوب تأويل النص ليوافق مفهوم العقل، وهو مبدأ خطر ..فليس هناك عقل مطلق لا يتناوبه النقص والهوى والشهوة والجهل يحاكم النص القرآني إلى "مقرراته " وإذا أوجبنا التأويل ليوافق النص هذه العقول الكثيرة فإننا ننتهي إلى فوضى " .

ويقول: " وما دام النص محكمًا فالمدلول الصريح للنص من غير تأويل هو الحكم، وعلى العقل أن يتلقى مقرراته هو من مدلول هذا النص "[5].

ويقول ناقدًا لكلامهم عن بعض الغيبيات كالملائكة والجن : " فأما الذين يرون في هذا كله مجرد تمثيل وتصوير لحفظ الله للذكر من الالتباس بأي باطل ، وأنه لا يجوز أن يؤخذ على ظاهره ، فسبب هذا عندهم أنهم يجيئون إلى القرآن بتصورات مقررة سابقة في أذهانهم ، أخذوها من مصادر أخرى غير القرآن ، ثم يحاولون أن يفسروا القرآن وفق تلك التصورات السابقة المقررة في أذهانهم من قبل ، ومن ثم

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٤ .
(٢) سورة سبأ ، الآية ١٠ .
(٣) سورة فصلت ، الآية ١١ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٣٤ – ٣٦٣٥ بتصرف .
(٥) خصائص التصور الإسلامي ص ٢٠ .

يرون الملائكة تمثيلًا لقوة الخير والطاعة ، والشياطين تمثيلًا لقوة الشر والمعصية ، والرجوم تمثيلًا للحفظ والصيانة .. الخ، لأن في مقرراتهم السابقة – قبل أن يواجهوا القرآن – أن هذه المسميات : الملائكة والشياطين أو الجن ، لا يمكن أن يكون لها وجود مجسم على هذا النحو ، وأن تكون لها هذه الحركات الحسية ، والتأثيرات الواقعية ، من أين جاءوا بهذا ؟ من أين جاءوا بهذه المقررات التي يحاكمون إليها نصوصالقرآن والحديث ؟" (١).

ويقول ناقدًا لإقبال: " وكذلك واجه – إقبال – التصوف العجمي في البيئة الشرقية ، وأراد أن ينفض عن الفكر الإسلامي الفناء والسلبية ، لكن النتيجة كانت جموحًا في إبراز الذاتية أضطر معه إلى تأويل بعض النصوص القرآنية تأويلًا تأباه طبيعتها ، كما تأباه طبيعة التصور الإسلامي " (٢).

ومع ما سبق من نقد سيد قطب لمنهج المتكلمين في تقديم الدليل العقلي ، و تأويلهم للنصوص القرآنية ، إلا أن سيدًا – رحمه الله – يعترف أنه وقع في بعض كتبه في التأويل لبعض النصوص حيث يقول بعد أن انتقد منهج المؤولة : " وما أبرئ نفسي أني فيما سبق من مؤلفاتي ، وفي الأجزاء الأولى من هذه الضلال ، قد انسقت إلى شيء من هذا – أي التأويل – وأرجو أن أتداركه في الطبعة الثانية إذا وفق الله ، وما أقرره هنا هو ما اعتقده الحق بهداية من الله " (٣).

ثالثًا :تأويل الصفات الإلهية وموقف سيد قطب منه :

اتهم البعض سيدًا بأنه مؤول لآيات الصفات ، وبالتالي فهو: أشعري– جهمي– معتزلي– معطل (٤).

وحتى يتبين لنا موقفه من الصفات الإلهية كان لا بد من جمع كلامه المتفرق حول الموضوع والخروج من ذلك بما يدل على موقفه من هذه المسألة ، وذلك من خلال النقاط الآتية :

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠ – ٢١ بتصرف .

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣١ . هامش (١ .

(٤) ينظر :أضواء إسلامية للمدخلي ص١٧٤ والجماعات الإسلامية لسليم الهلالي ص ٢٠٨ والمفسرون للمغراوي ٣/ ١٣٦٧ .

١ - تبين لنا فيما سبق أن سيد قطب -رحمه الله- يرفض منهج المتكلمين في تأويل النصوص الشرعية وصرفها عن معناها الظاهر .

٢ - يظهر من خلال النصوص السابقة التي ينتقد فيها سيد منهج المؤولين أنه يرى أن الأصل عنده هو عدم تأويل النصوص وصرفها عن ظاهرها ، فالأصل حمل النصوص على ظاهرها ، ويشمل هذا نصوص الصفات وغيرها ، وأن التأويل عنده إنما هو خلاف الأصل ، ومن ذلك قوله : " وهي تعبيرات صريحة لا مجال فيها للتأويل " (١).

٣ - يظهر أيضًا من كلامه السابق أنه يفرق بين التأويل الصحيح والتأويل الفاسد فالتأويل الصحيح ما كان عن ضرورة تدعو إليه من أجل تنزيه الله سبحانه عن معنى لا يليق به في حال الأخذ بظاهر النص ، ويكون التأويل إلى معنى قريب تحتمله اللغة وسياق النص ، فعند كلامه عن جواب السماوات والأرض ﴿ قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ يرفض تأويله بمعنى الخضوع ويقول : " ولكن هذا التأويل لا ضرورة له ، بل هو أبعد من المعنى المباشر الصريح " (٢). أي القول الحقيقي .

ومن الأمثلة للتأويل السائغ في باب الصفات تفسيره لبعض الصفات بما يخالف المعنى الظاهر في سياق بعض الآيات مع إثبات الصفة في آيات أخرى في سياق آخر ومن ذلك :

أ - تفسيره للمعية في قوله تعالى :﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ (٣)، بأنها معية العلم والمراقبة والإحاطة (٤). وهو نفسه المعنى الذي ذكره الإمام ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما (٥).

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٣٤- ٣٦٣٥ .
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٦٣٥ .
(٣) سورة المجادلة ، الآية ٧ .
(٤) في ظلال القرآن٦/ ٣٥٠٨ .
(٥) انظر تفسير الطبري ١١/ ٥٥٣ ، وتفسير ابن كثير ٧/ ٣٣٥٤

ب – تفسيره للأعين في قوله تعالى عن سفينة نوح: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [١]، بقوله " تجري في رعاية الله بملاحظة أعينه "، وهو ما ذكره الإمام الطبري وابن كثير عن كثير من السلف[٢].

ج – تفسيره لليد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ بأنهم أرادوا وصفه سبحانه بالبخل، فرد الله عليهم بأن ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ أي بالفضل والعطاء[٣]، وهو أيضًا ما ذكره الإمام الطبري وابن كثير– رحمهما الله – [٤].

فهو وإن فسر اليد بالعطاء إلا أنه لم ينكر صفة اليد الإلهية أو يؤولها سواءً في هذا السياق أو في غيره من الآيات ، بدليل أنه قال في السياق نفسه " شاهدة باليد المبسوطة " فهو بيَّن معنى بسط اليد ولم يؤول الصفة [٥]، وسيأتي مزيد بيان لموقف سيد من هذه الصفات وغيرها ، بعد قليل .

٤ – المواضع التي أوَّل فيها بعض الصفات كصفة الاستواء ، لا نبرئه من التأويل الذي وقع فيه ، لأنه قد اعترف بنفسه أنه قد أول في بعض المواضع من مؤلفاته ومن الظلال خصوصًا .

واعترافه بذلك وتقريره أن ما يعتقده هو عدم التأويل، وأنه سوف يتداركه في الطبعات الثانية إذا مدَّ الله في عمره، كافٍ في معرفة ما استقر عليه– سيد– في النهاية في مسألة تأويل الصفات ، وأن كان الله لم يمد في عمره فيتدارك ويصحح ما أخطأ فيه – كما تمنى– فبقي الخطأ موجود كما هو.

بالإضافة إلى أن له كلامًا عامًا موهمًا عن بعض الصفات حمله بعضهم على أن مقصده هو نفي تلك الصفات أو تأويلها ، بينما له كلام آخر أكثر وضوحًا في إثبات

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٣٠ .
(٢) تفسير الطبري٤/ ٦٣٩ ، وتفسير ابن كثير ٨/ ٣٤٥٤ .
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٩٢٩ .
(٤) تفسير الطبري ٤/ ٦٣٩– ٦٤٠ ، وتفسير ابن كثير٣/ ١٢٠١.
(٥) ينظر : في ظلال القرآن في الميزان ، د/ صلاح الخالدي ص ١٢١– ١٢٥ .

تلك الصفات ومن ذلك كلامه حول اليد والرؤية غيرها مما سيأتي بيانه قريبًا .

وبالتالي لا يصح إطلاق القول بأن سيدًا ينفي الصفات ويؤولها بناءً على ما سبق بيانه .

الأساس الثالث : قطع الطمع عن إدراك كيفية ذات الله سبحانه وصفاته وأفعاله :

وهو الأساس الثالث من أسس توحيد الأسماء والصفات عند أهل السُّنَّة والجماعة [٦].

ذلك لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، فالله عز وجل لم يعرفنا ذلك، ولا عقولنا قادرة على الوصول إليها، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [٧]، أي أنه لا تحيط علومهم بذاته ولا صفاته ولا بعلمه ، فلا بد من اليأس من إدراك الكيفية ، وبالتالي فلا يسأل عنها ، والواجب الذي كلفنا باعتقاده هو الالتزام بما جاءت به النصوص الشرعية ، وعدم تجاوز ذلك أو الخوض فيما لا علم لنا به ولا يمكننا إدراكه.

موقف سيد قطب ـ رحمه الله – من هذا الأصل :

باستقراء ما كتبه سيد حول هذا الأمر– قطع الطمع عن إدراك كيفيات ذات الله وصفاته وأفعاله – نجد أنه يقرر ما قرره أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب ، وله نصوص كثيرة يصعب ذكرها هنا ، منها :

– يقول – رحمه الله – : " إن لله – سبحانه – صفاته ، أو أسماءه الحسنى ، ولكن البشر لا يملكون إدراك " كيفية " هذه الصفات ، فهو سبحانه سميع يسمع ، بصير يرى ، عليم يعلم ، ولكن البشر لا يدركون كيفية شيء من ذلك بالقياس إليه سبحانه ، فالله ليس كمثله شيء ، فلا يمكن أن يدرك البشر إذن كيفيات صفاته، ولا كيفيات أفعاله ، وليس لهم أن يقيموا شيئًا من ذلك كله على ما يعرفونه من أنفسهم، أو من سواهم من خلق الله .

---

(٦) الإتقان للسيوطي ٢/ ٦ وفتح القدير للشوكاني ، ٣/ ٤٨١ ، ومنهج ودراسات لآيات الصفات الشنقيطي ص ٣ .
(٧) سورة طه ، الآية ١١٠ .

ولذلك كان الجواب الإلهي على كل من سأل عن كيفية فعله هو: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ ، ولم يكن بيانًا لهذه الكيفية ، لأنه سبحانه يعلم أن البشر بتكوينهم الذي فطرهم عليه لا يملكون إدراك هذه الكيفية "[١].

ثم استعرض سيد – رحمه الله – مجموعة من الآيات التي كان الجواب الإلهي فيها لمن سأل عن الكيفية هو﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ ومنها :

– قوله عن زكريا ؛ ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [٢].

– قوله تعالى عن مريم : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٣].

– قوله تعالى في قصة الذي مرَّ على القرية وهي خاوية على عروشها : ﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٤].

– قوله عن إبراهيم ؛ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٥].

وواضح أنه لا إبراهيم – ؛ – ولا الذي مَّرعلى القرية ، قد أدرك " كيفية " فعل الله في الإحياء ، إنما هو رأى مثلًا بارزًا على عملية الإحياء دون أن يعرف ﴿ كَيْفَ ﴾

(١) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٢٧٩ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٤٠ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ٤٧ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٦٠ .

وقع هذا – لأنه وهو بشر لا يملك أن يدرك هذه " الكيفية " على الإطلاق .

ومن ثم فإن كل محاولة لتصوير كيفيات فعل الله بقياسها إلى كيفيات أفعال الخلق ، أو بالتصورات الذهنية باءت بالفشل، واضطر أصحابها إلى الخبط في التيه بلا دليل . وقد حسم المنهج القرآني المسألة بقوله :﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (١)" (٢).

كما يقرر سيد – رحمه الله – في مواضع كثيرة ، عدم الخوض في كيفيات صفاته وأفعاله سبحانه ، والوقوف عند مدلولاتها ، ومن ذلك :

"عدم الخوض في كيفية اتصال الإرادة الإلهية بالكائن المراد صدوره عنها " (٣)، وفي " كيفية إحياء الله للألوف الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت بعد إماتتهم وإحياء قتيل بني إسرائيل وإحياء طير إبراهيم"(٤)، وفي " كيفية النفخة الإلهية " (٥)، وفي " كيفية الوزن وطبيعة الميزان " (٦).

وفي " كيفية أخذ الميثاق في عالم الذر "(٧) ، وفي " كيفية فعل الملائكة في بدر" (٨) ، وفي " كيفية كلام الله لموسى "(٩)، وغيرها ، حيث يقرر أن مثل هذه الأمور التي أخبر الله عنها يجب الإيمان والتسليم بها دون الخوض في محاولة معرفة كنهها وكيفيتها .

لماذا يجب قطع الطمع عن إدراك الكيفية ؟

يجيب سيد قطب عن ذلك بقوله : " لأن إدراك الماهية والكيفية سر من أسرار الألوهية ، لا سبيل إليه في عالم الفانيين وإن يكن في طرق العقل البشري إدراك دلالته والاتعاظ به " (١٠).

---

(١) سورة النحل ، الآية ٤٠ .
(٢) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٢٧٩– ٢٨٠ .
(٣) انظر في ظلال القرآن ١/ ١٠٦– ١٠٧ .
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٦٤ ، ٨٠ ، ٣٠٢ .
(٥) المصدر السابق ١/ ٣٩٧ .
(٦) المصدر السابق ٣/ ١٢٦١ .
(٧) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٩٣ .
(٨) المصدر السابق ٣/ ١٤٨٢– ١٤٨٦ .
(٩) المصدر السابق ٤/ ٢٣٣٠ .
(١٠) المصدر السابق ١/ ٨٠ .

" وهذا السر لم يكشف للإدراك البشري - لأن الطاقة البشرية غير مهيأة لإدراكه .. لأنه لا يلزمها في وظيفتها التي خلقت لها وهي خلافة الأرض وعمارتها ، وبقدر ما وهب الله للإنسان من القدرة على كشف قوانين الكون التي تفيده في مهمته وسخر له الانتفاع بها ، بقدر ما زوى عنه الأسرار الأخرى التي لا علاقة لها بخلافته الكبرى ، ولقد ضربت الفلسفات في تيه لا منارة فيه وهي تحاول كشف هذه الأسرار ، وتفترض فروضا تنبع من الإدراك البشري الذي لم يهيأ لهذا المجال ، ولم يزود أصلا بأدوات المعرفة فيه والارتياد ، فتجيء هذه الفروض مضحكة في أرفع مستوياتها إلى حد يحير الإنسان وما ذلك إلا أن أصحابها حاولوا أن يخرجوا بالإدراك البشري عن طبيعة خلقته ، وأن يتجاوز به نطاق المقدور له ، فلم ينتهوا إلى شيء يطمأن إليه ، بل لم يصلوا إلى شيء يمكن أن يحترمه من يرى التصور الإسلامي ويعيش في ظله .

وعصم الإسلام أهله المؤمنين بحقيقته أن يضربوا في هذا التيه بلا دليل .. ولما حاول بعض المتأثرين بالفلسفة الإغريقية أن يتطاولوا إلى ذلك المرتقى باءوا بالتعقيد والتخليط ، كما باء أساتذتهم الإغريق ! ودسوا في التفكير الإسلامي ما ليس من طبيعته ، وفي التصور الإسلامي ما ليس من حقيقته، وهذا هو المصير المحتوم للعقل البشري وراء مجاله ، وفوق طبيعة خلقته وتكوينه " " فالكيفية غير معلومة للإدراك البشري ، لأنها فوق طاقته ، فمن العبث إنفاق الطاقة في إكتناه هذا السر ، والخبط فيه بلا دليل " [1].

ويقول أيضا : " فميزة هذا التصور - أي التصور الإسلامي - المنبثقة من خاصية الربانية أنه يلبي الكينونة الإنسانية بجملتها ، ويدخل كذلك في دائرة إدراكها، والذي لا تدركه منه إدراك ماهية وحقيقة ، أو إدراك علية وكيفية ، لا يتعذر عليها التسليم به في طمأنينة ، لأنه داخل في مفهوم منطقها المعقول ، منطقها الذي يسلم بالحقيقة البسيطة : حقيقة أن المجال الذي يتناوله هذا التصور ، بما فيه من حقيقة الذات الإلهية وصفاتها ، وفي تعلق إرادة الله بالخلق وكيفيته أكبر وأوسع من الكينونة الإنسانية بجملتها ، وبالتالي فلا قدرة للكينونة البشرية بجملتها على العمل خارج

(١) المصدر السابق ١/ ١٠٦ - ١٠٧ بتصرف يسير، وينظر أيضا ١/ ٣٦٩، ٣/ ١٢٦١ ، وخصائص التصور الإسلامي ص ٤٩.

حدودها" [١].

ويقول أيضا : " إن عقيدة التوحيد الإسلامية لا تدع مجالًا لأي تصور بشري عن ذات الله سبحانه ولا عن كيفيات أفعاله ، فالله سبحانه ليس كمثله شيء ، ومن ثم لا مجال للتصور البشري لينشئ صورة عن ذات الله ، فكل التصورات البشري إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء ، فإذا كان الله سبحانه – ليس كمثله شيء – توقف التصور البشري إطلاقًا عن إنشاء صورة معينة لذاته تعالى، ومتى توقف عن إنشاء صورة معينة لذاته العلية فإنه يتوقف تبعًا لذلك عن تصور كيفيات أفعاله جميعًا ، ولم يبق أمامه إلا مجال تدبر آثار الأفعال في الوجود من حوله وهذا هو مجاله ، ومن ثم تصبح أسئلة كهذه : كيف خلق الله السماوات والأرض؟ كيف استوى على العرش ، كيف هذا العرش الذي استوى عليه الله سبحانه ؟ تصبح هذه الأسئلة وأمثالها لغوًا يخالف توجيهها قاعدة الاعتقاد الإسلامي، أما الإجابة عليها فهي اللغو الأشد الذي لا يزاوله من يدرك تلك القاعدة ابتداءً .

ولقد خاضت الطوائف – مع الأسف – في هذه المسائل خوضًا شديدًا في تاريخ الفكر الإسلامي بالعدوى الوافدة على هذا الفكر من الفلسفة الإغريقية " [٢]، "وكل من أراد من البشر بيان الكيفية تخبط وخلط ، لأنه قاسها على كيفيات عمل الإنسان– وشتان شتان" [٣].

" فإذا تقرر ذلك : فإن الجدل في الله تعالى سواء في وجوده أو وحدانيته أو في قدرته أو في علمه أو في صفة ما من صفاته ، يبدو عجيبًا من ذي عقل وقلب ، .. وما كان الجدل الكلامي الذي ثار بين علماء المسلمين حول ذلك إلا آفة من آفات الفلسفة الإغريقية والمباحث اللاهوتية عند اليهود والنصارى عند مخالطتها للعقلية الإسلامية الناصعة .

وما كان لنا نحن اليوم أن نقع في هذه الآفة ، فنفسد جمال العقيدة ، وجمال القرآنبقضايا علم الكلام [٤].

---

(١) خصائص التصور ٤٨– ٤٩ بتصرف ، وينظر أيضًا ص ١٢٠، ١٢٩ ، ومقومات التصور ص ٢٧٢ .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٩٦ ، وينظر أيضًا ٣/ ١٣٩٣ ، وخصائص التصور ص ١٤٧ .
(٣) خصائص التصور الإسلامي ص ٥٠ .
(٤) ينظر : في ظلال القرآن ١/ ٥٣ ، ٤/ ٢٤٠٨ بتصرف .

المبحث الثالث
منهجه في إثبات الأسماء الحسنى

وفيه مطلبان :

المطلب الأول
الأسماء الحسنى وموقف الناس منها

من الإيمان بالله تعالى الإيمان بأسمائه الحسنى ، حيث لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم ولا صفحة من صفحاته من ذكر اسم أو أكثر من أسمائه تعالى ، وقد جاء إثبات الأسماء الحسنى للهفي القرآن الكريمّ مجملًا ومفصلًا ، فالمجمل كقوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (١) ، وقوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٢) ، والمفصل كقوله : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٣).

بل إن كثيرًا من الآيات القرآنية تختم بأسمائه الحسنى كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾(٤)، وقوله ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥) ونحوها .

وفي السُّنَّة الشريفة مثل ما في القرآن الكريم من ذكر أسماء الله تعالى ونسبتها إليه، ومع ذلك فقد اختلفت الطوائف في أسماء الله تعالى بين مثبتٍ ونافٍ وملحدٍ فيها

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٨٠ .
(٢) سورة طه ، الآية ٨ .
(٣) سورة الحشر ، الآيات ٢٢ - ٢٤ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٦٣ .
(٥) سورة المائدة ، الآية ٣٤.

وفي معانيها .

أما أهل السُّنَّة والجماعة فإنهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ج من الأسماء الحسنى وما دل عليه من معانٍ وأحكامٍ [١].

(١) ينظر في ذلك :شرح الأسماء الحسنى ،لمحمد بن عمر الرازي ،مكتبة الكليات الأزهرية ،طبعة عام ١٩٧٦ ،ص٢٩ و رد الدارمي على بشر المريسي، طبعة باكستان ،عام ١٤٠٢ هـ تحقيق :الفقي ص ٧ ، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ، ص ٢٠٠ ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٢٦١ والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٥ ، والتوحيد لابن منده ٢/ ١٤ . وشأن الدعاء للخطابي ص ١١١ ، وبدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٧٠ .

obeikandl.com

المطلب الثاني
منهج سيد قطب في الأسماء الحسنى

كان سيد قطب – رحمه الله – في هذا الباب متبعًا لمنهج أهل السُّنَّة والجماعة، حيث يثبت لله الأسماء الحسنى ، وما دلت عليه من معانٍ وأحكام وبيان ذلك في الفروع الآتية :

الفرع الأول : إثبات الأسماء الحسنى وما دلت عليه من معانٍ :

يقول سيد: " إن لله سبحانه صفاته، أو أسماءه الحسنى، ولكن البشر لا يملكون إدراك كيفية هذه الصفات فهو سبحانه سميع يسمع ، بصير يرى ، عليم يعلم " (١).

ويبين أن سرَّ عظمة الرعيل الأول يكمن في " أنهم آمنوا بالله الذي له الأسماء الحسنى ، والمثَل الأعلى ، آمنوا برب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، العزيز ، الحكيم ، الغفور ، الودود ، الرؤوف ،الرحيم .. " (٢).

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٣)، يقول : " وهذه الأسماء واضحة الآثار في صميم هذا الوجود وفي حركته وظواهره .. ولكل اسم من هذه الأسماء الحسنى أثر في هذا الكون ملحوظ ، وأثر في حياة البشر ملموس ، فهي توحي إلى القلب بفاعلية هذه الأسماء والصفات ، فاعلية ذات أثر وعلاقة بالناس والأحياء ، وليست هي صفات سلبية أو منعزلة عن كيان هذا الوجود " (٤).

ويستعرض سيد كثيرًا من الأسماء موضحًا معانيها ، وأثر هذه المعاني التي يجب استحضارها في الحياة والإيمان بها وتدبرها ، والعمل وفق إيحاءاتها في مواضع متفرقة (٥).

---

(١) مقومات التصور الإسلامي ص ٢٧٩ .
(٢) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣١٦٣ .
(٣) سورة الحشر الآية ٢٢ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٣٢ .
(٥) ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ٦/ ٣٠٦٨ ، ٣٥٣٢ ، ٣٥٣٣ ، ٤٠٠٤ ، ومقومات التصور الإسلامي ص ١٩٣ .

الفرع الثاني : أسماء الله توقيفية :

مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أن أسماء الله تعالى توقيفية لا يتجاوز فيها التوقف ، ولا يستعمل فيها القياس " [١]، مع ملاحظة أن باب الإخبار عن الله ليس توقيفيًا ، فيجوز الإخبار عنه بأنه قديمٌ، وشيءٌ، وموجودٌ ، ونحو ذلك ، لأن باب الإخبار عن الله أوسع من باب الصفات، أي أننا نخبر عن الله بأخبار لا نشتق منها صفات: كالشيء والموجود ونحوها ، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء ، فليس كل ما صح صفةً صح اسما ، كالنازل والضاحك ونحوها مع أنها صفات وُصِفَ الربُ بها [٢].

وخالف بعض المعتزلة فقالوا: بإثبات الأسماء بالقياس وما دل عليه العقل ولو لم يرد به نص " [٣].

ويقرر سيد – رحمه الله – هذا الأمر موضحًا أن أسماء الله وصفاته وما يتعلق به سبحانه لا يستقي إلا من مصدر الوحي وأنه لا يسمى سبحانه إلا بما سمى به نفسه، ففي معرض رده على أحد العلماء الغربيين[٤] عندما وصف الله سبحانه بأنه: " العقل اللانهائي " الذي" استطاع أن يدرك ببالغ حكمته " ، يقول سيد – رحمه الله – : " هذا التعبير " العقل النهائي " راسبٌ من رواسب الفلسفة ، يستخدمه الرجل لأنه من رواسب ثقافته ، والمسلم لا يعبر عن الله – سبحانه – إلا بما سمى به نفسه من أسمائه الحسنى " [٥].

ويقول أيضًا : " إن معرفة الله – سبحانه – في التصور الإسلامي تبدأ من نبذ كل الصور التي انبثقت ابتداءً من تصورات البشر وأوهامهم عن ذات الله – سبحانه وصفاته ، لتستقي مباشرة من تعريف الله لعباده بذاته وصفاته، وخصائصه وأفعاله، وهي تُتلقى من هذا المصدر وحده ولا تتلقى من مصدر آخر غيره" [٦]، " وهذا مما

---

(١) شأن الدعاء للإمام الخطابي ص ١٠١ .

(٢) التوحيد لابن منده ٢/ ٤، والأسماء والصفات للبيهقي ٩/ ٢٥، وبدائع الفوائد لابن القيم ، ١/ ١٦٠– ١٦٢، وشرح الأصفهانية لابن تيمية ص ٢٩ .

(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري ٢/ ٢٠٦ – ٢٠٧ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٣٧، وشرح الأسماء للرازي ص ٣٦.

(٤) وهو " فرانك آلن " أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا .

(٥) في ظلال القرآن ٢/ ١١٥٥ . الهامش ٣ .

(٦) مقومات التصور الإسلامي – سيد قطب – ص ٢٠٠ – ١٠١ .

يتميز به التصور الإسلامي عن غيره فهو تصور رباني ، ليس لبشر أيًا كان فيه عمل ، وحتى رسل الله جميعًا عملهم تلقي هذا التصور ونقله النقل الدقيق والتبليغ الأمين إلى البشر " (١).

تنبيه : من المآخذ التي ذكرها الشيخ الدويش - رحمه الله - على سيد أنه سمى الله بما لم يسم به نفسه حيث سماه " الحقيقة الكبرى" (٢).

والذي يظهر لي من خلال قراءة سياق الكلام: أنه يتحدث عن منهج القرآن في غرس الحقائق الاعتقادية ، حيث ذكر- سيد - حقيقة طلاقة المشيئة الإلهية ، وحقيقة الوجود الحقيقي ، وحقيقة العلم المحيط ، ثم يقرر أن استقرار هذه الحقائق في القلب يجعله ، لا يحتفل بشيء في الكون غير الله ، فكل شيء لا حقيقة له ، ولا وجود إلا ما يستمده من تلك الحقيقة الكبرى ، أي حقيقة الوجود الإلهي، بدليل أنه قال بعدها " وكل شيءٍ وهمٌ ذاهب " حيث لا يكون ولا يبقى إلا الله المتفرد بكل مقومات الكينونة والبناء" (٣).

الفرع الثالث : أسماء الله كلها حسنى .

أخبر الله سبحانه أن أسماءه كلها حسنى فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾(٤)، وقال:﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (٥) ، " والحسنى تأنيث الأحسن، أي : التي هي أحسن الأسماء لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول " (٦)، فـ " لله دون غيره جميع الأسماء الدالة على أحسن المعاني وأكمل الصفات " (٧).

ويقرر سيد قطب هذا الأصل في ظلال قوله تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، فيقول: " الحسنى في ذاتها ، بلا حاجة إلى استحسان من الخلق ، ولا توقف على استحسانهم ، والحسنى : التي توحي بالحسن للقلوب وتفيضه عليها ، وهي

(١) خصائص التصور الإسلامي ص ٤٦ بعد ذلك .
(٢) المورد الزلال للدويش ٢٣٤ .
(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٧٩ بتصرف .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٨٠ .
(٥) سورة الحشر ، الآية ٢٤ .
(٦) فتح القدير للشوكاني ٢/ ٣٢٣ .
(٧) تفسير المنار ، لرشيد رضا ١/ ٣٧٦ دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ عام ١٤٢٣هـ .

الأسماء التي يتدبرها المؤمن ليصوغ نفسه وفق إيحائها واتجاهها إذ يعلم أن الله يُحب له أن يتصف بها ، وأن يتدرج في مراقيه وهو يتطلع إليها "[١].

الفرع الرابع : الإلحاد في أسماء الله :

يقول سيد - رحمه الله - في ظلال قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٢] : " والإلحاد :هو الانحراف أو التحريف ، وقد حرَّف المشركون في الجزيرة أسماء الله الحسنى ، فسموا بها آلهتهم المدَّعاة ، حرفوا اسم " الله " فسموا به " اللات " واسم " العزيز " فسموا به " العزى " .. فالآية تقرر أن هذه الأسماء الحسنى لله وحده ، وتأمر أن يدعوه المؤمنون وحده بها ، دون تحريف ولا ميل ، وأن يَدَعُوا المحرفين المنحرفين ، فلا يحفلوهم ولا يأبهوا لما هم فيه من الإلحاد ، فأمْرُهم موكول إلى الله ، وهم ملاقون جزاءهم الذي ينتظرهم منه ، وياله من وعيد !

وهذا الأمر بإهمال شأن الذين يلحدون في أسماء الله ، لا يقتصر على تلك المناسبة التاريخية ، ولا على الإلحاد في أسماء الله بتحريفها اللفظي إلى الآلهة المدعاة ، إنما هو ينسحب على كل ألوان الإلحاد في شتى صوره ! ينسحب على الذين يُلْحدون - أي يحرفون أو ينحرفون - في تصورهم لحقيقة الألوهية على الإطلاق ، كالذين يدَّعون له الولد ، وكالذين يدَّعون له كيفيات أعمالٍ تشبه كيفيات أعمال البشر ، وهو سبحانه ليس كمثله شيء .

وكذلك من يدَّعون أنه سبحانه إلهٌ في السماء ، وفي تصريف نظام الكون وفي حساب الناس في الآخرة ، ولكنه ليس إلهاً في الأرض ، ولا في حياة الناس - فليس له - في زعمهم - أن يشرِّع لحياة الناس ، إنما الناس هم الذين يشرعون لأنفسهم بعقولهم ، وتجاربهم ومصالحهم - كما يرونها هم - فالناس - في هذا - هم آلهة أنفسهم ، أو بعضهم آلهةُ بعض ! .

وكله إلحاد في الله وصفاته وخصائص ألوهيته ، والمسلمون مأمورون بالإعراض عن هذا كله وإهماله ، والملحدون موعودون بجزاء الله لهم على ما كانوا يعملون "[٣].

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٣٣- ٣٥٣٤ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٨٠ .
(٣) في ظلال القرآن ، ٣/ ١٤٠٢ .

المبحث الرابع
منهجه في إثبات الصفات تفصيلا

توطئة :

سبق معنا في المبحث الثاني من هذا الفصل أن سيدًا - رحمه الله - يقرر الأسس التي قررها أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات وهي : تنزيه الله عن مشابهة الخلق وإثبات الأسماء والصفات الواردة في النصوص الشرعية ، وقطع الطمع عن إدراك الكيفية . وعرفنا موقفه من نفي الصفات وتأويلها ، حيث نقد نفاة الصفات والمؤولين أيضًا، واعترف أنه وقع في التأويل، ولكنه في نهاية الأمر رجع إلى رفض التأويل، وقرر أن هذا هو ما يعتقده ، وأوضح رغبته في أن يمد له في العمر فيأتي على ما أوَّله ويصلحه.

عند النظر في اتهام البعض لسيد قطب - رحمه الله - بأنه من نفاة الصفات والمؤولين نجد أن كلامهم في ذلك يقوم على أحد أمور ثلاثة :

إما كلام لسيد - رحمه الله - ذو طابع أدبي موهم ، فهم منه البعض نفي الصفة أو تأويلها ، مع أن له كلامًا آخر حول نفس الصفة صريحًا وواضحًا في إثباتها على منهج أهل السُّنَّة ، ومن أمثلة ذلك كلامه حول الرؤية واليد - وسيأتي بيانه - .

تأويله لبعض الصفات في سياق معين يقتضيه تنزيه الله عز وجل وقد قال به علماء من أهل السُّنَّة والجماعة قديمًا وحديثًا ، مثل تأويل المعية من معية ذات إلى معية علم ، وتأويل العين في قوله تعالى ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ ، بالرعاية والحفظ والملاحظة ، ونحو ذلك مما سيأتي الحديث عنه مفصلا.

تفسيره لبعض الصفات بمعنى مخالف لما فسرها به السلف ، مما جاء في اللغة ، كتفسيره للاستواء بالهيمنة والاستعلاء ، وهذا يندرج تحت القسم الذي اعترف هو أنه " وقع في تأويله " ولم يقر له البقاء حتى يصححه كما تمنى .

وسأعرض في هذا المبحث موقف سيد قطب ومنهجه في إثبات الصفات تفصيلًا حتى تتضح الرؤية لمنهجه في هذا الباب وذلك من خلال المطالب الآتية :

المطلب الأول

أقسام الصفات الإلهية

الصفات الإلهية التي وردت في الكتاب والسُّنَّة تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : صفات ذاتية : وهي الصفات المتعلقة بذاته سبحانه وتعالى ، التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها، ولا تنفك عنه سبحانه، بل هي لازمة لذاته أزلًا وأبدًا ، ولا تتعلق بها مشيئته وقدرته وهي من حيث ثبوتها قسمان :

١- **عقلية :** وهي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي والدليل العقلي والفطرة ، كصفة الحياة ، والعلم، والقدرة ، والإرادة ، والملك، والعظمة ، والسمع ، والبصر، ونحوها .

٢- **خبرية :** وهي التي تثبت بطريقة السمع والخبر، ولا سبيل للعقل على انفراده بإثباتها ، كصفة الوجه واليدين والعين .

القسم الثاني : صفات فعلية : وهي الصفات المتعلقة بمشيئته سبحانه وقدرته ، إن شاء فعلها ، وإن شاء لم يفعلها ، وهي من حيث ثبوتها قسمان :

١- **عقلية :** كالخلق والرزق ، والإحياء ، والإماتة وأنواع التدبير المختلفة .

٢- **خبرية :** كالاستواء والمجيء والنزول والرضا والمحبة والبغض ونحوها .

ومن الصفات ما هو ذاتي فعلي باعتبارين كصفة الكلام ، فإنه باعتبار أصل الصفة، صفة ذاتية ، لأنه تعالى لم يزل ولا يزال متصفًا بصفة الكلام ، وباعتبار أحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام متعلق بمشيئته تعالى فيتكلم بما شاء متى شاء "[1].

وفي المطالب الأتية بيان للصفات التي تكلم عنها سيد قطب - رحمه الله - :

(١) ينظر تقسيم الصفات في : الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ١٨٨ ، وشرح الواسطية لهراس ص ٨٩ ، ٩٩ .

المطلب الثاني
الصفات الذاتية العقلية

في هذا المطلب بيان لحقيقة الصفات الذاتية العقلية وموقف الفرق منها، وكذا موقف سيد قطب – رحمه الله – وذلك في الفروع الآتية :

الفرع الأول : صفة الحياة :

صفة الحياة من الصفات الذاتية التي يثبتها أهل السُّنَّة والجماعة لله تعالى ، وهي حياة حقيقية لائقة بكماله وجلاله سبحانه ، تباين المخلوقين من كل وجه ، وهي مستلزمة لجميع صفات الكمال[١]. وقد ورد وصف الله تعالى بها في كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .

أما المخالفون لأهل السُّنَّة والجماعة ، فإنهم ينفون هذه الصفة أو يؤولونها .

فالجهمية : لا يصفون الله تعالى بأنه حي ، لأن ذلك – كما زعموا – تشبيه له بالأحياء[٢].

والمعتزلة : يجعلونها صفة غير زائدة عن الذات ، فهو حي بحياةٍ وحياته ذاته ، كما أنه عندهم عالم وعلمه ذاته [٣].

صفة الحياة عند سيد قطب:

أما سيد قطب – رحمه الله – فقد وقف في ظلال الآيات التي جاء فيها ذكر صفة الحياة لله مقررًا ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة من إثباتٍ لهذه الصفة الذاتية على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته .

١ – في ظلال قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[٤]، يقول سيد : " والحياة التي يوصف بها الإله الواحد هي : الحياة الذاتية التي لم تأتِ من مصدر

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٩٠ .
(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٣٣٨ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١١- ٢١٢ .
(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٨٢ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

آخر كحياة الخلائق المكسوبة الموهوبة لها من الخالق ، ومن ثم يتفرد الله – سبحانه– بالحياة على هذا المعنى، كما أنها الحياة الأزلية الأبدية ، التي لا تبدأ من مبدأ ، ولا تنتهي إلى نهاية .

فهي متجردة عن معنى الزمان المصاحب لحياة الخلائق المكتسبة المحددة البدء والنهاية ، ومن ثم يتفرد الله – سبحانه – كذلك بالحياة على هذا المعنى .

ثم إنها هي الحياة المطلقة من الخصائص التي اعتاد الناس أن يعرفوا بها الحياة، فالله – سبحانه – ليس كمثله شيء ، ومن ثم يرتفع كل شبهٍ من الخصائص التي تتميز بها حياة الأشياء ، وتثبت لله صفة الحياة مطلقة من كل خصيصة تحدد معنى الحياة في مفهوم البشر ، وتنتفي بهذا جميع المفهومات الأسطورية التي جالت في خيال البشر " [١].

٢ – في ظلال قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾[٢]، يقول سيد : " الحي الذي يتصف بحقيقة الحياة الذاتية المطلقة من كل قيد ، فلا شبيه له في صفته " [٣].

٣ – في ظلال قوله تعالى :﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٤] ، يقول سيد : " أجل هو وحده الحي ، الحي حياة ذاتية غير مكسوبة ولا مخلوقة ، وغير مبتدئة ولا منتهية، وغير حائلة ولا زائلة ، وغير متقلبة ولا متغيرة، وما من شيء له هذه الصفة من الحياة ، سبحانه هو المتفرد بالحياة " [٥]، " وهو وحده الحي الذي لا يدركه سبحانه فناء ولا عدم "[٦].

وما ذكره سيد في النصوص السابقة هو ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب.

الفرع الثاني : صفة القيومية :

صفة القيومية عند السلف تدل على معنى الأزلية والأبدية ، وعلى كونه موجودًا

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢٨٧.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٢ .
(٣) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٦٥ .
(٤) سورة غافر ، الآية ٦٥ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٩٤ ، وينظر أيضًا ٥/ ٢٥٧٥.
(٦) مقومات التصور الإسلامي ص ٢٤٥ ، وخصائص التصور الإسلامي ص ١٥٧ .

بنفسه ،وعلى إقامته لغيره مع كمال غناه وقدرته[١].

صفة القيومية عند سيد قطب :

يثبت سيد قطب هذه الصفة بمعناها عند السلف فيقول : " وأما صفة القيوم فتعني قيامه – سبحانه – على كل موجود ، كما تعني قيام كل موجود به ، فلا قيام لشيء إلا مرتكزًا إلى وجوده وتدبيره ، لا كما كان أكبر الفلاسفة الإغريق – أرسطو– يتصور أن الله لا يفكر في شيء من مخلوقاته ، لأنه تعالى أن يفكر في غير ذاته !! ويحسب أن هذا التصور تنزيهًا لله وتعظيمًا ، وهو يقطع الصلة بينه وبين هذا الوجود الذي خلقه ، فالتصور الإسلامي تصور إيجابي لا سلبي ، يقوم على أساس أن الله – سبحانه – قائم على كل شيء ، وأن كل شيء قائم في وجوده على إرادة الله وتدبيره ، ومن ثم يظل ضمير المسلم وحياته ووجوده ووجود كل شيء من حوله مرتبطًا بالله الواحد ، الذي يصرف أمره ، وأمر كل شيء حوله ، وفق حكمة وتدبير، وقوله تعالى بعد ذكر صفة القيومية : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ توكيد لقيامه – سبحانه – على كل شيء وقيام كل شيء به ، ولكنه في صورة تعبيرية تقرب للإدراك البشري صورة القيام الدائم ، في الوقت الذي تعبر فيه ، عن مخالفة الله سبحانه لكل شيء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾وهي تتضمن نفي السِنَةِ الخفيفة ، أو النوم المستغرق ، وتنزهـه – سبحانـه – عنها إطلاقًا "[٢].

ويقول أيضًا: " ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ الذي به تقوم كل حياة ، وبه يقوم كل وجود ، والذي يقوم كذلك على كل حياة ، وعلى كل وجود ، فلا قيامٌ لحياة في هذا الكون ولا وجودٌ إلا به سبحانه "[٣].

الفرع الثالث : صفة العلم :

صفة " العلم " من الصفات الذاتية التي يثبتها أهل السُّنَّة والجماعة لله عز وجل – بناءً على ما جاء من نصوص شرعية في القرآن والسُّنَّة ، وهي صفة بها أحاط الله بجميع المعلومات على ما هي عليه، فلا يخفى عليه شيءٌ من الأمور الماضية

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٩– ٩٢ .
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٢٨٦ .
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٦٥

والحاضرة والمستقبلة ، ومن العالم العلوي والسفلى ، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ، كما قال سبحانه: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ (١). (٢).

أما المخالفون لأهل السُنّة طائفتان :

١) النفاة : وهم قسمان :

أ - الجهمية : الذين أنكروا الصفات عمومًا (٣).

ب- المعتزلة : الذين أثبتوا الاسم ونفوا الصفة كمذهبهم في سائر الصفات الإلهية لأن إثباتها عندهم يوجب – بزعمهم – تعدد القدماء متأثرين في ذلك بالفلاسفة فقالوا : إن الله عالم قادر حي بنفسه ، لا بعلمٍ وقدرةٍ وحياةٍ " (٤).

٢) الغلاة : ومن أشهر طوائفهم الرافضة (٥)، والباطنية (٦)، وغلاة الصوفية القبورية (٧)، الذين وقعوا في الشرك بإثبات صفة العلم المحيط والمطلق لغير الله تعالى ، حيث تطفح كتبهم في وصف الأئمة والأولياء بصفة العلم المطلق الذي لا يكون إلا الله سبحانه .

صفة العلم عند سيد قطب:

يثبت سيد قطب– رحمه الله – صفة العلم المحيط المطلق لله وحده، مستندًا في

---

(١) سورة الطلاق ، الآية ١٢ .

(٢) ينظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٢٤ -١٢٦ ، والتوحيد لابن خزيمة، ص ٩ ، والرد على الجهمية للدارمي ص ٢٠٨ ، والشرك بالله أنواعه وأحكامه ، ماجد شباله ، ص ٦٢٨ .

(٣) ينظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١١ ، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٧٣ .

(٤) ينظر :شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٦٢ - ١٦٣ ، والمقالات للأشعري ١/ ٢٤٤، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٥، والحيدة ، لعبد العزيز المكي ص ٥٥ .

(٥) ينظر : أصول الكافي للكليني تحقيق محمد جواد الفقية ، دار الأضواء بيروت ط١ عام ١٩٩٦م : ١/ ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ودلائل الإمامة لأبى جعفر الطبري الشيعي المطبعة الحيدرية النجف طبعة عام ١٣٦٩هـ ص ٦٧.

(٦) ينظر : تأويل الدعائم للقاضي نعمان بن محمد الإسماعيلي ١/ ١٤٥ ، والمجالس المؤيدية للشيرازي ص٤٤١ .

(٧) ينظر : شرح المواهب للزرقاني ٨/ ٣٠٥،والإنسان الكامل للجيلي ٣/ ٩٧، والطبقات الكبرى للشعراني ٢/ ١٥٠ .

إثباتها إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ وبيان ذلك فيما يأتي :

١ - إيجاد المخلوقات يستلزم اتصافه سبحانه بالعلم، فيستحيل إيجاد المخلوقات مع الجهل :

يقول سيد- رحمه الله - : " إن هذا الوجود من الدقة والتقدير، بحيث لا يقع فيه حادث إلا وهو مقدر من قبل في تصميمه ، محسوب حسابه في كيانه ، لا مكان فيه للمصادفة ، ولا شيء فيه جزاف وقبل خلق الأرض وقبل خلق الأنفس كان في علم الله الكامل الشامل الدقيق كل حدث سيظهر للخلائق في وقته المقدور . وفي علم الله لا شيء ماض ولا شيء حاضر ولا شيء قادم ، فتلك الفواصل الزمنية إنما هي معالم لنا .. نرى بها حدود الأشياء ... فأما الله سبحانه فهو الحقيقة المطلقة التي تطلع جملة على هذا الوجود ، بلا حدود ولا قيود ، وهذا الكون وما يقع فيه من أحداث وأطوار منذ نشأته إلى نهايته كائن في علم الله جملة بلا حدود فيه ولا فواصل من زمان أو مكان ، ولكل حادث موضعه في تصميمه الكلي المكشوف لعلم الله " (١).

٢- " أنه لا بد من العلم المحيط لإقامة ميزان الحق في الحياة : فما دام أن الاختلاف قائم في الحياة فلا بد أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء إليه المختلفون، وحكم عادل يرجع إليه المختصمون ، وقول فصل ينتهي عنده الجدل ، وهو ما بعث الله به النبيين وأنزل به الكتب ...

وإقامة ذلك الميزان الثابت تقتضي علمًا غير محدود ، علم ما كان وما هو كائن وما سيكون ، علمه كله لا مقيدًا بقيود الزمان التي تفصل الوجود الواحد إلى ماض وحاضر ومستقبل ، وإلى مستيقن ومظنون ومجهول ، وإلى حاضر مشهود ومغيب مخبوء ،ولا مقيدًا بقيود المكان التي تفصل الوجود الواحد إلى قريب وبعيد، ومنظور ومحجوب ، ومحسوس وغير محسوس ، في حاجة إلى إله يعلم ما خلق ، ويعلم من خلق ، ويعلم ما يَصْلح وما يُصْلِح حال الجميع " (٢).

٣- أن علم الله محيط وشامل لكل شيء :" فالله يعلم ما يكون قبل أن يكون " (٣)،

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٣٩ ، ١/ ٢١٧ بتصرف يسير.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢١٦-٢١٧ بتصرف .
(٣) في ظلال القرآن ١/ ١٣٢ .

" ويعلم ما يكون علمه بما هو كائن " [١] وهو سبحانه " يسمع القول ويعلم ما وراءه ، كما يعلم مكنون القلوب " [٢].

" فإثبات صفة العلم المطلق لله سبحانه وتعالى يتفق مع وحدانية الله – سبحانه– وقوامته " [٣] يقول سبحانه ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾[٤]، وهذه الحقيقة بطرفيها تساهم في تعريف المسلم بإلهه ، وفي تحديد مقامه هو من إلهه ، فالله يعلم ما بين أيدي الناس وما خلفهم ، وهو تعبير عن العلم الشامل الكامل المستقصي لكل ما حولهم ، فهو يشمل حاضرهم الذي بين أيديهم، ويشمل غيبهم الذي كان ومضى، والذي سيكون وهو عنهم محجوب ، ويشمل ما يعلمونه من الأمور وما يجهلونه في كل وقت ، فهو تعبير يفيد شمول العلم وتقصيه ، أما هم فلا يعلمون شيئًا إلا ما يأذن لهم الله أن يعلموه، وحقيقة علم الله الشامل من شأنه أن يحدث في النفس رجة وهـزة ، ويقفها عارية في كل لحظة أمام بارئها ... إنه – سبحانه – هو الذي يعلم وحده كل شيء علمًا مطلقًا شاملًا لدنيًا " [٥] ، " يشمل من في السموات والأرض من ملائكة ورسل وإنس وجن وكائنات لا يعلم إلا الله ما هي " [٦].

" ويرسم القرآن صورة لعلم الله الشامل المحيط ،الذي لا يند عنه شيء في الزمان ولا في المكان في الأرض ولا في السماء ، في البر ولا في البحر ، في جوف الأرض ولا في طبقات الجو من حي وميت ، ويابس ورطب بقوله سبحانه ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [٧] " [٨] .

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٢٢١٣ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٥ ، ٢٩٢ .
(٣) في ظلال القرآن ، ١/ ٣٦٨ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .
(٥) في ظلال القرآن ١/ ٢٨٩ ، ٢/ ٩٨٠، ٢/ ١١٠٨، ١١٣٥، ١٤٠١، ١٣٦٠، ١٨٤٨، ٢٣٢٨.
(٦) المصدر السابق ٤/ ٢٢٣٤ .
(٧) سورة الأنعام ، الآية ٥٩. .
(٨) في ظلال القرآن ، ٢/ ١١١١.

"إنه تصوير إلهي ، للعلم الإلهي ، في مطارح وآماد لا يتجه إليها خيال البشر إذا خطر لهم أن يصوروا شمول العلم الإلهي " (١)، " إن الخيال البشري لينطلق وراء النص القصير يرتاد آفاق المعلوم والمجهول ، وعالم الغيب وعالم الشهود ، وهو يتبع ظلال علم الله في أرجاء الكون الفسيح ، ووراء حدود هذا الكون المشهود ، وأن الوجدان ليرتعش وهو يستقبل الصور والمشاهد في كل فج وواد ، وهو يرتاد - أو يحاول أن يرتاد - أستار الغيوب المختومة في الماضي والحاضر والمستقبل.. مفاتحها كلها عند الله ، لا يعلمها إلا هو، ويجول في مجاهل البر ، وفي غيابات البحر ، المكشوفة كلها لعلم الله ، ويتبع الأوراق الساقطة من الأشجار لا يحصيها عدٌ ، وعين الله على كل ورقة تسقط هنا وهنا وهناك ، ويلحظ كل حبة مخبوءة في ظلمات الأرض لا تغيب عن عين الله ، ويرقب كل رطب و يابس في هذا الكون العريض، لا يند منه شيء عن علم الله المحيط .. إنها جولة تدير الرؤوس تذهل العقول، جولة في آماد من الزمان وآفاق من المكان ، وأغوار من المنظور والمحجوب، والمعلوم والمجهول... والفكر البشري لا يخطر له هذا الشمول والتتبع لمظاهر علم الله المحيط الشامل ولا يتأتى له ..

ومن صور شمول العلم الإلهي قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ (٢) " (٣).

وصورة أخرى لعلم الله الشامل المرهوب يمثلها قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤)، فهذه الدواب - وكل ما يتحرك على الأرض فهو دابة - من إنسان وحيوان وزاحفة وهامة ، ما من دابة من هذه الدواب التي تملأ وجه البسيطة ، وتكمن في باطنها ، وتخفى في دروبها ومساربها ، ما من دابة من هذه الدواب التي لا يحيط بها حصر ولا يكاد يلم بها إحصاء ، إلا وعند الله علمها ، وعليه رزقها ، وهو يعلم أين تستقر ،

(١) مقومات التصور الإسلامي ص ٣٠٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٧ .
(٢) سورة سبأ ، الآية ٢ .
(٣) في ظلال القرآن٢/ ١١١٢ ، ١١١٣٠ ، بتصرف و٣/ ١٧٩٠ - ١٧٩١ ، ٤/ ٢٢٩٧ ، ومقومات التصور الإسلامي ص٣٠٩.
(٤) سورة هود ، الآية ٦ .

وأين تكمن ، من أين تجيء ، وأين تذهب ، وكل فرد من أفرادها مقيد في هذا العلم الدقيق ، إنها صورة مفصلة للعلم الإلهي في حالة تعلقه بالمخلوقات ، يرتجف لها كيان الإنسان حين يحاول تصورها بخياله الإنساني فلا يطيق" [١] ، " ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] ، ويسبح الخيال مع الذرات السابحة في الأرض ، أو في السماء، ومعها علم الله و ما هو أصغر وأكبر محصور في علم الله " [٣].

٤- اختصاص الله وحده بالعلم المحيط والشامل وبعلم الغيب المطلق: "فمفاتيح الغيب بيده سبحانه لا يعلمها إلا هو ، وعند عتبة الغيب يقف الخلق كلهم ، بما في ذلك النبي ﷺ ، فهو سبحانه وحده المختص بالغيب دون العالمين " وما يطلع الله عليه رسله من الغيب فهو في حدود ما يعاونهم على تبليغ دعوته إلى الناس [٤]، " وأما البشر فلا يعلمون شيئًا إلا ما يأذن الله أن يعلمون " [٥]. " والجن كذلك محجوبون عن الغيب القريب ، فكيف يطلب بعض الناس عندهم الغيب البعيد"[٦].

الفرع الرابع : صفة القدرة المطلقة :

صفة القدرة المطلقة من الصفات الجامعة الثابتة لله وحده ، وقد وصف الله نفسه في آيات كثيرة بأنه قادر على كل شيء .

وأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون لله صفة القدرة المطلقة فالله على كل شيء قدير، وكل ممكن فهو مندرج في هذا ، وأما المحال لذاته فهو لا حقيقة له ، ولا يتصور وجوده ، ولا يسمى شيئًا باتفاق العقلاء ، ومن ذلك خلقه سبحانه مثل نفسه ، وإعدام نفسه ، وأمثال ذلك من المحال .

والأصل في إثبات صفة القدرة هو الإيمان بربوبية الله التامة ، فلا يؤمن بتمام

(١) في ظلال القرآن ٤/ ١٨٥٦ .
(٢) سورة يونس ، الآية ٦١ .
(٣) في ظلال القرآن ٣/ ١٨٠٤ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣٧ - ٣٧٣٨ . مقومات التصور الإسلامي ص ٣٠٩ .
(٥) في ظلال القرآن ١/ ٢٨٩، ٤/ ٢١٨٥ .
(٦) المصدر السابق ٥/ ٢٩٠٠ .

الربوبية وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير [١].

وقد حرفت المعتزلة مفهوم القدرة فقالوا : إنه قادرٌ على كل ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد فلا يقدرها عليهم ، وتنازعوا هل يقدر على مثلها أم لا ؟ فسلبوا صفة كمال القدرة على كل شيء ، ولو كان المعنى على ما قالوا لكان هذا بمنزلة أن يقال : هو عالم بكل ما يعلمه .. ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها [٢].

صفة القدرة المطلقة عند سيد قطب :

أما سيد قطب – رحمه الله – فيثبت صفة القدرة المطلقة لله سبحانه ، وكلامه في ذلك كثير جدًا في ظلال الآيات التي ورد لفظ القدرة حيث يقرر :

١ – أن الله قديرٌ على كل شيء ، فلا يعجزه أمرٌ ولا يفوته شيء ، فهو قادر على كل شيءٍ لا يعجزه أحد ، ولا يمتنع عليه أحد " [٣].

٢ – أن قدرة الله كاملة لا تتأثر بالزمن، مطلقة لا تقيد بحد ولا قيد، شاملة لكل شيءٍ كان أو يكون لا تنحصر في حدودٍ ،وأنه يفعل ما يشاء بلا معقب. [٤].

فمدلول قوله تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ واسع وشامل بحيث لا تبقى وراءه صورة لا يتناولها مدلوله [٥]، بما في ذلك أفعال العباد ، فكل شيءٍ داخل في عموم قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

الفرع الخامس : صفة الإرادة :

صفة الإرادة من الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى في كثير من نصوص الكتاب والسُّنَّة ، وهي عند أهل السُّنَّة والجماعة على نوعين :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١١٧ ، وينظر الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٠٨، درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٣/ ٢١،

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧ .

(٣) في ظلال القرآن ١/ ١٠٢، ١٣٦، ٥٤٢، ٢/ ٨٦٧، ٣/ ١٦٥٦، ١٨٥٥، ٤/ ٢٤١١، ٥/ ٢٧٣٠ .

(٤) ينظر : في ظلال القرآن ، ١/ ٣٣٨، ٣٨٤، ٢/ ١٠٠٢، ٣/ ٢٧٣٠، ٤/ ٢١٨٢، ٥/ ٣١٤٥، ٣٢٧٥، ٣٤٧٨، ٣١٤، ٣٥٤٤، ٣٥٨٤

(٥) المصدر السابق ، ٥/ ٢٩٢١ ، وينظر ايضًا ٦/ ٣٦٠٦، ٣٦٣١، ٢٩٥٠

١ – قدرية كونية خلقية ، وهي شاملة لجميع الحوادث،وهي المذكورة في قولهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

٢ – دينية أمرية شرعية : وهي المتضمنة للمحبة والرضى ، المتعلقة بأمره سبحانه، فالله تعالى وإن كان يريد المعاصي قدرًا،فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها، بل يبغضها وينهى عنها [١].

وخالف في ذلك القدرية المعتزلة : فزعموا أن الله لا يريد المعاصي بمعنى لا يقدرها ، وأنه سبحانه أراد الإيمان من الناس كلهم والكافر أراد الكفر ! . وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسُّنَّة والمعقول الصحيح [٢].

صفة الإرادة عند سيد قطب :

يثبت سيد قطب – رحمه الله – الإرادة صفةً لله سبحانه وتعالى، ويقرر أنها إرادة مطلقة شاملة لكل شيء ، حيث يقول في ظلال قوله تعالى :﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[٣] : " وهذه صفته الكثيرة التحقق الدائبة العمل ، فعال لما يريد ، فهو مطلق الإرادة ، يختار ما يشاء ، ويفعل ما يريده ويختاره ، دائمًا أبدًا فتلك صفته .

يريد مرة أن ينتصر المؤمنون في هذه الأرض لحكمة يريدها ، ويريد مرة أن ينتصر الإيمان على الفتنة ، وتذهب الأجسام الفانية لحكمة يريدها ، يريد مرة أن يأخذ الجبارين في الأرض ، ويريد مرة أن يمهلهم لليوم الموعود لحكمة تتحقق هنا وتتحقق هناك في قدره المرسوم .

فهذا طرف من فعله لما يريد .. وتبقى حقيقة الإرادة الطليقة ، والقدرة المطلقة وراء الأحداث ، ووراء الحياة والكون تفعل فعلها في الوجود " [٤].

ويقول: " فإرادته مطلقة غير مقيدة ، فإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون ، سواء أراد بالخلق سوءًا ، أم أراد بهم رحمة فمشيئته طليقة ، وإرادته حاكمة ،وهو سبحانه متفرد بالحكم وفق ما يريد، ليس هناك من يريد معه ، أو يحكم بعده ، أو

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٨ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .
(٣) سورة البروج ، الآية ١٦ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٧٥ .

يرد ما حكم به "[١].

كما يقررسيد الفرق بين الإرادة والمشيئة الشرعية الأمرية التي تتضمن المحبة والرضى ، وبين الإرادة القدرية الكونية الشاملة المتعلقة بالخلق والإيجاد لكل شيء، خيرًا أو شرًا لحكمة ، فيقول: " فالله سبحانه لا يريد لعباده الشرك، ولا يرضى لهم أن يحرموا ما أحله من الطيبات وإرادته هذه ظاهرة منصوص عليها في شرائعه على ألسنة رسله .. وآية عدم رضاه عن مخالفة أمره أخذه المكذبين .. إنما شاءت إرادة الخالق الحكيم أن يخلق البشر باستعداد للهدى والضلال ، وأن يدع مشيئتهم حرة في اختيار أي الطريقين ، ومنحهم العقل يرجحون به ، وأنزل لهم شرائع يزن وفقها العقل الأمور ، ثم هم فريقان بعد ذلك ، فريق استجاب للهدى ، وفريق ضل ، وكلاهما لم يخرج عن مشيئة الله ، إنما سلك طريقه الذي شاءت إرادة الله أن تجعل إرادته حرة في سلوكه بعدما زودته بمعالم الطريق "[٢].

الفرع السادس : صفتا السمع والبصر :

صفتا السمع والبصر من الصفات الإلهية التي جاءت بها الأدلة الشرعية في الكتاب والسُّنَّة ، ودلَّ عليها العقل أيضًا[٣].

وأهل السُّنَّة والجماعة يثبتونها لله سبحانه وتعالى ، بناءً على ما ورد فيهما من نصوص ، ونفت المعتزلة هاتين الصفتين ، وأرجع بعضهم معناها إلى الحياة ، وبعضهم إلى العلم[٤].

صفتا السمع والبصر عند سيد قطب: يثبت سيد قطب - رحمه الله - صفتا السمع والبصر لله تعالى- في ظلال كل آية ورد فيها وصف الله بالسمع والبصر ومن ذلك :

في ظلال قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ

---

(١) ينظر :في ظلال القرآن ٢/ ٨٣٧ ، ٨٦٦ ، ٥/ ٢٨٣٩ ، ٢٩٧٨ ، ٣٠٣٧.

(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢١٧٠ - ٢١٧١ بتصرف .

(٣) انظر : التوحيد لابن خزيمة ص ٤٦- ٤٧ ، وشرح الأصفهانية لابن تيمية ص ١٠٣ - ١١٩ ،والإبانة للأشعري ص ٢٢ ، والرد على الجهمية للدارمي ص ٢ ، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٩٣..

(٤) انظر : أصول الدين للبغدادي ص ٩٦، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٤٩، ومقالات الإسلاميين للأشعري ١/ ٢٥٥.

إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١).

يقول : " والسياق ينتقل في الآية من صيغة التسبيح لله ، .. إلى صيغة الوصف لله ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وفقًا لدقائق الدلالات التعبيرية بميزان دقيق حساس، فالتسبيح يرتفع موجهًا إلى ذات الله سبحانه ، .. والوصف بالسمع والبصر يجيء في صورة الخبر الثابت لذاته الإلهية " (٢).

يقرر في أكثر من موضع : أن الله سميعٌ بصيرٌ ، سميعٌ يسمع القول وما وراءه بصيرٌ يرى ، مع تنزيهه سبحانه عن مشابهة الخلق، حيث يقول في ظلال قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(٣) : " ثم تفرد هو دون خلقه جميعًا، فليس هناك من شيء يماثله – سبحانه –.. والفطرة تؤمن بهذا بداهة ،فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه، ومع أنه – سبحانه – ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ فإن الصلة بينه وبين ما خلق ليس منقطعة لهذا الاختلاف الكامل ، فهو يسمع ويبصر،﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ثم يحكم حكم السميع البصير" (٤).

٣- يقرر أيضًا : أن سمع الله محيط بكل شيء ، فقوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٥)، تقرير لملكية الله للخلائق كلها .. والتعقيب بصفتي السمع والعلم ، يفيد الإحاطة بهذه الخلائق ، ففيها تقرير بوجوب توحيد الله ، بما أنه المالك المتفرد بملكية كل شيء ، في كل زمان ومكان، الذي يحيط سمعه وعلمه بكل شيء ، وبكل ما يقال عن كل شيء كذلك " (٦).

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (٧).

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ١ .
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢١٢ .
(٣) سورة الشورى ، الآية ١١ .
(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٤٦ ، وينظر أيضًا ، ١/ ١٦٧ ، ٢/ ٦٨٩ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية ١٣ .
(٦) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٥٣ .
(٧) سورة المجادلة ، الآية ١ .

يقول سيد : " وقد سمع الله سبحانه المرأة ، وهي تحاور رسول الله ﷺ .. ولم تكد تسمعها عائشة وهي قريب منها ، وهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربة وعطفه ورعايته" (١). " فهذا هو الشأن الذي سمع الله ما دار فيه من حوار بين رسول الله ﷺ والمرأة التي جاءت تجادله فيه .. فإذا الله حاضر هذا الشأن الفردي لامرأة من عامة المسلمين ، لا يشغله من سماعه تدبيره ، لملكوت السموات والأرض ..

تقول عائشة - رضي الله عنها :- الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ في جانب البيت ، ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ (٢) . . وهو مطلع ذو إيقاع عجيب، إنكما لم تكونا وحدكما ، لقد كان الله معكما - وكان يسمع لكما، لقد سمع الله قول المرأة .. إن الله سميع بصير يسمع ويرى" (٣).

تنبيه : ذكر الشيخ الدويش - رحمه الله - قول سيد في قصة المجادلة في النص السابق: " وقد سمع الله للمرأة وهي تحاور رسول الله ﷺ فيهما ، ولم تكد تسمعها عائشة وهي قريبة منها ، وهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وعطفه ورعايته"، ثم علق عليها بقوله : " كلامه - أي سيد - تأويلٌ لصفة السمع ، وصرف لها عن ظاهرها ، وهذا قول أهل البدع ، وأما أهل السُّنَّة والجماعة فيثبتون له تعالى صفة السمع على ما يليق بجلاله وعظمته .. وأما ما ذكره فهو من لوازم هذه الصفة وليس هو معناها " (٤).

ويظهر أن الشيخ - رحمه الله - لو قرأ كلام سيد كاملًا- وهو في ثلاث صفحات في الظلال - لتبين له أن سيد يثبت الصفة بمعناها ، كما هو واضح في النص الذي نقلته عنه قبل قليل .

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٠٤ .

(٢) رواه : النسائي في الظهار ٣/ ٤٨٠ برقم ٣٤٦٠، وابن ماجه في الظهار ١/ ٦٥٨ برقم ٢٠٦٣ ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ٢/ ٤٨٨ .

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٠٥، ٣٥٠٦، بتصرف ، وينظر أيضًا : ١/ ١١٤ ، ١٦٧ ، ٢٤٤ ، ٢٦٤، ٢٩٢، ٣٩٤، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٢/ ٧٩٦، ٩٤٦ ، ٣/ ١١٩٥، ١٤١٩، ١٤٩٠ ، ١٥٢٦، ١٧٠١، ١٧٠٨، ٤/ ١٩٨٥، ٢٣١٨، ٢٤٤٥، ٥/ ٢٧٢٢، ٣٠٧٤، ٣٠٩٠، ٦/ ٣٣٣٨ .

(٤) المورد الزلال ، للشيخ عبد الله الدويش ص ٢٣٨ .

ولكن سيدًا – رحمه الله – كطريقته يربط بين النص القرآني ، وبين ما ينبغي فهمه واستشعاره من مدلول النص ، وهو ما أشار إليه في الفقرة السابقة .

وعمومًا فالنصوص السابقة كافية وصريحة في إثبات سيد صفتي السمع والبصر لله– تعالى– مع تنزيهه سبحانه عن مشابهة الخلق، و بأن الله يسمع ويرى، الأمر الذي يشعر الإنسان بقرب الله ومعيته وحضور أمره كله .

الفرع السابع : صفة الكلام :

صفة الكلام الإلهي من الصفات التي كثر الجدل حولها بين الفرق الإسلامية، وعظمت بسببها الفتنة لاتصالها بمسألة خطيرة تبنى الجهمية والمعتزلة ترويجها ونشرها بشتى الأساليب وهي مسألة " القول بخلق القرآن " ، مما جعل الناس يتنازعون فيها نزاعًا كبيرًا ، وينقسمون إلى طوائف مختلفة، حتى قيل إن علم الكلام إنما سمي كذلك أخذًا من الكلام في هذه الصفة ، وقد ذكر شارح الطحاوية – رحمه الله – أن الخلاف في هذه المسألة ينحصر في تسعة أقوال ذكرها ونسبها إلى أصحابها[١]، إلا أن أشهر تلك الأقوال في نظري ثلاثة قال بها ست فرق غير قول أهل السُّنَّة والجماعة وهي :

١ – الفلاسفة: يرون أن الكلام هو ما يفيض على النفوس ، من العقل الفعال أو من غيره، ويزعمون أن الله إنما كلم موسى من سماء عقله، أي بكلام حدث في نفسه لم يسمعه من خارج [٢].

وهذا القول بلا شك أبعد الأقوال عن روح الإسلام لكونه مناقضًا للنصوص الصريحة المثبتة للوحي وللكلام الإلهي حقيقة وليس خيالًا.

٢ – المعتزلة والجهمية : ينفون صفة الكلام الإلهي ، ويزعمون أن معنى كونه تعالى متكلمًا أنه خالقٌ للكلام في غيره ، وليس الكلام صفة قائمة به [٣]. وبالتالي فالقرآن عندهم مخلوق .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٧٢ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٣ ، ومجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٣/ ٣٨ .

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٥٢٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٣ .

٣ - الكلابية والأشعرية : يرون أن الله تعالى متكلمٌ بكلام قائم بذاته أزلًا وأبدًا، ولا يتعلق بمشيئته وقدرته ، أي أن الكلامَ نفسيٌ ، وأنهً قديم أزلي وليس بحرف ولا صوت ، وأن الذي نقرأه عبارة عن كلام الله القديم ، والمعنى فيه واحد هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار ، إن عُبَر عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عُبـر عنه بالعبرية كان توراة "[١].

٤ - أما أهل السُّنَّة والجماعة : فيرون أن الكلام صفة من صفات الله الذاتية والفعلية، فالله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا ، إذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، وهو يتكلم بصوت وحرف يُسمع ، وأن نوع الكلام قديم ، ولا يبحثون في كيفية تكلمه تعالى به ، وأن القرآن الكريم جميعه حروفه ومعانيه كلام الله منزل غير مخلوق .

ويستدلون على إثبات صفة الكلام وعلى أن القرآن كلام الله حقيقة بأدلة كثيرة ومتنوعة من الكتاب والسُّنَّة والعقل والإجماع ، ردَّوا بها على أدلة المخالفين من الجهمية المعتزلة والأشاعرة، وغيرهم ممن خالف في هذا الباب [٢].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - طرقًا عديدة في إثبات كون الله تعالى متكلمًا، منها :

إثبات الكلام لله تعالى كقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[٣]، وقوله ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[٤].

---

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ٢/ ٩٩ ، وأصول الدين للبغدادي ص ١٠٦ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٣ .

(٢) ينظر : خلق أفعال العباد للبخاري الدار السلفية الكويت ط عام ١٤٠٥هـ ص ١٣٦ ، والرد على الجهمية للدارمي الدار السلفية الكويت، ط١ عام ١٤٠٥هـ ص ٢٢٤ وما بعدها ، وشرح الأصفهانية لابن تيمية، والإبانة للأشعري ص ٣١- ٣٨ ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني تحقيق د/ الجديع دار العاصمة الرياض ط ٢عام ١٤١٩هـ ١/ ١٠٧ ومختصر الصواعق لابن القيم ٢/ ٢٩٣، ولوامع الأنوار للسفاريني ١/ ١٣٣ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٤، ١٨٥، والتمهيد لابن عبد البر ٧/ ٦١ .

(٣) سورة النساء ، الآية ١٦٤ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٤٣ .

إضافة القول إلى الله سبحانه كقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾[١] ، وقوله تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾[٢].

ما ذكره القرآن من كلمته سبحانه وكلماته كقوله تعالى :﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾[٣]، وقوله :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[٤].

ما ذُكر في القرآن من مناداته سبحانه ومناجاته ، كقوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾[٥] وقوله ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِى ﴾[٦].

ما في القرآن من ذكر إنبائه وقصصه كقوله تعالى: ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾[٧]، وقوله ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[٨].

ما ذُكر في القرآن من إضافة الحديث إلى الله كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[٩]، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾[١٠].

ما ورد في القرآن من وصف للقرآن نفسه بأنه كلام الله تعالى كقوله : ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[١١]، وغير ذلك من الأدلة التي تدل على اتصافه سبحانه بصفة الكلام[١٢].

ما ذكره القرآن من أن كلمات الله تعالى لا نهاية لها ، كما في قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١١٥ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٤ .
(٣) سورة يونس ، الآية ١٩ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ١١٥ .
(٥) سورة مريم، آية ٥٢ .
(٦) سورة القصص ، الآية ٦٢ .
(٧) سورة التوبة ، آية ٩٤ .
(٨) سورة يوسف ، آية ٣ .
(٩) سورة النساء ، آية ٨٧.
(١٠) سورة الزمر ، آية ٢٣ .
(١١) سورة التوبة ، آية ٦ .
(١٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص ٦٦ .

﴿ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ (١).

يقول ابن القيم - رحمه الله - : "وقد ضرب الله تعالى لكلامه واستمراره ودوامه المثل بالبحر، يمده من بعده سبعة أبحر، وأشجار الأرض كلها أقلام، فيفنى المداد والأقلام ولا تنفد كلماته، أفهذا صفة من لا يتكلم، ولا يقوم به كلام ؟ فإذا كان كلامه ،وتكليمه، وخطابه، ونداؤه، وقوله، وأمره، ونهيه، ووصيته، وعهده، وإذنه وحكمه، وإنباؤه وإخباره، وشهادته، كل ذلك مجاز لا حقيقة له، بطلت الحقائق كلها، فإن الحقائق إنما حقت بكلمات تكوينه ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢). فما حقت الحقائق إلا بقوله وفعله " (٣).

صفة الكلام عند سيد قطب:

بما أن صفة الكلام مرتبطة بقضية خلق القرآن وبما أن البعض يتهم سيدًا بأنه يقول بخلق القرآن فسأعرض هنا موقف سيد من إثبات صفة الكلام الإلهي أولًا، ومن ثم موقفه من قضية خلق القرآن وذلك فيما يأتي :

أولًا : موقف سيد قطب من إثبات صفة الكلام الإلهي :

يثبت سيد قطب - رحمه الله - لله تعالى صفة الكلام كصفة من صفات سبحانه، لا تشبه صفات المخلوقين، وإن كان بحرف وصوت وهو كلام يسمع، وينسب إلى الله تعالى حقيقة لا مجازًا .

وبالنظر فيما ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - وغيره من طرق إثبات كلام الله تعالى المتنوعة الأساليب، وبعرض كلام سيد - رحمه الله - حول الموضوع، على كلام السلف في طرق إثبات الكلام الإلهي، نجد أنه يوافقهم في ذلك، وبيان ذلك كما يأتي :

---

(١) سورة الكهف، الآية ١٠٩ .
(٢) سورة يونس، الآية ٨٢ .
(٣) مختصر الصواعق لابن القيم، ٢/ ٢٨٦ .

١ - يثبت سيد قطب صفة الكلام لله تعالى في مواطن متفرقة وأنه كلام يسمع ومن ذلك:

أ - في ظلال قوله تعالى في قصة آدم: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [١].

يقول: " وسمعا هذا العتاب والتأنيب من ربهما على المعصية، وعلى إغفال النصيحة، أما كيف كان النداء، وكيف سمعاه، فهو كما خاطبهما أول مرة، وكما خاطب الملائكة، وكما خاطب إبليس، كلها غيب لا ندري عنه إلا أنه وقع، وأن الله يفعل ما يريد " [٢].

كما يثبت كلام الله لأهل الجنة وتسليمه عليهم [٣]، وكذا حواره - سبحانه - مع أهل النار ومنعهم من الكلام معه سبحانه [٤]، وغيره ذلك.

ب - يثبت كلام الله لموسى عليه السلام في مواطن كثيرة منها:

- في ظلال قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [٥]، يقول: " وهذا المشهد الفذ الذي اختص الله به نبيه موسى - عليه السلام، مشهد الخطاب المباشر بين الجليل - سبحانه - وعبد من عباده، المشهد الذي تنصل فيه الذرة المحدودة الفانية، بالوجود الأزلي الأبدي بلا وساطة، ويطيق الكائن البشري أن يتلقى عن الخالق الأبدي، .. ولا ندري نحن كيف .. لا ندري كيف كان كلام الله - سبحانه - لعبده موسى.. ولا نحاول أن نفسده بسؤالنا عن الكيفية.. إنها الوهلة المذهلة وموسى يتلقى كلمات ربه، وروحه تتشوق وتشتاق إلى ما يشوق! فينسى من هو ويطلب ما لا يكون لبشر في هذه الأرض، وما لا يطيقه بشر في هذه الأرض، يطلب الرؤية الكبرى" [٦].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٢.
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٦٩.
(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٧٣.
(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٤٨١.
(٥) سورة الأعراف، الآية ١٤٣.
(٦) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٦٨ بتصرف يسير.

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [١]، يقول : " نفهم من قوله الله سبحانه لموسى- عليه السلام - أن المقصود بالناس الذين اصطفاه عليهم هم أهل زمانه - فالرسل كانوا قبل موسى وبعده ، فهو الاصطفاء على جيل من الناس بحكم هذه القرينة ، أما الكلام فهو الذي تفرد به موسى - عليه السلام - " [٢].

ويقرر أيضًا أن الله تعالى كلَّم موسى تكليمًا ، وأن هذا الكلام نوع من أنواع الوحي إلى الرسل فيقول : " وموكب الأنبياء واحد في تاريخ البشرية .. كلهم تلقى الوحي من الله .. وإذا كان الله قد كلم موسى تكليمًا فهو لون من الوحي لا يعرف أحد كيف كان يتم .. فلا نعلم إلا أنه كان كلامًا " [٣].

" وحين يذكر تكليم الله لأحدٍ من الرسل ينصرف الذهن إلى موسى - عليه السلام - " [٤].

ويقول أيضًا " كل ذلك وموسى - عليه السلام - بين يدي ربه في مناجاة وكلام "[٥].

ج - في ظلال قوله تعالى ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ [٦]... خذوه كلمة تصدر من العلي الأعلى ، فيتحرك الوجود كله على هذا المسكين الصغير الهزيل ، ويبتدره المكلفون بالأمر من كل جانب . كما جاء في الأثر " إذا قال الله تعالى : خذوه ابتدره سبعون ألف ملك.. " [٧] " [٨].

هـ - وفي ظلال قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٩]. يقول سيد : "ودلالة هذه الكلمة تبرز من نواح شتى - من كونها كلمة من الله الكبير المتعال .. وفي إطاقة محمد ﷺ لتلقيها ، وهو يعلم من ربه هذا قائل هذه الكلمة ما هو ؟ ما عظمته ؟ ما

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٤٤ .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٦٩- ١٣٧٠ .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٨٠٥ بتصرف يسير .
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٨٠ .
(٥) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٧٤ .
(٦) سورة الحاقة ، آية ٣٠.
(٧) انظر : تفسير ابن كثير ٨/ ٣٦١٣ ، ونسبه إلى الفضيل بن عياض .
(٨) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٨٢ .
(٩) سورة القلم ، الآية ٤ .

دلالة كلماته ؟ .. ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها أعظم بصدورها عن العلي الكبير ..أعظم بتلقي محمد لها .. وبقائه بعدها ثابتًا راسخًا .. وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير" (١).

فهذه نماذج من كلام سيد في إثبات الكلام لله تعالى، وهناك نصوص أخرى في مواطن متعددة (٢).

٢ - **يقررسيد قطب أن كلمات الله متجددة لا تنفد :** لأن علمه سبحانه لا يحد ، وقدرته على الخلق والتكوين المتجددين بغير ما نهاية ، ومشيئته المطلقة التي لا نهاية لما تريد .

ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣)، يقول: " إن البشر يكتبون علمهم ويسجلون قولهم ويمضون أوامرهم ، عن طريق كتابتها بأقلام ... يمدونها بمداد من الحبر ونحوه ، ولا يزيد هذا الحبر ونحوه على ملء دواة أو ملء زجاجة .

فها هو ذا يمثل لهم أن جميع ما في الأرض من شجر تحول أقلامًا ، وجميع ما في الأرض من بحر تحول مدادًا ، بل إن هذا البحر أمدته سبعة أبحر كذلك ، وجلس الكتّاب يسجلون كلمات الله المتجددة الدالة على علمه ، المعبرة على مشيئته ، فماذا ؟ لقد نفدت الأقلام والمداد ، نفدت الأشجار ونفدت البحار ، وكلمات الله باقية ، لم تنفد ولم تأت لها نهاية ، ... إن كلمات الله لا تنفد لأن علمه لا يحد ، ولأن إرادته لا تكف ولأن مشيئته – سبحانه – ماضيةٌ ليس لها حدود ولا قيود " (٤).

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٥٦ بتصرف يسير .

(٢) ينظر ذلك في : ظلال القرآن ١/ ٣٣، ٥٠ ، ٨٤، ١١٨، ٣٧٠، ٥٢١، ٧٢١، ٢/ ٦٨٦، ٩٢٤، ١٠٤٩، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ٣/ ١٢٢٨، ١٣٦٧، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٤٨٣، ١٦٥١، ١٧١٦، ١٧٨٦، ٤/ ١٨١٥، ١٨٥٥، ١٨٦١، ٥/ ٢٧٤٤، ٣١٨٧، ٦/ ٣٣٠١، ٣٧٣٥، ٣٧٦٧، ٣٨١٢، ٣٨٢٥، ٣٩٣٧، ٣٩٦١. وغيرها .

(٣) سورة لقمان ، الآية ٢٧ .

(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٥ بتصرف يسير.

٣ - يقررسيد قطب أن الله تعالى "يتحدث" وأنه" يخاطب"الخلق، وهي من مرادفات الكلام :

فيقول في مقدمة الظلال: " لقد عشت أسمع الله - سبحانه - يتحدث إليَّ بهذا القرآن" (١). وفي ظلال قوله تعالى : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ ﴾(٢)، يقول : " فما يتلو عليكم هو الحق، والإيحاء الآخر هو الإشعار بعظمة التفضل في أن يخاطب الله العبيد بكلامه ، يتلوه عليهم رسولهم - ، وهو تفضل يرتعش القلب إزاءه .. فمن هم هؤلاء الناس .. حتى يخاطبهم الله سبحانه بكلماته ، ويتحدث إليهم بقوله ، ويمنحهم هذه الرعاية الجليلة " (٣).

" وهذا القرآن هو القرآن ، كلام الله إلينا وخطاب الله لهذا الإنسان الذي لا يتغير"(٤) ، " وتتجلى منةُ الله في تكريمه للناس بإرسال رسول من عنده يخاطبهم بكلام الله الجليل ، .. فلو تأمل الإنسان أن الله الجليل ، سبحانه - يتكرم عليه ، فيخاطبه بكلماته ، يخاطبه ليحدثه عن ذاته الجليلة وصفاته... ثم يخاطبه ليحدثه عن شأنه هو -الإنسان- وعن حياته .. يخاطبه ليدعوه إلى ما يحيه ويصلح قلبه وحاله " (٥).

ويقول : " لقد كان الله سبحانه يخاطب بهذا الكلام - أي القرآن - أمة مؤمنة به " (٦)، "وهذا حديث الله سبحانه ووعده ، ومن أصدق من الله حديثًا " (٧).

ويقول أيضًا : " ويظهر التعبير العلاقة بين المخَاطَب - وهو الرسول ﷺ - والقائل وهو الله عزَّ وجلَّ - وهو يقول له : ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ (٨)،(٩).

---

(١) المصدر السابق ١/ ١١ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٥١ .
(٣) في ظلال القرآن ١/ ١٣٨ بتصرف يسير .
(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٠٧ وينظر أيضًا ١/ ٤٣٩ .
(٥) المصدر السابق ١/ ٥٠٧ بتصرف .
(٦) المصدر السابق ، ٢/ ٦٨٢ .
(٧) المصدر السابق ، ٢/ ٧٢٩ .
(٨) سورة البروج ، آية ١٢ .
(٩) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٧٥ .

وفي ظلال قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [١]، يقول : " فهو وحي من الله ، يتلوه الله على نبيه ﷺ وفي التعبير معنى التكريم والقرب والود ، فماذا بعد أن يتولى الله تعالى التلاوة على محمد نبيه " [٢].

٤- إثبات صفة النداء والمناداة والمناجاة لله- تعالى- وهي من مرادفات الكلام؛ ومن ذلك :

أ – قوله : " والآيات تبدأ بتوجيه الخطاب إلى الرسول ﷺ ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾[٣].. ثم تأخذ في عرض الحديث – كما تسمى القصة – وهو إيحاء بواقعيتها فهي حديثٌ جرى ، فتبدأ بمشهد المناداة والمناجاة ، ﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[٤]... ولحظة النداء لحظة رهيبة جليلة ، وهي لحظة كذلك عجيبة ، ونداء الله بذاته سبحانه – لعبد من عباده أمر هائل ، أهول مما تملك الألفاظ البشرية أن تعبر، وهي سر من أسرار الألوهية العظيمة ، كما هي سر من أسرار التكوين الإنساني التي أودعها الله هذا الكائن ، وهيأه بها لتلقي ذلك النداء ، وهذا أقصى ما نملك أن نقوله في هذا المقام . .. وفي مواضع أخرى تفصيل للمناجاة بين موسى وربه في هذا الموقف ...﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ والطغيان أمر كريهٌ، شديد الكراهية حتى ليخاطب الله بذاته عبدًا من عباده ليذهب إلى الطاغية " [٥].

ب– في ظلال قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٦]، يقول سيد : ﴿ نُودِىَ ﴾ بهذا البناء للمجهول – وهو معلوم – ولكنه التوقير والإجلال والتنظيم للمنادي العظيم ﴿ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [٧] ، نزه الله ذاته وأعلن ربوبيته ، وكشف لعبده أن الذي يناديه

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٨ .
(٢) في ظلال القرآن ، ١/ ٤٠٤ . ينظر أيضًا المواضع الآتية: ، ٢/ ٧٩٣ ، ٣/ ١٣٦٨، ١٤٠٧ ، ٦/ ٣٨ .
(٣) سورة النازعات ، الآية ١٥ .
(٤) سورة النازعات ، الآية ١٦ .
(٥) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٨١٤
(٦) سورة النمل ، الآية ٨ .
(٧) سورة النمل ٨ ، ٩ .

هو لله العزيز الحكيم .. وكان النداء للاصطفاء .. ولم يذكر هنا ذلك النجاء الطويل الذي في سورة طه لأن العبرة المطلوبة هي النداء والتكليف" (١).

٥ - إضافة النطق والقول لله سبحانه وتعالى :وذلك في مواضع كثيرة جداً منها:

١ - في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢) ، يقول سيد : " ثم إذا صوت البشر عامة يتوارى ، لينطق رب العزة والجلالة وصاحب الملك والحكم: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٣) (٤).

٢- في ظلال قوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥) ،يقول سيد: " هذه التسبيحة توحي بزيادة بركة الله ومضاعفتها وتمجيد هذه البركة.. وهي ترنيمة تتجاوب بها أرجاء الوجود ، ويعمر بها قلب كل موجود ، وهي تنطلق من النطق الإلهي في كتابه الكريم ، من الكتاب المكنون إلى الكون المعلوم " (٦).

٣- أما إضافة القول ومشتقاته مما يدل على الكلام كقال ، ويقول ، وقوله ، ونحوها فكثير جدًا في كلام سيد في تفسيره للآيات ووقفاته معها، يصعب سردها هنا اكتفى بأمثلها منها : - قوله -رحمه الله - : " كما قال الله في التعبير القرآني البليغ الدقيق ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ (٧).

- وقوله : " وحين يقول الله في القرآن". " فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له حيثما قرئ هو الأليق بجلال هذا القول ، وبجلال قائله سبحانه، وإذا قال الله،أفلا

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٢٩ بتصرف يسير وينظر أيضًا ٥/ ٢٦٨٩، ٢٦٩٢ ، ٢٦٩٣ ، ١/ ٤٨٩ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٥٠.
(٣) سورة الأعراف ، الآية ٥١
(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٩٤ .
(٥) سورة الملك ، الآية ١ .
(٦) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٣١ .
(٧) المصدر السابق ٢/ ١٦٨٥ .

يستمع الناس وينصتوا ؟ " [١].

ثانيًا : موقف سيد قطب من قضية خلق القرآن :

قضية القول بخلق القرآن من أشهر القضايا في تاريخ علم الكلام والفرق الإسلامية ، وقد ظهر هذا القول في أوائل المائة الثانية للهجرة ، على يد الجعد بن درهم [٢]، ولعله أخذه عن المشركين الصائبة [٣] ، ثم أخذه عن الجعد بعد ذلك تلميذه الجهم بن صفوان[٤]، وأظهره وناظر عليه حتى قتل ، ثم انتقل ذلك القول إلى المعتزلة وأظهروه في خلافة المأمون ، وأمتحن به أئمة الإسلام مدةً من الزمن [٥].

والقول بخلق القرآن كان نتيجة لمغالاة القائلين به في التنزيه حتى وقعوا في تعطيل الصفات ونفيها خوفًا من أن الإثبات يؤدي إلى التشبيه أو القول بتعدد القدماء . وهو الأمر الذي جعلهم ينفون الصفات الإلهية عن الله ، ومنها صفة الكلام – لئلا يتعدد القدماء – في زعمهم – لأن هذه الصفات إن كانت قديمة كذات الله تعدد القدماء !! بناءً على أن الصفات غير الذات . وقد تمسك المعتزلة بشبهات اعتقدوا أنها تدل على صحة مذهبهم ، وقد أورد شارح الطحاوية عددًا منها وردَّ عليها [٦].

والذي يهمنا هنا هو بيان موقف –سيد قطب – من قضية " خلق القرآن " حيث يتهمه البعض بأنه يقول بخلق القرآن [٧] ، فما صحة هذا القول ؟ والجواب عن ذلك يحتاج إلى تفصيل وبسط وإيضاح وهو ما سنعرضه في النقاط الآتية :

---

(١) المصدر السابق ، ١/ ٢٨٨ ، ٣/ ١٤٢٥ وينظر أيضًا المواضع الآتية : ١/ ١٣٧ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢/ ٦٧٦ ، ٩٤٦ ، ١٠٦٥ ، ١٠٧٧ ، ٣/ ١٢٠٨ ، ١٢١٦ ، ١٤٢٥ ، ١٤٣٧ ، ١٥٦٨ ، ١٦٩٢ ، ١٧١٩ ، ١٧٤٥ ، ٤/ ١٩٤٥ ، ٥/ ٣٠٢٠ ، ٣١١٧ ، ٦/ ٣٣٢٥ ، ٣٣٣٨ ، ٣٤٧٨ ، ٣٧٥٩ ، ٣٨٧٦ ، ومقومات التصورات ص ٨٥ ، ٣١٤ ، وخصائص التصور ٨/ ٩ .

(٢) هو : الجعد بن درهم من الموالي ، كان مؤدبًا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وكان أول من نفى صفة الكلام ، وانتهى أمره إلى الصلب سنة ١٢٤هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٣٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩/ ٣٥٠ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٦ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للألكائي ٣/ ٤٢٥ – ٤٢٨ .

(٤) هو : الجهم بن صفوان ولد بسمرقند ، أول من قال بالجبر وخلق القرآن ، ونفي الأسماء والصفات وعدمها ، توفى سنة ٢١٨هـ انظر ترجمته في الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٨٦ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٥ – ٣٩٦ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢١ – ٢٢ .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٥ – ١٨٩ .

(٧) أضواء على عقيدة سيد قطب للمدخلي ص ١٤٢ ، والحد الفاصل د/ ربيع المدخلي مكتبة الفرقان عجمان ، ط٣ عام ١٤٢٢هـ ص ١٠٨ ، والمورد الزلال للدويش ص ١٧٩ .

١ - سبب اتهام سيد قطب بالقول بخلق القرآن :

السبب الذي جعل بعضهم يتهم سيدًا بالقول بخلق القرآن هو الاستناد إلى عبارات لسيد في تفسيره لبعض الآيات في الظلال ، حيث فهموا منها أنه يقول بخلق القرآن.

وسأعرض هنا بعض الأدلة التي أوردها الدكتور/ ربيع المدخلي ، مستدلًا بها على أن سيد قطب يقول بخلق القرآن ، وأقف معها وقفات تحليلية في ضوء ما وجدت من كلام لسيد في كتبه حول الموضوع حتى تتبين لنا حقيقة الأمر ، والله نسأل أن يهدينا إلى سواء الصراط .

والأدلة التي ذكرها الدكتور/المدخلي هي :

الدليل الأول : أن سيد قطب يطلق على القرآن أنه " صنع الله " أو " صنعة الله "، والصنع يعنى "الخلق" ، فكون القرآن " مصنوع " أي أنه " مخلوق" [١].

ومن النصوص التي استدل بها ما يأتي:

١ – قول سيد – رحمه الله – : " ومثل هذه الأحرف – أي " ألف . لام . ميم" – يجيء في مقدمة بعض السور القرآنية .. وهي إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف ، وهي في متناول المخاطبين به من العرب ، ولكنه – مع هذا – هو ذلك الكتاب المعجز ، الذي لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله ، الكتاب الذي يتحداهم مرة ومرة ومرة أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله فلا يملكون لهذا التحدي جوابًا ! . [٢](*)

والشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعًا ، وهو مثل صنع الله في كل شيء ، وصنع الناس ، إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات ، فإذا أخذ الناس هذه الذرات فقصارى ما يصوغونه فيها لبنة أو آجرة أو آنية أو أسطوانة أو هيكلا أو جهازًا كائنًا في دقته ما يكون ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة ، حياة نابضة خافقة ، تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز ، سر

(١) أضواء على عقيدة سيد قطب – ربيع المدخلي ص ١٤٤ ، والحد الفاصل له أيضًا ص ١١٠.
(٢)(*) من هنا بدأ الدكتور المدخلي استدلاله ، ولم يذكر الفقرة السابقة ! .

الحياة، ذلك السر الذي لا يستطيعه بشر ، ولا يعرف سره بشر [١](*).

وهكذا القرآن حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلامًا وأوزانًا ، ويجعل منها الله قرآنًا وفرقانًا والفرق بين صنع البشر وصنع الله في هذه الحروف والكلمات هو الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض وهو الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقة الحياة) [٢].

٢ – قول سيد قطب في تفسير أول سورة العنكبوت: " ألف . لام . ميم ، الحروف المقطعة التي اخترنا في تفسيرها أنها للتنبيه إلى أن مادة الكتاب الذي أنزله الله على رسوله ﷺ مؤلفًا من مثل هذه الحروف المألوفة للقوم ، الميسرة لهم ليؤلفوا منها بما يشاءون من القول [٣]. ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها مثل هذا الكتاب، لأنه من صنع الله لا من صنع إنسان " [٤].

٣ – قول سيد في تفسير سورة (ص) : " هذا الحرف "صاد" يقسم به الله سبحانه، كما يقسم بالقرآن ذي الذكر ، وهذا الحرف من صنعة الله تعالى ، فهو موجده ، موجده صوتًا في حناجر البشر ، وموجده حرفًا من حروف الهجاء التي يتألف من جنسها التعبير القرآني ، وهي في متناول البشر ، ولكن القرن ليس في متناولهم لأنه من عند الله وهو متضمن صنعة الله التي لا يملك البشر الإتيان بمثلها، لا في القرآن ولا في غيره ، هذا الصوت " صاد " الذي تخرجه حنجرة الإنسان إنما يخرج هكذا من هذه الحنجرة بقدرة الخالق المبدع ، الذي صنع الحنجرة وما تخرجه من أصوات، وما يملك البشر أن يصنعوا مثل هذه الحنجرة الحية التي تخرج هذه الأصوات ، وإنها لمعجزة خارقة لو كان الناس يتدبرون الخوارق المعجزة في كل جزئية من جزئيات كيانهم القريب [٥] ، ولو عقلوها ما دهشوا لوحي يوحيه الله لبشر يختاره

---

(١)(*) إلى هنا اكتفى الدكتور المدخلي بالنقل ولم ينقل العبارات اللاحقة ، انظر : أضواء على عقيدة سيد قطب ، ص ١٤٣ .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣٨ .

(٣) من هنا بدأ الدكتور ربيع بالنقل ولم يذكر ما قبله . انظر : أضواء على عقيدة سيد قطب ص ١٤٤ –١٤٥ .

(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧١٩ .

(٥) إلى هنا اكتفى الدكتور ربيع بالنقل ولم يكمل بقية العبارة . انظر : أضواء على عقيدة سيد قطب ص ١٤٥ .

منهم ، فالوحي ليس أكثر غرابة من إيداع تكوينهم هذه الخصائص المعجزات "[١].

٤ – قول سيد أيضًا : " وكما أن الروح من الأسرار التي أختص الله بها ، فالقرآن من صنع الله الذي لا يملك الخلق محاكاته ، ولا يملك الإنس والجن – وهما يمثلان الخلق الظاهر والخفي – أن يأتوا بمثله ، ولو تظاهروا وتعاونوا في هذه المحاولة ، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٢].

فهذا القرآن ليس ألفاظًا وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها ، إنما هو كسائر ما يبدعه الله يعجز المخلوقون أن يصفوه ، وهو كالروح من أمر الله لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل ، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره [٣] إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه وعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه ، يحيط بما يحيط به "[٤].

وقفة مع الدليل الأول: من خلال النظر في النصوص السابقة التي أوردها الدكتور/ المدخلي للاستدلال بها على أن سيد قطب يقول بخلق القرآن كالمعتزلة يظهر لنا الآتي :

أن النصوص السابقة ليس فيها كما يقول الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله – حرفًا واحدًا يصرح فيه سيد بأن القرآن مخلوق ، وإنما هو كلامٌ أدبيٌ ، وتمدد في الأسلوب كقوله : " ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا يصوغوا – من تلك الأحرف مثله ، لأنه من صنع الله لا من صنع البشر" وهي عبارة لا نشك في خطئها ، لكن لا نستطيع أن نحكم من خلالها على سيد بهذه المقولة الكفرية " خلق القرآن "[٥].

وحتى الدكتور المدخلي نفسه يصرح في أثناء رده على الدكتور بكر أبو زيد – بأنه وقف على كلام سيد هذا الذي يطلق فيه سيد على القرآن أنه من صنع الله قبل أكثر

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٠٦ – ٣٠٠٧ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٨٨ .

(٣) إلى هنا اكتفى الدكتور ربيع بالنقل ولم يكمل بقية العبارة . انظر : أضواء على عقيدة سيد قطب ص ١٤٤ .

(٤) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٤٩ ، ٢٢٥٠ .

(٥) النصيحة الذهبية ، للشيخ الدكتور بكر أبو زيد ، ص ٢– ٣ .

من عشرين سنة ، ولم يقدم على اتهامه لسيد بخلق القرآن بناءً عليه حتى انضمت على هذا أدلة أخرى كما يقول – وسيأتي عرضها – فكلامه هذا يدل على أن عبارات –سيد –هذه ليس صريحة في الدلالة على أنه يقول بخلق القرآن [٦]، وإنما هو كلام محتمل لأكثر من وجه وبالتالي فلا يصح حمله وقصره على وجه واحد [٧] ، خاصة وأن أهل اللغة والأدب يستعملون لفظ الصنع للدلالة على صياغة الكلام وتركيب الألفاظ والجمل فللنثر صناعة عند العرب وللشعر صناعة وهكذا، والعرب لا يقصدون خلق الشعر أو الكلام إنما يقصدون بالصنعة تركيب الكلام ، فالكلام صفة وتركيبه وصياغته صنعه [٨].

أن سيدًا– رحمه الله – يقارن في النصوص السابقة بين إعجاز القرآن الذي تشير إليه الأحرف المقطعة ويتضح من خلال صياغة الله لهذا القرآن المعجز البليغ في نظمه وتركيبه ، وبين عجز البشر على أن يصوغوا مثل القرآن مع أن الأحرف التي يتكون منها القرآن – كلام الله – في متناول يد البشر ، ومع ذلك فإنهم عجزوا عن التحدي الإلهي لهم في أن يأتوا بمثله ، وهذا ما يشير إليه كلام سيد في بداية النص الأول من النصوص السابق ذكرها ولم ينقلها الدكتور المدخلي والذي يذكر فيه سيد أن القرآن مؤلف من جنس الأحرف المقطعة ، وهي في متناول العرب ، ومع ذلك عجزوا أن يصوغوا منها مثله ، لأن الصياغة هنا في الكلام الإلهي تحمل طابع الإعجاز، وهو الشأن في كل ما ينسب إلى الله ، وحاول سيد أن يوضح ذلك بمثالٍ وهو المقارنة بين إعجاز القرآن والإعجاز في خلق الإنسان .

فالمادة في الحالتين واحدة ، ولكن النتيجة مختلفة فالتراب قصارى ما يصوغ منه الناس لبنة أو آجرة أو نحو ذلك مما يحمل الطابع البشري ، بينما الله تعالى يجعل منه شيئًا معجزًا .

والقرآن في الأصل مكون من حروف و كلمات ، يصوغ منها البشر كلامًا وأوزانًا تحمل الطابع البشر، بينما يصوغ منها الله كلامًا معجزًا لا يقدرون على محاكاته .

(٦) الحد الفاصل د/ ربيع المدخلي ص ١١٠ .
(٧) فكر سيد قطب ، لمحمد أبو صعيليك ص ١٢٧ .
(٨) ينظر في ذلك : المزهر في اللغة للسيوطي ، ١/ ١٧١ ، وما بعدها ، البلاغة للزمخشري ص ٣٦ ، والتعريفات للجرجاني ص ١٧٦، والخصائص لابن جني ٢/ ٥٨ .

فهو في ضربه للمثل بالإنسان والقرآن لم يشر إلى تساويهما في كون كل منهما مخلوق وإنما الإشارة إلى الفارق في الإعجاز بين ما ينسب إلى الله وما ينسب إلى غيره فالإنسان خلقه معجز لأنه خلق الله ، والقرآن صياغته معجزة لأنه كلام الله [١].

وكذلك الحال في بقية النصوص السابقة حيث نجد في المقاطع التي لم يذكرها الدكتور المدخلي في بداية النص أو نهايته ما يوضح المراد من لفظ " الصنع " الوارد في كلام سيد بأنه صياغة وتأليف الكلام المكون من حروف وكلمات ،ووصف القرآن بأنه وحي معجز وأن الإعجاز هو شان ما ينسب إلى الله .

وفي بعض المواضع كان سيد يتحدث عن المنهج الذي أنزله للبشر ويصفه بأنه من صنع الله ففهم البعض بأنه يقصد القرآن [٢]، بينما المنهج المراد به المسلك والطريق والصراط الذي أراد الله منهم السير عليه ، ولم يقصد سيد في هذا الموضع القرآن، وهذه الملاحظة ذكرت في تقرير الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في السعودية ، عن كتاب المورد الزلال للدويش عند الإذن بطبعه [٣].

أن سيدًا -رحمه الله- فرق في مواضع متعددة من كلامه عن القرآن وغيره، بين الخلق والإنزال ، فهو يتحدث عن المخلوقات بلفظ " خلق " وعن القرآن بلفظ "أنزل" ومن أمثلة ذلك :

أ- قوله: " فالذي نزل القرآن من الملأ الأعلى هو الذي خلق الأرض والسماوات العلى " [٤].

ب- قوله: " ويقلب قلوبهم بين أصابع الرحمن ، في لمسات تشهد بأن منزل هذا القرآن هو خالق هذه القلوب .. " [٥].

ج - قوله : " فتبارك الله خالق القلوب ، ومنزل هذا القرآن شفاء لما في

(١) ينظر في ذلك : المنهج الحركي في ظلال القرآن ، د / صلاح الخالدي دار عمان الأردن ط٢ عام ١٤٢١هـ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ ، وفكر سيد قطب لمحمد أبو صعيليك ص ١٢٨ .
(٢) المورد الزلال للدويش ص ٤٣ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٣٣١ .
(٤) في ظلال القرآن ، ٤/ ٢٣٢٨ .
(٥) المصدر السابق ، ٥/ ٢٧٤٤ .

الصدور "[١].

د – قوله: " والله خالق القلوب ، ومنزل هذا القرآن .. يشير إلى آيات الله المبثوثة في الكون ويوجه قلوبهم إليها لعلها توقضها .. وتستجيش فيها الحساسية بالله منزل هذا الكتاب ، وخالق هذا الكون العظيم "[٢].

هـ– قوله:"..إنها طريقة الله ، مبدع الكون، وخالق الإنسان ،ومنزل القرآن "[٣].

و – قوله:" .. والله خالق الجبال ومنزل القرآن يقول:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[٤] ، [٥].

فلو كان سيد ممن يقول بخلق القرآن لصرح بلفظ الخلق في المواضع السابقة وما الداعي للتفريق بين المخلوقات والقرآن قول الله المنزل .

أن سيدًا – رحمه الله – يثبت بأن القرآن كلام الله تعالى ، وخطابه وحديثه ، وقوله، وأنه حروف وأصوات ، ومن ذلك:

أ – قوله في كلامه عن قضية الجبر والاختيار " فالنصوص القرآنية تقول : إن كل ما يحدث بإرادة الله وقدره ، وتقول في الوقت ذاته ، إن الإنسان يريد ويعمل ويحاسب على إرادته وعمله ، والقرآن كله كلام الله ، ولن يعارض بعضه بعضًا ، فلا بد إذن أن تكون هناك نسبة معينة بين هذا القول وذاك "[٦].

ب – في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾[٧] ، يبين أن الإسلام حريص على هداية القلوب البشرية .. وأن المشركون الذين يطلبون الجوار والأمان في دار الإسلام يجب أن يعطوا ذلك .. ففي

(١) المصدر السابق ، ٥/ ٢٨٠٠ .
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣٢٢١ .
(٣) المصدر السابق ، ٦/ ٣٤٦٨ .
(٤) سورة الحشر ، الآية ٢١ .
(٥) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٣٢ .
(٦) في ظلال القرآن ٢/ ٧١٩ ، الهامش (١ .
(٧) سورة التوبة ، الآية ٦ .

إعطائهم فرصة سماع القرآن ومعرفة هذا الدين لعلهم أن يهتدوا " [١]. فهو يفسر كلام الله المقصود بالآية بالقرآن الكريم .

ج - قوله : " والقرآن هو كلام الله الباقي ، وخطاب الله لهذا الإنسان الذي لا يتغير "[٢].

د - في ظلال قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[٣].

يقول : " وقد وجد أعداء الإسلام في هذه الآية منفذًا للتشكيك في صدق الوحي بهذا القرآن، بحجة أن ضرب الأمثال هكذا لا يصدر عن الله ، وأنه سبحانه لا يذكر الأشياء الصغيرة كالذباب والعنكبوت في كلامه .. فجاءت الآيات دفعًا لهذا وبيانًا للحكمة ... وأوضحت حال المؤمنين الذين يتلقون كل ما يصدر عن ربهم- سبحانه- بما يليق بجلاله - وفي كل قول يجيئهم من عند الله " [٤].

هـ- قوله ايضًا: "ونقف عند سمة من سمات التعبير القرآني ذات الدلالة العميقة: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[٥]، فصدر الآية من كلام الله التقريري ، أما باقيها فهو من كلام المؤمنين يحلقه السياق - بلا فاصل - بكلام البارئ- سبحانه- في السياق ، وكله قرآن منزل " [٦]. وهناك كثير من النصوص في هذا الباب [٧].

٥- يقرر سيد قطب أن الكتب السابقة هي كلام الله تعالى المنزل على الرسل، ومن ذلك :

- قوله : " والفريق المشار إليه هنا.. هم الأحبار والربانيون الذين يسمعون كلام

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٦٠٢ بتصرف .
(٢) المصدر السابق ٣/ ١٤٠٧.
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٦ .
(٤) في ظلال القرآن ١/ ٥٠ بتصرف .
(٥) سورة البقرة ، الآية ١٣٨ .
(٦) في ظلال القرآن ، ١/ ١١٨ .
(٧) ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ١/ ٣٧٠ ، ٥٢١، ٨٠٥، ٢/ ٦٨٥ ، ٦٨٦، ٧٢١، ٩٢٥، ٩٤٠ ، ١٠٤٩، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ٣/ ١٢٢٨، ١٣٦٧، ١٣٧٥ ، ١٤٨٣، ١٧٩٠، وغيرها .

الله ، المنزل على نبيهم موسى في التوراة ثم يحرفونه عن مواضعه " (١).

– وقوله عنهم أيضًا: " وكانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه " (٢).

– وقوله " وهذه الألواح – أي التوراة – التي كانت تحمل كلمات ربه، وهو –أي موسى عليه السلام – لا يلقيها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه " (٣).

وقوله: " والرسل دائمًا هم أول المؤمنين بعظمة ربهم وجلاله ، وبما ينزله عليهم من كلماته " (٤).

وقوله : " إن هذا الكتاب – أي القرآن – منزل من الله ، وهو مؤلف من أحرف وكلمات شأنه شأن الكتب السابقة " (٥).

فهذه النصوص تبين أن سيد قطب يرى أن كل الكتب السابقة المنزلة على الأنبياء ومنها التوراة ، هي كلام الله سبحانه أيضًا كالقرآن الكريم " إنها عبارات وكلمات مصوغة ومؤلفة من أحرف ... ومع ذلك لا يستطيع البشر أن يصوغوا مثلها "(٦).

الدليل الثاني : أن سيد قطب معطل للصفات :

يستدل د / المدخلي على أن سيد يقول بخلق القرآن ، بأن سيد قطب من معطلة الصفات فيقول : ومن الأدلة على أن سيدًا يقول بخلق القرآن أنه من معطلة الصفات ، صفات الله جلا وعلا ، ولا يمت إلى أهل السُّنَّة المثبتين بأي صلة في هذا الباب ، فقد عطل صفة استواء الله على عرشه ، وصفة مجيئه يوم القيامة ، وصفة اليدين ، وينكر عرش الله وكرسيه أو شك فيهما ، ويعطل صفتي القبض والبسط ورفع عيسى إلى السماء ... " (٧).

---

(١) في ظلال القرآن ، ١/ ٨٤ .
(٢) المصدر السابق ، ١/ ٣٣ .
(٣) المصدر السابق ٣/ ١٣٦٩ .
(٤) المصدر السابق ٣/ ١٣٧٤ .
(٥) المصدر السابق ١/ ٣٦٤ .
(٦) ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ١/ ٣٨ ، ٣٦٤ ، ٣/ ١٧٥٩ ، ٢٠٤٣ ، ٢٣٠١ ، ٤/ ٢٨٠٤ ، ٢٨٠٥ ، ٥/ ٣١٣٩ ، ٣١٧٠ .
(٧) الحد الفاصل ، د/ ربيع المدخلي ص ١١٠ وما بعدها .

وقفة مع الدليل الثاني : كلام الدكتور ربيع هنا يحمل طابع المبالغة ، وما ذكره من أن سيد قطب من المعطلة لصفات الله غير صحيح ، فقد سبق معنا بيان موقف سيد من صفات الله تعالى وأنه يثبتها في الجملة على منهج أهل السُّنَّة عدا أخطاء في تفسير بعض الصفات وهو أمرٌ لم يسلم منه بعض العلماء من أهل السُّنَّة .

أما ما ذكره من أمثلة فاغلبها لا تصح نسبتها إلى سيد ، فهو وإن كان يفسر الاستواء في بعض المواطن بغير ما فسره السلف إلا أنه لم يعطل صفة المجيء واليدين ولم ينكر العرش والكرسي ونحوه مما ذكره المدخلي ، وسيأتي بيان موقف سيد من هذه الصفات التي ذكر الدكتور ربيع أنه يعطلها في ثنايا هذا المبحث ، وبناءً على ما سبق بيانه من موقف سيد من الصفات وما سيأتي بيانه أيضًا عند الحديث عن موقف سيد من بقية الصفات- لا نسلم للدكتور/ المدخلي بما أدعاه من أن سيد قطب من معطلة الصفات وبالتالي لا يصح هذا دليلًا على أنه يقول بخلق القرآن .

الدليل الثالث : استعمال سيد للعبارات المطاطة :

يستدل د / المدخلي أيضًا على أن سيد يقول بخلق القرآن ، بأن سيدًا يستعمل العبارات المطاطة التي لا يدركها كثير من الناس حذرًا من أن توجه إليه سهام النقد وخاصة في القضايا التي يرى نفسه أنه مخالف فيها لأهل السُّنَّة ، ويذكر من أمثلة ذلك أن سيد قطب كان يؤمن بالاشتراكية ولكنه تجنبًا للنقد ألف كتابًا أسماه " العدالة الاجتماعية " يقرر فيه الاشتراكية ولم يصرح باسمها حتى لا ينتقده العلماء " [1].

وقفة مع الدليل الثالث: يرى د/ المدخلي في النص السابق أن سيد قطب كان متعمدًا مخالفة ما عليه أهل السُّنَّة ، وأنه كان يستعمل الألفاظ المطاطة حذرًا من النقد ، أقول هذا طعن في النيات ، وعلمها عند ربي ، فليس لنا أن نحكم بأن نيته كانت كذا أو كذا ، لنا الظاهر والله يتولى السرائر .

الدليل الرابع : تجاهل سيد لفتنة خلق القرآن التي حصلت بين أهل السُّنَّة والمعتزلة :

ذكر د / المدخلي أن سيد تجاهل فتنة خلق القرآن ، وأنه لا يتصور أن سيد في

(١) الحد الفاصل ، د/ ربيع المدخلي ص ١١١ .

حياته لم يسمع قط بها [١].

وقفة مع الدليل الرابع : ما ذكر من تجاهل سيد لفتنة خلق القرآن غير صحيح، فسيد يعرف تمامًا هذه القضية وما هو سببها ، وقد ذكرها سيد في آخر كتبه "مقومات التصور الإسلامي " في سياق رده على مناهج المتكلمين الذين تأثروا بمنهج الفلاسفة ، فنفوا صفات الله تعالى ، وفيما يلي نص سيد ، عن فتنة خلق القرآن وسببها وموقفه منها :

يقول سيد: " وكذلك تصبح البراهين الذهنية التجريدية على وجود الله – سبحانه– وهي التي اتجه إليها علماء التوحيد – بتأثير منطق أرسطو – والتي تعتمد على المقولات العقلية وحدها، بعيدة في منهجها وغريبة على المنهج الإسلامي وهذا المنهج القرآني، لأنها أضعف أنواع البرهان في هذا المجال ، وأدعاها للجدل والمراء.

ولقد أبعد المعتزلة وهم ينفون الصفات عن الله – سبحانه – لئلا يتعدد القدماء لأن هذه الصفات إن كنت قديمة كذات الله تعدد القدماء ! فهذا قياس ذهنيٌ بحت لا يتعامل مع الواقع ، ولا مع المنهج القرآني ، فالله سبحانه قد وصف نفسه بصفاته ، ومن هذه الصفات ما يقرر وحدانيته وأزليته وأبديته وإحاطته – سبحانه – بكل شيء إلى آخر أسمائه الحسنى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٢]، ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣].

إنما تابع المعتزلة منطق أرسطو ، وتجريدات " أفلوطين " المهّومة ! ولم يتابعوا

---

(١) الحد الفاصل ، د/ ربيع المدخلي ص ١١٢ .
(٢) سورة الحديد ، الآيات ١ –٣ .
(٣) سورة الحشر ، ٢٢ – ٢٤ .

المنهج القرآني ، وهو المنهج الإسلامي الأصيل ، وكذا فعلوا فيما عرف في تاريخ الفكر الإسلامي بعنوان " فتنة خلق القرآن " لئلا يكون القرآن قديما فيتعدد القدماء! والبحث على هذا النحو بجملته غريب على الفكر الإسلامي ، وعلى المنهج الإسلامي ، فالقرآن وحي الله وكلامه وكفى ... ولله سبحانه صفاته وأسماءه الحسنى ، ولكن البشر لا يملكون إدراك كيفية هذه الصفات ، فهو سبحانه سميع يسمع، وبصير يرى ، وعليم يعلم " (١).

وواضح من كلام سيد – رحمه الله – أنه يعرف تمامًا فتنة خلق القرآن ، وأن سببها هو تأثر المعتزلة بمنهج الفلسفة الغربية في التعامل مع النصوص ، وأن المعتزلة رأوا أن الصفات غير الذات وبالتالي فإن إثبات الصفات لله تعالى لا يخلوا من حالتين :

١ – إما أن تكون الصفات حادثة لله بعد أن لم تكن، وهذا يعني أن الله سبحانه محلًا للحوادث وهذا مستحيل .

٢ – وإما أن تكون قديمة كالذات ، فهذا يعني إثبات قديمين وهذا غير ممكن أيضًا، فلم يكن أمامهم في هذه الحالة إلا أن ينفوا صفات الله تعالى خوفًا من تعدد القدماء! وهذا هو أساس قولهم بخلق القرآن، فما داموا نفوا صفات الله بما فيها الكلام لزم أن يقولوا بأن القرآن ليس من صفات الله وليس كلام بل هو مخلوق ، فأبعدوا بهذا عن المنهج الإسلامي في هذا الباب كما يقول سيد ، لأن المنهج الإسلامي يقرر أن القرآن وحي الله وكلامه ، وأن لله أسماءه وصفاته الحقيقية، فهو سميع يسمع، وبصير يرى إلى آخر تلك الأسماء والصفات .

وبهذا يتضح لنا أن سيد قطب ينقد المعتزلة في تعاملهم مع الصفات وفي قولهم بخلق القرآن كذلك ويثبت صفات الله التي نفاها المعتزلة، كالسمع والبصر والعلم، بمعانيها الدالة عليها خلافًا للمعتزلة .

الدليل الخامس: أن سيد قطب ينكر صفة الكلام الإلهي ويرى أنه مجرد توجه الإرادة:

يقول د / المدخلي : " وقد وجدت لسيد قطب أقوالًا في الظلال ، وغيره ينكر

(١) مقومات التصور الإسلامي ص ٢٧٨– ٢٧٩ .

فيها أن الله يتكلم ، ويرى أن كلام الله هو مجرد الإرادة كقوله : " عن إرادة هذا الإله الواحد يصدر الكون بطريق واحد ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [١]، فلا واسطة بين الإرادة الموجدة والكون المخلوق ، ولا تعدد في الطريقة التي يصدر بها هذا الكون كله عن الخالق الواحد ، إنها مجرد الإرادة التي يعبر عنها القرآن بكلمة " كن " وتوجه هذه الإرادة كاف وحده لصدور الكون عنها"[٢] ، ويقول أيضًا : " فقوله تعالى إرادة ، وتوجه الإرادة ينشىء الخلق المراد"[٣]، فهذا تعطيل لصفة كلام الله التي صرح بها القرآن ودان بها السلف "[٤] .

ويستدل أيضًا بقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [٥] : " نودي بهذا البناء للمجهول فما يمكن تحديد مصدر النداء ولا اتجاهه ولا تعيين صورته ، ولا كيف سمعه موسى أو تلقاه ، نودي بطريقة ما، فتلقى بطريقة ما ، فذلك من أمر الله نؤمن بوقوعه ولا نسأل عن كيفيته ، لأن كيفيته وراء مدارك البشر وتصورات البشر " [٦].

قائلًا: " فهذه النصوص من سيد واضحة قاطعة بأن الرجل مغرق في إنكار أن الله يتكلم ،مغرق بالقول بخلق القرآن " [٧].

وقفة مع الدليل الخامس : قول الدكتور/ المدخلي: بأن هذه النصوص لسيد ناطقة بأن الله لا يتكلم ولا يخلق بالقول غير مسلَّم به لأسباب :

١- أنه لا يوجد فيها عبارة صريحة ينفي فيها سيد قطب عن الله صفة الكلام وأنه لا يخلق بالقول .

٢- أن سيد قطب- رحمه الله - كما سبق - يثبت صفة الكلام لله حقيقة ، وقد

---

(١) سورة يس ، الآية ٨٢ .
(٢) السلام العالمي والإسلام ص ١٥ .
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢١٤٠ .
(٤) الحد الفاصل ، د/ ربيع المدخلي ص ١١٢- ١١٣ .
(٥) سورة طه ، الآيتان ١١ ، ١٢ .
(٦) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٣٠، ٢٣٣١ .
(٧) الحد الفاصل للمدخلي ، ص ١١٢- ١١٤ . وأضواء إسلامية ص١٤٥-١٤٧ . .

أوضحنا ذلك في بداية الحديث عن موقفه من صفة الكلام الإلهي ، وأوردنا نصوصًا كثيرة يثبت فيها سيد أن الله يتكلم ويتحدث ويخاطب وينادي وغير ذلك من المرادفات لصفة الكلام [١].

٣- أما قوله بأن سيد قطب يقول: بأن الخلق لا يتم بالقول وإنما يتم بتوجه الإرادة، وإن كان مفهومًا من النص الذي ذكره د / المدخلي ، إلا أنه أحد الاحتمالات التي ذكرها سيد لمعنى كن ، كما يقول في قصة خلق عيسى: " هذه النفخة هي الكلمة؟ آلكلمة هي توجه الإرادة ؟ آلكلمة : " كن " التي قد تكون حقيقة ، وقد تكون كناية عن توجه الإرادة ؟ والكلمة هي عيسى أو هي التي منها كينونته ؟ كل هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات " [٢].

بالإضافة إلى أن لسيد عبارات أخرى يصرح فيها بأن الخلق يكون بالكلمة وأن الكلمة هي القول ومن ذلك قوله : " الذي يقول كن فيكون قوله الحق ، سواءً في القول الذي يكون به الخلق ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ أو القول الذي يأمر به بالاستسلام له وحده ،أو القول الذي يشرع به للناس أو القول الذي يخبر به عن الماضي والحاضر والمستقبل.. قوله الحق في هذا كله " [٣].

وقوله : " إنه الله القاهر فوق عباده ، إنه موجد الأكوان والحيوان والأفراد والأشياء بقوله : كن ولا زيادة " [٤].

ويذكر في نصوص أخرى أن الخلق ينبثق من كلمة كن ، ولا شك أن كلام الله متعلق بإرادته فهو يتكلم متى شاء " .

٤- أما استدلال الدكتور المدخلي على أن سيدًا ينكر صفة الكلام بقول سيد: "نودي بهذا البناء للمجهول فما يمكن تحديد مصدر النداء ، ولا اتجاهه ولا صورته، ولا كيف سمعه موسى .. الخ" فاستدلال غير موفق لما يأتي :

أ- أن قول سيد - رحمه الله -: " نودي ، بصيغة البناء للمجهول .." إلخ . لا يقصد

---

(١) انظر : الفرع السابع من هذا المطلب .
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣٩٨.
(٣) المصدر السابق ٢/ ١١٣٤ .
(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٣٣٧ .

به أن المنادي مجهول غير معلوم، بل جاءت الصيغة هكذا للتعظيم، والتوقير للمنادي، حيث يقول -سيد- في ظلال الآية الأخرى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] : "﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ ﴾ بهذا البناء للمجهول - وهو معلوم، ولكنه التوقير والإجلال والتعظيم للمنادي العظيم ... وسجل الوجود كله بقية النداء والنجاء ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ نزه الله ذاته، وأعلن ربوبيته للعالمين، وكشف لعبده أن الذي يناديه هو الله العزيز الحكيم.."[2].

وفي تفسير سورة القصص يقرر- سيد- أيضًا أن المنادي هو الله وأن الله كلمَّ موسى فيقول: " إنه - أي موسى - عائد ليتلقى ما لم يخطر له على بال، لينادية ربه ويكلمه .."[3].

ب- أن النص نفسه يدل على أن سيدًا لا ينكر صفة الكلام، فهو يقول في النص: " نودي بطريقة ما ونؤمن بوقوعه، ولا نسأل عن كيفيته "، وهذا لا شك هو الصواب في مسألة الصفات الإلهية كلها، نؤمن بها دون أن نسأل عن كيفيتها " .

وكلام سيد حول عدم معرفة كيف تلقى موسى لكلام الله وكيف سمعه فيه نظر، فموسى سمعه بأذنيه ووعاه بقلبه كالبشر، ولعل سيدًا - رحمه الله - يقصد كيف قوي موسى وأطاق بتكوينه البشري تلقي كلمات الله ونداءه المباشر، كما يدل عليه قوله في موضع آخر: " وكيف تطيق ذات محدودة فانية أن تتلقى كلام الله الأزلي الأبدي "[4]. وفي هذا تعظيم لشأن الوحي والتلقي عن الله .

ج - أن لسيد -رحمه الله - كلامًا صريحًا يثبت فيه أن الله يكلم الأنبياء ومنهم موسى عليه السلام حقيقة، ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[5]، يقول: " ويقطع هذا النص بأنه ليس من شأن إنسان أن يكلمه الله مواجهة، وقد

(١) سورة النمل، الآية ٨ .
(٢) في ظلال القرآن، ٥/ ٢٦٢٩.
(٣) المصدر السابق، ٥/ ٢٦٨٩، وينظر أيضًا، ٥/ ٢٦٩١- ٢٦٩٢ .
(٤) المصدر السابق ٦/ ٣١٧٠ .
(٥) سورة الشورى، الآية ٥١ .

روي عن عائشة - رضي الله عنها - : " من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية "[١]. إنما يتم كلام الله للبشر بواحدة من ثلاث :

* ﴿ وَحْيًا ﴾ يلقى في النفس مباشرة فتعرف أنه من الله .

* ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ كما كلم الله موسى - عليه السلام - وحين طلب الرؤية لم يجب إليها ، ولم يطلق تجلي الله على الجبل ...

* ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ وهو الملك ﴿ فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾، بالطرق التي وردت عن رسول الله ﷺ "..... ثم ذكر صور الوحي نقلا عن زاد المعاد لابن القيم ثم قال: " هذه صور الوحي وطرق الاتصال ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ يوحي من علو ، ويوحي بحكمة إلى من يختار .. وما من مرة وقفت أمام آية تذكر الوحي أو حديث .. إلا أحسست له رجفة في أوصالي.. كيف يكون هذا الاتصال بين هذه الذات العلية وذات إنسان متحيز في المكان والزمان" [٢].

فهذه مجموعة من النصوص لـ - سيد قطب - يتبين من خلالها أنه لم يكن ينكر صفة الكلام الإلهي ، وتكليم الله لموسى - عليه السلام - كما ذكر الدكتور المدخلي .

والخلاصة في هذه المسألة : أن نسبة القول بخلق القرآن إلى سيد قطب غير صحيحة لما يأتي:

١ - أن الأدلة التي ساقها الدكتور المدخلي لا تدل على أن سيد قطب يقول بخلق القرآن كما رأينا .

٢- أن سيد قطب ينتقد نفاة الصفات ويثبت الصفات الإلهية عمومًا وإن أخطأ في تفسير بعضها، لكن إطلاق القول بأنه معطل للصفات كغلاة الجهمية غير صحيح .

٣-أنه يقرر ما عليه السلف من إثبات الصفات ومنها صفة الكلام الإلهي كما سبق.

---

(١) رواه : البخاري في كتاب بدء الخلق ٣/ ١١٨١ برقم ٣٠٦٢ ، ومسلم في الإيمان باب هل رأى النبي ﷺ ربه ١/ ١٣٩ برقم ١٧٧ .

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٦٩ - ٣١٧٠ بتصرف يسير .

٤- أنه في تفسيره للآيات التي استدل بها المعتزلة على خلق القرآن لم يقرر ما قرروه، وإنما فسرها بما فسرها به السلف [١].

٥- إثبات سيد قطب أن القرآن والكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله كالتوراة وغيرها، هي كلام الله تعالى أوحى به إلى عباده المختارين .

٦- أن سيدًا ينتقد المعتزلة في قولهم بخلق القرآن بكلام صريح ويذكر فيه " أنهم أبعدوا في نفي الصفات خوفًا من تعدد القدماء ، وأن هذا المنهج جعلهم يقولون بخلق القرآن ، وأن كلامهم غريب على الفكر الإسلامي ، حيث يقول " إنما تابع المعتزلة منطق " أرسطو " وتجريدات " أفلوطين " ولم يتابعوا المنهج القرآني ، وهو المنهج الإسلامي الأصيل ، وكذلك فعلوا فيما عرف في تاريخ الفكر الإسلامي بعنوان " فتنة خلق القرآن " لئلا يكون القرآن قديمًا فيتعدد القدماء ، والبحث في هذا النحو بجملته غريب على الفكر الإسلامي وعلى المنهج الإسلامي فالقرآن وحي الله وكلامه وكفى " [٢] ، فهذا النص كاف وحده لأبطال التهمة والله أعلم.

الفرع الثامن: صفات العزة والعظمة والكبرياء والجلال ونحوها:

وهذه الصفات ثابتة لله عز وجل في نصوص الكتاب والسُّنَّة ويدل عليها العقل أيضًا فهي من لوازم الألوهية الحقة ، وسيد - رحمه الله - في ظلال الآيات التي ذكرت هذه الصفات يثبتها لله وحده وينبه إلى المعاني التي ينبغي استشعارها من هذه الصفات :

١ - يقرر - رحمه الله - انفراد الله - سبحانه - بصفة العزة ، واختصاصه بها دون سواه ، " وأنه سبحانه قد استأثر بالعزة ، فلا يجدها إلا من يتولاه ، ويطلبها عندها، ويركن إلى حماه " [٣].

" فالعزة كلها لله ، وليس شيء منها عند أحد سواه ، فمن كان يريد العزة ، فليطلبها من مصدرها الذي ليس لها مصدر غيره ، ليطلبها عند الله ، فهو واجدها

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٦٩٣ ، ٣١٢٨، ٣١٧٦ ..
(٢) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٢٧٨ .
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٧٨٠ ، ٥/ ٣٠٠٣ .

هناك ، وليس بواجدها عند أحد ، ولا في كنف أحد ، ولا بأي سبب " فلله العزة جميعًا " .. وإذن فمن كان يريد العزة والمنعة فليذهب إلى المصدر الأول .. ليأخذ من الأصل الذي يملك وحده كل العزة .. " (١).

والسياق " يفرد الله بالعزة هنا ، ولا يضيفها إلى الرسول والمؤمنين - كما في الموضع الآخر - لأن السياق سياق حماية الله لأوليائه ، فيفرده بالعزة جمعيًا - وهي أصلا لله وحده - والرسول والمؤمنون يستمدونها منه- ليجرد منها الناس جميعًا . " (٢).

٢ - ويقرر سيد رحمه الله - أيضًا - تفرد الله سبحانه بالكبرياء والعظمة ، فيقول : " فالكبرياء صفة الله وحده ، لا يقبل فيها شريكًا ، وحيثما تكبر إنسان في الأرض كان ذلك تكبرًا بغير الحق " (٣). " وينطلق صوت التمجيد ، يعلن الكبرياء المطلقة لله في هذا الوجود، حيث يتصاغر كل كبير، وينحني كل جبار ، ويستسلم كل متمرد ،للكبرياء المطلقة في هذا الوجود ، ومع الكبرياء والربوبية العزة القادرة والحكمة المدبرة .. " (٤).

الفرع التاسع : صفة العلو :

العلو صفة من صفات الله تعالى الذاتية ، التي لا تنفك عنه - سبحانه -، والعلو: مصدر مشتق من اسم العلي ، وقد دل عليها الكتاب والسُّنَّة والعقل والفطرة ، والكتب القديمة ، وأجمع على ذلك السلف من الصحابة ومن بعدهم . (٥).

وعلو الله تعالى مطلق من كل الوجوه ويشمل :

١ - علو القدر والشأن . ٢ - علو القهر . ٣ -علو الفوقية والذات (٦).

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٩٣٠ .

(٢) المصدر السابق ٥٣ ١٨٠٤ وينظر أيضًا المواضع الآتية : ٢/ ٨٣٧، ٨٦٦ ، ٥/ ٢٨٣٩، ٢٩٧٨، ٣٠٣٧، ٦/ ٣٥٨٠ . .

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٣٧١ ، وينظر أيضًا ٥/ ٢٩٠٤ ، ٣٠٧٢ .

(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٣٢٣٤ وينظر أيضًا المواضع الآتية ٤/ ٢٠٤٩، ٥/ ٢٧٩٦ .

(٥) ينظر في ذلك : الرد على الجهمية للدارمي ص ١٣ ، ٢٦ ، والشريعة للآجري ص ٢٨٨، والتوحيد لابن منده ٣/ ١٨٥، والعرش لابن أبي شيبه ص ٢٨٤، ومختصر الصواعق لابن القيم ص ٣٥٨،و اجتماع الجيوش لابن القيم ص ٩٦، والعلو للإمام الذهبي ص ٩٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٥ وما بعدها ، ومعارج القبول لحافظ الحكمي ١/ ١٤٤ .

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨٨ .

وأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون لله تعالى العلو المطلق المتضمن لما سبق ، ويرون أن من أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص .

أما المخالفون لأهل السُّنَّة فإنهم يثبتون لله علو الشأن والقهر ، وينكرون أو يؤولون علو الفوقية والذات ، فينكرون أن يكون سبحانه في السماء ويزعمون أنه في كل مكان ولا تحده الجهات [١].

صفة العلو عند سيد قطب :

يمكن بيان موقف سيد قطب - رحمه الله – من صفة العلو المطلق فيما يأتي :

١ - موقفه من علو الشأن :

والمقصود به تفرده سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبالمثل الأعلى في السموات والأرض، وكونه سبحانه﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله .

وقد مر معنا [٢]– أن سيد ينزه الله سبحانه عن مشابهة الخلق ، ويقرر تفرده سبحانه بصفات الكمال والجلال دون سواه ، فلا يشاركه فيها أحد ، وليس كمثله شيء إنما هو الفرد الصمد[٣].

٢ - موقفه من علو القهر :

يقرر – رحمه الله – " أن الله هو القاهر فوق عباده ، فلا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه " [٤]، " وأنه سبحانه صاحب السلطان القاهر وهم – أي الخلق – تحت سيطرت وقهره ، ضعاف في قبضة هذا السلطان ، لا قوة لهم ولا ناصر ، هم عباد والقهر فوقهم ، وهم خاضعون مقهورون ، وهذه هي العبودية المطلقة للألوهية القاهرة ، وهذه هي الحقيقة التي ينطق بها واقع الناس – مها ترك لهم من الحرية ليتصرفوا، ومن العلم ليعرفوا ، ومن القدرة ليقوموا بالخلافة – إن كل نَفسٍ من

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص ٢٩ ، وأصول الدين للبغدادي ص ٧٩ ، وأساس التقديس للرازي ص ١٤٩.

(٢) ينظر : المطلب الثاني من المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٦٦ .

(٤) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٥٨ .

أنفاسهم بقدر،وكل حركة في كيانهم خاضعة لسلطان الله بما أودعه في كيانهم من ناموس لا يملكون أن يخالفوه وإن كان هذا الناموس يجري في كل مرة بقدر خاص حتى في النفس والحركة "[١] ، " فالله خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار ، فهي الوحدانية في الخلق ، وهي الوحدانية في القهر- أقصى درجات السلطان- وهو قهر يخضع له كل شيء في الأرض أو في السماء " [٢].

٣- موقفه من علو الذات " الفوقية " :

والمقصود بعلو الذات كونه سبحانه وتعالى في السماء بائنٌ من خلقه مستوٍ على عرشه.

وباستقراء كلام سيد حول صفة العلو نجد أن له عبارات صريحة في إثبات علو الله على خلقه ، وأنه فوق العرش والخلق تحته ، وله عبارات أخرى توهم نفي العلو، وهي التي استدل بها من قال بأن سيد -رحمه الله- ينفي صفة العلو ، ويمكن بيان ذلك فيما يأتي :

أولًا : إثبات - سيد - صفة العلو لله سبحانه وتعالى :

يثبت سيد - رحمه الله - صفة العلو المطلق لله سبحانه وتعالى ، وأنه في السماء فوق العرش ويدل على ذلك ما يأتي :

١ - تصريحه بإثبات العلو المطلق لله سبحانه دون سواه ، وهناك نصوص كثيرة منها:

أ - في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٣] ، يقول: "وهذه خاتمة الصفات في الآية ، تقرر حقيقة ، وتوحي للنفس بهذه الحقيقة ، وتفرد الله سبحانه بالعلو ، وتفرده بالعظمة ، فالتعبير على هذا النحو يتضمن معنى القصر والحصر ، فلم يقل وهو عليٌ عظيم ، ليثبت الصفة مجرد إثبات ، ولكنه قال : ﴿ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ، ليقصرها عليه سبحانه بلا شريك . إنه المتفرد بالعلو ، المتفرد بالعظمة، وما يتطاول أحد من العبيد إلى هذا المقام لا ويرده إلى الله الخفض والهون. ويعلو الإنسان ما يعلو ، ويعظم ما يعظم ، فلا يتجاوزون مقام العبودية

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١١٢٢ .
(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٠٥٣ وينظر أيضًا المواضع الآتية : ٤/ ١٩٨٩ ، ٢١١٣ ، ٣٠٢٥ ، ٣٠٣٨ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

لله العلي العظيم "[١].

ب- في ظلال قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٢]، يقول : " فليس هو الملك فحسب، ولكنه ملك العلو والعظمة على وجه التفرد كذلك ، العلو الذي كل شيء بالقياس إليه سُفول " ، " العلي الكبير ، الذي ليس غيره "علىٌ" ولا "كبيرٌ" . "[٣].

ج - في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[٤]، يقول سيد: "وينتظر الشفعاء والمشفوع فيهم أن يتأذن ذو الجلال في عليائه ، بالشفاعة لمن ينالون هذا المقام ... ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ وصفٌ في المقام الذي يتمثل فيه العلو والكبر بالإدراك من قريب "[٥].

٢ - تصريحه بأن الله فوق عباده وفوق السموات وفوق العرش وأن المخلوقات تحت عرشه:

أ - يقول: " ويستوقف النظر تفضل الخالق المالك ذي السلطان ، القاهر فوق عباده ، تفضله سبحانه بأن يجعل رحمته بعباده في هذه الصورة مكتوبة عليه ، كتبها على نفسه ، وجعلها عهدًا منه لعباده "[٦].

ب -ويقول أيضًا : "إن الله هو خالق السموات والأرض ، القاهر فوق السموات والأرض، وهو صاحب هذه الدعوة التي يحملها الرسل ويتولاها الدعاة .." [٧].

ج -ويقول في تفسير أول سورة الحديد : " وهذا المطلع .. وما حشد فيه من خصائص الألوهية الفاعلة المؤثرة المبدعة لكل شيء ، المحيطة بكل شيء المهيمنة على كل شيء ، العليمة بكل شيء وما تعرضه من إبداع اليد القادرة ، وهي تجول في

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢٩٠ .
(٢) سورة الشورى ، الآية ٤ .
(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٤٠ .
(٤) سورة سبأ ، الآية ٢٣ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٦ .
(٦) المصدر السابق ٢/ ١٠٤٩ بتصرف يسر .
(٧) المصدر السابق ٥/ ٣٠٤٥ .

محيط السموات والأرض ، وتتلطف إلى خبايا الصدور وطوايا القلوب ، وتشرف من عل على الوجود وما فيه ومن فيه ... " (١).

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء ، الأول والآخر ، مستغرقا كل حقيقة الزمان ، والظاهر والباطن مستغرقا كل حقيقة المكان وهما مطلقتان " (٢).

د- ويقول أيضًا : "... ثم يأخذ في عرض حقيقة الألوهية ، وتعريف الناس بربهم ، فيعرف الناس بهذه الحقيقة متمثلة في آثارها المتجلية في الكون وفي سلطان الله المتمثل في الهيمنة على الوجود من فوق عرشه الأعلى ... " (٣).

هـ- في ظلال قوله تعالى ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (٤) ، يقول: وذكر العرش هنا يوحي بالارتفاع والتسامي على هذه الخلائق التي يدعون أنها آلهة مع الله ، وهي تحت عرشه وليست معه ، ويعقب على ذلك بتنزيه الله في علاه ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ .

ثم رسم السياق للكون كله بما فيه ومن فيه مشهدًا فريدًا تحت عرش الله ، يتوجه كله إلى الله ، يسبح له، ويجد الوسيلة إليه، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٥) ، وهو تعبير تنبض به كل ذرة في هذا الكون الكبير، وتنتفض روحًا حية تسبح لله ، فإذا الكون كل حركة وحياة ، وإذا الوجود كله تسبيحه واحدة شجية رخية ، ترتفع في جلال إلى الخالق الواحد الكبير المتعال .. كلها تسبح لله وتتوجه إليه في علاه " (٦).

و - يقول في قصة المجادلة " فهذا هو الشأن الذي سمع الله ما دار فيه من حوار

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٤٧٧ بتصرف يسير .
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٧٩.
(٣) مقومات التصور الإسلامي - سيد قطب - ص ٧١ .
(٤) سورة الإسراء ، الآية ٤٢ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية ٤٤ .
(٦) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٣٠ - ٢٢٣١ بتصرف يسير .

بين رسول الله ﷺ والمرأة التي جاءت تجادل فيه ، وهذا هو الشأن الذي أنزل الله فيه حكمه من فوق سبع سموات ، ليعطي هذه المرأة حقها ، ويريح بالها وزوجها ...

وهذا هو الشأن الذي تفتتح له سورة من سور القرآن ، كتاب الله الخالد الذي تتجاوب جنبات الوجود لكل كلمة من كلماته ، وهي تتنزل من الملأ الأعلى "[١].

ز - ويقول أيضًا :" ونصيب المؤمنين يتلقونه من يد الله في جنات تجري من تحتها الأنهار، فالله هو الذي يدخلهم ، وهو إذن نصيب كريم علوي رفيع ، وهم ينالونه من بين يدي الله في علاه جزاء على الإيمان والصلاح .. "[٢].

ح - في ظلال قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٣] ، يقول : " وفي العبارة تلطف ببيان علة التكليف وغايته، تلطف يشي بأن الله - سبحانه - يشعرهم بأنه - بذاته العلية - يتولى تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم ، وهي رعاية علوية مباشرة "[٤].

ط- عند حديثه عن المعراج يقرر أن محمدًا ﷺ انتهى في عروجه مع جبريل إلى سدرة المنتهى وهي السدرة التي ينتهي إليها المطاف ، فجنة المأوى عندها ، أو التي انتهت إليها صحبة جبريل - عليه السلام - لرسول الله ﷺ حيث وقف هو وصعد محمد ﷺ ، درجة أخرى أقرب إلى عرش ربه وأدنى "[٥].

٣- تصريحه بأن الوحي والكتب السماوية والملائكة تتنزل من عند الله في علاه ؛ ومن ذلك :

أ - في ظلال قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[٦] ، يقول : " فهو - سبحانه - وحده صاحب الرفعة والمقام العالي ، وهو صاحب العرش، المسيطر المستعلي ، وهو الذي يلقي أمره المحيي

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٥٠٥ .
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٩٠ .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٣٣ .
(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٦٢ .
(٥) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٠٧.
(٦) سورة غافر ، الآية ١٥ .

للأرواح والقلوب على من يختاره من عباده ، وهذا كناية عن الوحي بالرسالة ، ولكن التعبير عنه في هذه الصيغة يبين : أولا : حقيقة هذا الوحي ،

ويبين ثانيًا : أنه يتنزل من علو على المختارين من العباد ، وكلها ظلال متناسقة مع صفة الله ﴿ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ "[1].

ب –عند كلامه عن وحي الله تعالى لأنبيائه يقرر بأنه يتم من علو ، ويصف ذات الله بالعلو ، " فقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ يوحي من علو ، ويوحي بحكمة إلى من يختار".. إن النبوة أمر عظيم حقًا ، وإن لحظة التلقي عظيمة حقًا ، تلقي الذات الإنسانية لوحي من الذات العلية.. "[2].

" إنها سُنة من سنن الله أن يرسل الرسل ، وأن ينزل عليهم الكتب ، وهذا الكتاب الجديد الذي ينكرون " تنزيله ، هو كتاب مبارك – باركه الله وهو ينزله من عنده "[3].

٤ – تصريحه بأن الأعمال والملائكة تصعد إلى الله في علاه ؛ ومن ذلك :

أ – في ظلال قوله تعالى :﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[4] ، يقول: " ثم يرتفع كل تدبير، وكل تقدير بمآله ونتائجه وعواقبه ، يرتفع إليه سبحانه في علاه ، في اليوم الذي قدره ، لعرض مآلات الأعمال والأقوال ، والأشياء والأحياء يرتفع فكل شيء وكل أمر وكل تدبير وكل مآل هو دون مقام الله ذي الجلال ، فهو يرتفع إليه أو يرفع بإذنه حين يشاء "[5].

ب–في ظلال قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[6]، يقول: " القول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه ، والعمل الصالح

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٧٣ .
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣١٧٠ ،
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ١١٤٧ بتصرف ، وينظر أيضًا : كلامه عن إنزال الوحي والكتب والقرآن المواضع الآتية من الظلال : ٣/ ٢١٩٤، ٥/ ٢٥٤٧ .
(٤) سورة السجدة ، الآية ٥ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٠٧ – ٢٨٠٨ .
(٦) سورة فاطر ، الآية ١٠ .

الـذي يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع ، ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزة والاستعلاء"[١].

ت- تصريحه - كما سبق - بعروج النبي ﷺ مع جبريل إلى سدرة المنتهى ، ووقوفه تحت عرش الله سبحانه[٢].

فهذه النصوص جميعًا تبين أن سيدًا - رحمه الله - يثبت لله سبحانه صفة العلو المطلق وأنه سبحانه في السماء ، فوق العرش ، منه ينزل الوحي والكتب على الرسل وإليه تصعد الأعمال والأقوال الطيبة والملائكة ، وهي واضحة الدلالة على ذلك .

والذين قالوا بأن سيدًا - رحمه الله - ينكر صفة العلو ،اعتمدوا على كلام موهم أو عبارات عامة قالها في سياق ما ، ويمكن بيان ذلك في الفقرة الآتية :

ثانيا :أدلة القائلين بأن سيد قطب ينفي صفة العلو ومناقشتها

يستدل القائلون بأن سيدًا - رحمه الله - ينفي أو ينكر صفة العلو بنصوص من كلام سيد ، وسوف أورد تلك النصوص في سياقها ثم ننظر مدى دلالتها على المراد وهي:

١- تفسير سيد لصفة الاستواء بالاستعلاء والهيمنة :

حيث فهم بعضهم من تفسير سيد للاستواء على العرش بأنه كتابة عن السيطرة والهيمنة ، أن سيدًا ينفي صفة العلو ، وسيأتي الحديث عن موقف سيد من صفة الاستواء مفصلًا ، والذي يعنينا هنا مدى صحة الاستدلال بتفسير سيد للاستواء بالاستعلاء على نفي صفة العلو ؟ .

يظهر من خلال جمع ومراجعة كلام سيد في مسألة العلو وفي مسألة الاستواء على العرش الآتي:

أ - أن سيد قطب- رحمه الله - يثبت صفة العلو لله تعالى - كما سبق في الفقرة السابقة - ويقرر أن الله في السماء وأنه فوق العرش ، وأن المخلوقات كلها تحت عرشه، وأنه نزل الوحي والكتب من عنده من السماء ، وأن الأعمال تصعد إليه ، مما يدلنا على أنه يؤمن بصفة العلو وأن الله في السماء .

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٣٠ .
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٤٠٧ .

ب- أن كلام سيد حول الاستواء كفعل ، بمعنى: هل كان الله غير مستو على العرش ثم استوى عليه ؟ فهو يرى أن الله تعالى لا تتغير عليه الأحوال ولا يكوّن في حال أو وضع - سبحانه - ثم يكون في وضع أو حال تالٍ، فـ﴿ ثُمَّ ﴾ في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ليست عند سيد للترتيب الزمني، بمعنى أن الله كان في حالة عدم استواء ثم أصبح في حالة استواء ، وإنما هي عنده للترتيب المعنوي ، فالاستواء عند سيد قطب رمزٌ للسيطرة على الخلق ، ولفظ ﴿ ثُمَّ ﴾ يعني استعلاؤه سبحانه وسيطرته وتدبيره للمخلوقات بعد خلق السماوات والأرض "[1].

فسيد قطب فسرالاستواء بلازم الاستواء وهو الانفراد بالملك والسلطان والتدبير ولم يفسره بمعنى الفعل ، وإن كان له كلام آخر في تفسير الاستواء سيأتي عند الحديث عن صفة الاستواء .

والخلاصة هنا : أن سيدًا وإن خالف تفسير السلف للاستواء في بعض النصوص إلا أنه لم ينكر صفة العلو، بل كان حديثه حول الاستواء على العرش كفعل لله مع إثبات أن الله فوق العرش وفي السماء .

٢- الاستدلال بعبارات سيد قطب التي تصف الله بعدم التحيز في مكان :

ذكر سيد في بعض المواضع أن الله سبحانه وتعالى لا يتحيز في مكان وعباراته في ذلك هي :

في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾[2] يقول: " وقد علم الله أن الرغبة الفطرية في اتخاذ أشكال ظاهرة للقوى المضمرة هي التي حادت بالمنحرفين عن الطريق السليم، حيث اتخذوا للقوى الكبرى رموز محسوسة مجسمة من حجر وشجر وغيرها . فجاء الإسلام يلبي دواعي الفطرة بتلك الأشكال المعنية بشعائر العبادة ، مع تجريد الذات الإلهية عن كل تصور حسي وكل تحيز لجهة ، فيتوجه الفرد إلى قبلة حين يتوجه إلى الله بكليته ، بقلبه وحواسه وجوارحه ، فتتم الوحدة والاتساق بين

(١) ينظر كلام سيد في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٠٧ ، ٦/ ٣٤٨٠ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

كل قوى الإنسان في التوجه إلى الله الذي لا يتحيز في مكان ،وإن كان الإنسان يتخذ له قبلة من مكان "[١].

في ظلال قول الله تعالى إبليس : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[٢] ، يقول أيضًا " إنه –أي الشيطان – سيقعد لآدم وذريته على صراط الله المستقيم ، يصد كل من يهم باجتيازه – والطريق إلى الله لا يمكن أن يكون حسًا ، فالله سبحانه جل عن التحيز ، فهو إذن طريق الطاعات المؤدي إلى رضى الله ، وأنه سيأتي البشر من كل جهة للحيلولة بينهم وبين الإيمان والطاعة "[٣]. حيث فهم بعضهم[٤] من كلام سيد السابق أنه ينفي صفة العلو كالجهمية وأهل البدع .

ونحن نقول: إن قول سيد عن الله " لا يتحيز في مكان " و " وجل عن التحيز"، من الألفاظ الحادثة التي لم تأتِ في الكتاب ولا في السُّنَّة ولا في كلام السلف عن الله ، وهي تحمل حقًا وباطلًا ، وبالتالي لا نستطيع الحكم على قائلها إلا إذا عرفنا مقصوده ، فأهل البدع لما كان مقصودهم منها نفي الصفات ، لم يوافقهم أهل السُّنَّة على إطلاقها على الله ، وأهل السُّنَّة يرون عدم استعمال هذه الألفاظ في الكلام عن الله نفيًا أو إثباتًا لعدم وردوها في الشرع ، ولكنهم يقولون : إن كان المقصود منها أن الله سبحانه منزه عن الحدود وأنه لا تحده الجهات ولا تحويه المخلوقات فهذا المعنى صحيحًا ، وإن كان المقصود منها أن الله ليس مباينًا لخلقه ولا منفصلًا عنهم وأنه ليس فوق السماوات ولا على العرش ونحو ذلك مما قاله أهل البدع كالجهمية وغيرهم فهذا باطل[٥].

٣- الاستدلال بكلام سيد عن فوقية القهر والسيطرة :

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾[٦] ، يقول سيد : " فهو صاحب

(١) في ظلال القرآن ١/ ١٢٨ بتصرف .
(٢) سورة الأعراف ، الآيتان ١٦ ، ١٧ .
(٣) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٦٧ بتصرف يسير وينظر أيضًا ٥/ ٣١٧٠ .
(٤) انظر : المورد الزلال للدويش ص ١٥ ، ٦٨ ، ٢٠٩ .
(٥) ينظر كلام أهل السُّنَّة في ذلك في : منهاج السُّنَّة لابن تيمية ٢/ ٣٤٨ ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ٤٣، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٦٠- ٢٧٠ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية ١٨ .

السلطان القاهر وهم تحت سيطرته وقهره ، وهم ضعاف في قبضة هذا السلطان لا قوة ولا ناصر ، هم عباد والقهر فوقهم وهم خاضعون ، ومقهورون "[١].

حيث علق الشيخ الدويش - رحمه الله - على كلام سيد السابق بأن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة إثبات العلو لله على ما يليق بجلاله علو الذات وعلو القهر وعلو القدرة ، أما أهل البدع فإنهم لا يثبتون علو الذات ، وهذا ظاهر من كلامه - أي سيد - لأنه ما قرر إلا فوقية القهر والسيطرة ، ولم يذكر علو الذات ، والآية صريحة في إثبات ذلك .."[٢].

وأقول : إن الاستدلال بعدم ذكر سيد هنا لعلو الذات على نفيه له غير صحيح، لأن سيدًا وإن كان اقتصر هنا على ذكر علو القهر والسلطان لأن سياق الآية يدل عليه ، فقد ذكر علو الذات في مواضع أخرى كما سبق بيانه .

٤ - الاستدلال بكلام سيد في تفسير قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٣] ، وهو قوله : " ولم نكلف أن ندري طبيعة هذه المهام وكيف يصعد الملائكة ولا إلى أين يصعدون "[٤].

حيث يقول الدويش - رحمه الله - بعد ذكره المقطع السابق من كلام سيد : "قوله ولا إلى أين يصعدون ليس كما قال ، بل هو معلوم وهو أنهم يصعدون إلى الله تعالى ، وقد استدل العلماء بهذه الآية وما شابهها على علو الله على خلقه ، ثم ذكر كلام الإمام الطبري في تفسيرها ، ثم قال ، وهذا واضح ولكن هذا شأن أهل البدع المعطلين لعلو الله على خلقه .. "[٥].

وأقول : إن الاستدلال بالمقطع السابق على أن سيدًا من أهل البدع الذين ينفون صفة العلو عن الله غير مسلم به للآتي :

أ - أن الشيخ الدويش لم يذكر كلام سيد قطب كاملًا في السياق ليتبين له عدم

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١١٢٢ .
(٢) المورد الزلال للدويش ص ٦٢ .
(٣) سورة المعارج ، الآية ٤ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٩٦ .
(٥) المورد الزلال للدويش ص ٢٨٦ .

صحة استدلاله ، فإن بداية السياق صريحة في ذكر علو الله وصعود الملائكة إليه يوم القيامة .

وإليك نص كلام سيد : " والأرجح أن اليوم المشار إليه هذا هو يوم القيامة لأن السياق يكاد يعين هذا المعنى ، وفي هذا اليوم تصعد الملائكة والروح إلى الله ، والروح الأرجح أنه جبريل -عليه السلام- كما سمي بهذا الاسم في مواضع أخرى ، وإنما أفرد بالذكر بعد الملائكة لما له من شأن خاص، وعروج الملائكة في هذا اليوم يفرد كذلك بالذكر إيحاءً بأهميته في هذا اليوم وخصوصيته ، وهم يعرجون في شئون هذا اليوم ومهامه ... ولا ندري نحن – ولم نكلف أن ندري – طبيعة هذه المهام، ولا كيف يصعد الملائكة ، وإلى أين يصعدون ، فهذه كلها تفصيلات من شأن الغيب لا تزيد شيئًا من حكمة النص ، وليس لنا إليها من سبيل ، وليس لنا عليها من دليل فحسبنا أن نشعر من خلال هذا المشهد بأهمية ذلك اليوم " .

فسيد – رحمه الله – ينفي في النص معرفة كيفية تلك الأمور الغيبية ،لاسيما أنها تتعلق بيوم القيامة ، والسموات والارض تبدل يومئذ وتطوى ، ولم يرد نص يبين أين يعرجون الى الله.

ويقررأننا لم نكلف أن نبحث عنها وعن غيرها من تفصيلات الأمور الغيبية، لأنها لا تزيد شيئًا في حكمة النص عند المؤمن وليس إليها سبيل ، فالأفضل استشعار ما تدل عليه دون الخوض في تفصيلات وكيفيات الأمور الغيبية .

ومما سبق يتبين لنا :

أن سيد قطب– رحمه الله – يثبت صفة العلو المطلق لله سبحانه وتعالى بأنواعه علو الشأن وعلو القهر وعلو الفوقية .

أن الاستدلالات التي ذكرها بعضهم على أن سيد قطب ينفي صفة العلو عن الله لا تدل على ما ذهبوا إليه .

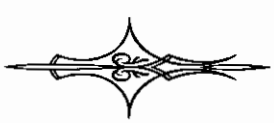

المطلب الثالث
الصفات الذاتية الخبرية

وهي الصفات التي لا سبيل للعقل على انفراده بإثباتها ، وإنما تثبت بطريق السمع والخبر عن الله تعالى : كصفة الوجه واليدين والعين ونحوها [١].

وموقف أهل السُّنَّة والجماعة من هذه الصفات هو إثباتها لله – سبحانه وتعالى– على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكييف ، كما هو شأنهم في بقية الصفات .

وأما المتكلمين فالمعتزلة ينفونها جميعًا ، والأشاعرة منهم من ينفيها كإمام الحرمين الجويني في أول أمره في كتابه " الارشاد " ، ومنهم من يثبت أكثرها كالباقلاني وغيره ، والسبب في نفيها عندهم ، أنها من سمات الأجسام ، فيقتضي إثباتها التشبيه والتجسيم [٢].

وفيما يلي بيان لموقف سيد قطب من صفات الذات الخبرية :

الفرع الأول : صفة الوجه :

صفة الوجه من صفات الذات الإلهية ، التي ثبتت بالكتاب والسُّنَّة في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٣] ،وقوله :﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٤]، وقوله ﷺ : " ..لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره .." [٥]. وغير ذلك .

وبناءً على تلك الأدلة أثبت أهل السُّنَّة والجماعة هذه الصفة [٦]، ولم يختلف

(١) الصفات الإلهية، لمحمد أمان الجامي ، طبعة الجامعة الإسلامية – بالمدينة النبوية – ط١ ، عام ١٤٠٨، ص٢٧.

(٢) ينظر في ذلك : أساس التقديس للرازي ص ٢ ، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٢١٧، ٢٣٠ ، وأصول الدين للبغدادي ص ٩٠ ، والإبانة لأبي الحسن الأشعري ص ٢٠– ٢٢ .

(٣) سورة القصص ، الآية ٨٨ .

(٤) سورة الرحمن ، الآية ٢٧ .

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان ١/ ١٤١ برقم ١٧٩ .

(٦) ينظر في ذلك : السُّنَّة لابن أبي عاصم ١/ ٢٢٨، والتوحيد لابن خزيمة ص ١٠، والأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٠١، وما بعدها .

السلف في شيء من الآيات التي ورد فيها ذكر الوجه إلا في قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (١) ، حيث فسرها البعض بقبلة الله (٢). وخلافهم في هذه الآية لا يعني إنكارهم للصفة.

صفة الوجه عند سيد قطب :

باستعراض كلام سيد قطب حول صفة الوجه ، نجد أنه يثبت صفة الوجه في نصوص كثيرة من كلامه وبيان ذلك فيما يأتي :

١ - في ظلال كثير من الآيات التي تذكر ابتغاء وجه الله عند القيام بالأعمال، يجريها سيد على ظاهرها في إثبات صفة الوجه ، ومن ذلك كلامه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾(٣) ،وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾(٤)، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ (٥) ،وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ (٧).

حيث يقرر أن أصحاب هذه الأعمال المذكورون في الآيات إنما يقومون بها تجردًا لله وابتغاء وجهه ومرضاته سبحانه ، وليس لهم هدف غير ابتغاء وجهه سبحانه (٨).

٢ - يُثبت صفة الوجه في نصوص صريحة من كلامه ومن ذلك ما يلي :

- قوله في ظلال قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾(٩) : " فهي توحي بأنها جاءت ردًا على تضليل اليهود في ادعائهم أن صلاة المسلمين إلى بيت المقدس كانت باطلة .. ! والآية ترد عليهم هذا الزعم ، وهي تقرر

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١١٥ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٥٠ ومختصر الصواعق لابن القيم ص ٣٣٩ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧٢ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ٥٢ ، والكهف ،ا لآية ٢٨ .
(٥) سورة الرعد ، الآية ٢٢ .
(٦) سورة الروم ، الآية ٣٨ .
(٧) سورة الإنسان ، الآية ٩ .
(٨) ينظر:في ظلال القرآن: ١/ ٣١٥، ٢/ ١٠٩٩ ، ١١٠٠، ٤/ ٢٠٥٧، ٢٢٦٨، ٥/ ٢٧٧٢، ٦/ ٧٣٨١، ٧٣٨٢.
(٩) سورة البقرة ، الآية ١١٥ .

أن كل اتجاه قبلة، فثم وجه الله حيثما توجه إليه عابد ، وإنما تخصيص قبلة معينة هو توجيه من عند الله فيه طاعة، لا أن وجه الله – سبحانه – في جهة دون جهة والله لا يضيق على عباده ، ولا ينقصهم ثوابهم ، وهو عليم بقلوبهم ونياتهم ودوافع اتجاههم ، وفي الأمر سعة "[١].

– في ظلال قول تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٢] يقول : " فكل شيء زائل وكل شيء ذاهب ، المال والجاه ، والسلطان والقوة ، والحياة والمتاع ، وهذه الأرض ومن عليها ، وتلك السماوات وما فيها ومن فيها ، وهذا الكون كله ما نعلمه منه وما نجهله كله ، كله هالك فلا يبقى إلا وجه الله الباقي متفردًا بالبقاء "[٣].

– في ظلال قوله تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٤]، يقول : " وتطوى صفحة الخلق الفاني، وتتوارى أشباح الخلائق جميعًا، ويفرغ المجال من كل حي ويتجلى وجه الكريم الباقي متفردًا بالبقاء ، متفردًا بالجلال ، وتستقر في الحس حقيقة البقاء ، وهو يشهد ظلال الفناء ،..

وفي ظل هذا النص القرآني تخفت الأنفاس ، وتخشع الأصوات ، وتسكن الجوارح، ظل الفناء يشمل كل حي ، ويطوي كل حركة ، ويغمر آفاق السماوات والأرض ، وجلال الوجه الكريم الباقي يظلل النفوس والجوارح والزمان والمكان، ويغمر الوجود كله بالجلال والوقار ....

ويعقب على هذه اللمسة العميقة الأثر بنفس التعقيب ، فيعد استقرار هذه الحقيقة– حقيقة الفناء لكل من عليها ، وبقاء الوجه الكريم وحده ، نعمة يواجه بها الجن والإنس في معرض الآلاء .. وختام السورة تسبيحًا باسم الجليل الكريم ،الذي يفنى كل حي ، ويبقى وجهه الكريم"[٥].

– في ظلال قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[٦]، يقول : " وقد تغير كل

(١) في ظلال القرآن ١/ ١٠٥ .
(٢) سورة القصص ، الآية ٨٨ .
(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧١٦.
(٤) سورة الرحمن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .
(٥) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٥٤، ٣٤٥٨ .
(٦) سورة التكوير ، آية ١٤ .

شيء ، وتبدل كل شيء ولم يبق إلا وجه الله الكريم ، الذي لا يتحول ولا يتبدل ، فما أولى أن تتجه النفوس إلى وجه الله الكريم فتجده - سبحانه - عندما يتحول الكون كله ويتبدل ! " (١).

- في ظلال قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (٢) ، يقول : " ثم ماذا ينتظر هذا الأتقى ، الذي يؤتي ماله تطهرًا ، وابتغاء وجه ربه الأعلى ؟ إن الجزاء الذي يطالع القرآن به الأرواح المؤمنة هنا عجيب ومفاجئ ، وعلى غير المألوف " (٣).

- في ظلال قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٤) ، يقول : "ومن هذه المشاهد مشهد المؤمنين المطمئنين إلى ربهم ، المتطلعين إلى وجهه الكريم في ذلك الهول"(٥).

" وهذا التطلع ذاته نعمة ، لا تفوقها إلا نعمة النظر إلى وجهه الكريم (٦).

الفرع الثاني : صفة النفس :

ذكر الله تعالى في غير ما آية في كتابه الكريم أن له نفسًا كقوله - سبحانه -: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾(٧) ، وقوله لموسى عليه السلام ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ (٨) ، وقوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ (٩) ، وغيرها ، وجاء في السُّنَّة أيضًا ذكر ذلك كقوله ﷺ :" سبحانه الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه " (١٠).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن لفظ النفس الذي ورد في بعض النصوص

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٤١..
(٢) سورة الليل ، الآية ١٩ ، ٢٠ .
(٣) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٩٢٣ .
(٤) سورة القيامة ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٥) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٦٧ .
(٦) المصدر السابق ٦/ ٣٧٧١.
(٧) سورة الأنعام ، الآية ٥٤ .
(٨) سورة طه ، الآية ٤١ .
(٩) سورة آل عمران ، الآية ٣٠.
(١٠) رواه مسلم في كتاب الذكر باب التسبيح أول النهار ٤/ ١٦٦٠ رقم ٢٧٢٦ .

إطلاقه على الله تعالى يراد به – عند جمهور العلماء – الله نفسه التي هي ذاته ، المتصفة بصفاته ، وليس المراد بها ذاتًا منفكة عن الصفات ، ولا المراد بها صفة للذات .. وذكر أن طائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات ، كما يظن طائفة أنها الذات مجردة عن الصفات وكلا القولين خطأ "[١].

وجاء عن الإمام ابن خزيمة – رحمه الله – قوله : " فأول ما نبدأ به من ذكر صفات خالقنا –جل وعلا– في كتابنا هذا : ذكر نفسه ، جلَّ ربنا عن أن تكون نفسه كنفس خلقه ، وعزَّ أن يكون عدمًا لا نفس له "[٢]. ثم ذكر بعض النصوص في ذلك وعقد الإمام البخاري بابًا في كتاب التوحيد من صحيحة في إثبات النفس لله ، ساق فيه بعض الآيات والأحاديث[٣].

وخالفت الجهمية فزعمت أن نفسه سبحانه هي غيره ، وأن الله إضافها إليه ، على معنى إضافة الخلق إليه ، وهذا باطل ، لأنه لا يصح أن نقول : كتب ربكم على غيره الرحمة ؟ واصطنعتك لغيري ويحذركم الله غيره !! ..

صفة النفس عند سيد قطب :

يثبت سيد قطب – رحمه الله – صفة النفس الإلهية ، ويجري الآيات التي وردت فيها صفة النفس على ظاهرها ومن ذلك :

في ظلال قول الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[٤] ، يقول: " ولما كان الأمر في هذه الحالة متروكًا للضمائر، ولتقوى القلوب وخشيتها من علام الغيوب، فقد تضمن التهديد تحذير المؤمنين من نقمة الله وغضبه في صورة عجيبة من التعبير حقا : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ ... ثم يتابع السياق الحملة على القلب البشري ، فيكرر تحذير الله للناس من نفسه سبحانه ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ١٩٦– ١٩٧ ، ٩/ ٢٩٢– ٢٩٣ ، وينظر أيضًا فتح الباري ١٣/ ٣٩٦، وأساس التقديس للرازي ص ٩٣ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ١١ .

(٢) كتاب التوحيد لابن خزيمة.تحقيق د/ عبد العزيز الشهوان دار الرشد ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٠/ ١١

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب قوله تعالى : " ويحذركم الله نفسه " ٦/ ٦٢٩٣-٦٩٦٨ برقم ٦٩٦٨-٩٦٧٠ .

(٤) انظر : التوحيد لابن خزيمة ، ص ٥–٦ ، والسُّنَّة لابن أبي عاصم ١/ ٢٧٠ .

نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (١).

و في ظلال قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾(٢)، يقول: "فهو سبحانه المالك، لا ينازعه منازع ولكنه فضلا منه ومنة - كتب على نفسه الرحمة، كتبها بإرادته ومشيئته، لا يوجبها عليه موجب، ... وقد تكرر ورود ذلك في السورة فقال في موضع آخر ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ (٣)، والذي يستوقف النظر.. هو التفضل الإلهي من الخالق المالك ذي السلطان القاهر فوق عباده بأن يجعل رحمته بعباده في هذه الصورة، مكتوبة عليه، كتبها هو على نفسه.." (٤).

في ظلال قوله تعالى لموسى: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ (٥)، يقول: "-أي- خالصًا مستخلصًا لي ولرسالتي ودعوتي، ... إنما أنت للمهمة التي صنعتك على عيني لها، واصطنعتك لتؤديها، فما لك في نفسك شيء، ولا لأهلك منك شيء، وما لأحد فيك شيء" (٦). "وربه معه، قد اصطنعه لنفسه، واستخلصه واصطفاه" (٧).

الفرع الثالث: صفة اليد والأصابع:

ورد لفظ "اليد" في القرآن والسُّنَّة وكلام الصحابة في أكثر من مائة موضع، متنوعًا متصرفًا فيه مقرونًا بما يدل على أنها يد حقيقية كالطي والقبض والخلق باليدين، والإمساك والغرس وغير ذلك واطراد لفظها في موارد الاستعمال وتنوعه وتصريفه يمنع المجاز (٨).

وكذلك ورد لفظ الأصابع في كثير من الأحاديث الصحيحة أيضًا (٩).

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٣٨٦.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢.
(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٤.
(٤) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٨- ١٠٤٩، ١١٠١، بتصرف يسير، وينظر أيضًا ٦/ ٣٩٢٢- ٣٩٢٣.
(٥) سورة طه، الآية ٤١.
(٦) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٣٥- ٢٣٣٦ بتصرف يسير
(٧) المصدر السابق ٤/ ٢٣٤.
(٨) مختصر الصواعق لابن القيم ص ٣٢٣، ٣٣٤.
(٩) ينظر في ذلك: الأسماء والصفات للبيهقي ص ٣٣٤، ٣٤٠، وصحيح مسلم كتاب القدر، ومنهج الإمام الخطابي في العقيدة للحسن بن عبد الرحمن العلوي، دار الوطن - الرياض - ط(١ - ١٤١٨هـ ص١٦٣، ١٦٤.

وبناءً على ذلك أثبت أهل السُّنَّة والجماعة صفة اليد لله تعالى على ما يليق به سبحانه [١]. وأولها بعض المتكلمين بالقدرة أو القوة أو النعمة [٢].

صفة اليد والأصابع عند سيد قطب :

من خلال استقراء كلامه على الآيات التي ورد فيها لفظ اليد نجد أن له نصوصًا صريحة في إثبات صفة اليد والأصابع لله تعالى ، ونصوصًا أخرى موهمة. فهم منها البعض أنه يؤولها ، ونصوص فسر لفظ اليد فيها خلافًا لما فسره السلف ، ويمكن بيان ذلك مما يأتي :

أ - نصوص صريحة في إثبات صفة اليد والأصابع ؛ ومن ذلك :

في ظلال قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[٣] ، يقول: " وقد جاء- ﷺ - ليصلهم بالله ، ويعقد بينهم وبينه بيعة ماضية لا تنقطع بغيبة رسول الله- ﷺ - فهو حين يضع يده في أيديهم مبايعًا ، فإنما يبايع عن الله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ وهو تصوير رهيب جليل للبيعة بينهم وبين رسول الله ﷺ ، والواحد منهم يشعر وهو يضع يده في يده أن يد الله فوق أيديهم ، فالله حاضر البيعة ، والله صاحبها ، والله آخذها - فالله حاضر لا يغيب ، والله آخذ في هذه البيعة ومعطٍ ، وهو عليها رقيب "[٤].

في ظلال قول الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [٥] يقول: " فهم بوحي إيمانهم يعرفون أنهم لا يقدرون على شيء إلا بفضل الله ورحمته وأنهم لا يملكون قلوبهم ، فهي في يد الله فيتجهون إليه بالدعاء أن يمدهم بالعون والنجاة .

عن عائشة رضي الله عنها قال - كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو:" يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " قلت : يا رسول الله ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء ، فقال: ليس

(١) ينظر في ذلك : التوحيد لابن خزيمة ص ٦٧ ، والشريعة للآجري ص ٣٢٠ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٤٣، والإبانة للأشعري ص ٢٢ .
(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٢٢٨ ، وأساس التقديس للرازي ص ١٢٥ .
(٣) سورة الفتح ، الآية ١٠ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٢٠ .
(٥) سورة آل عمران ، الآية ٨ .

من قلب من القلوب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيغه أزاغه " (١).

ومتى أستشعر القلب المؤمن وقع المشيئة على هذا النحو لم يكن أمامه إلا أن يلتصق بركن الله ... وإن يتشبث بحماه .. وأن يتجه إليه يناشده رحمته وفضله .." (٢).

في ظلال قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾(٣)، يقول: " إنه رجاء العون من ربهما في الهداية إلى الإسلام ، والشعور بأن قلبيهما بين إصبعين من أصابع الرحمن ، وأن الهدى هداه ، وأنه لا حول لهما ولا قوة إلا به ، فيتجهان إليه ويرغبان والله المستعان " (٤).

في ظلال قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (٥) ، يقول : " فالقلوب ليست ملكا لأصحابها ، إنما هي بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، وقد كان رسول الله ﷺ يعرف دينه ويعرف قلبه يقول : " اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " (٦).(٧).

في تعليقه على قصة السحرة وإيمانهم وحوارهم مع فرعون يقول : " ولكن الطواغيت المتجبرين لا يدركون كيف يتسرب النور إلى قلوب البشر ... فهم لطول ما استبعدوا لناس يحسبون أنهم يملكون تصريف الأرواح وتقليب القلوب ، وهي بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء .. " (٨).

ويقول في موضع آخر : " ولكن أني للطغاة أن يدركوا هذا السر اللطيف ؟ أنى لهم أن يدركوا كيف تتقلب القلوب ؟ : وهم قد نسوا أن الله هو مقلب القلوب ..

---

(١) رواه : الترمذي في القدر ما جاء أن القلوب بين اصبعي الرحمن ٤/ ٣٩٠ برقم ٢١٤٠ ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٨٨ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٤٤٣ .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣٧١.وينظر أيضا ١/ ٢٦٩ ؟

(٣) سورة البقرة ، الآية ١٢٨ .

(٤) في ظلال القرآن ١/ ١١٤ .

(٥) سورة النساء ، الآية ٣ .

(٦) رواه : أبوداود في النكاح ٢/ ٦٠١ برقم ٢١٣٤ ، والترمذي في النكاح ٣/ ٤٤٦ برقم ١١٤٠ وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود ص ١٦٥ .

(٧) في ظلال القرآن ١/ ٥٨٢ .

(٨) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٥٠ .

﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ ، قولة الطاغية الذي لا يدرك أنهم هم أنفسهم لا يملكون .. وقد لمس الإيمان قلوبهم – أن يدفعوه عنها ، والقلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء "[١].

في ظلال قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾[٢] ، يقول : " إن هذا الشأن شأن الهدى والضلال ، ليس من أمر البشر ، ولو كان رسول الله ﷺ ، إنما هو من أمر الله ، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ، هو مقلب القلوب والأبصار ، والله سبحانه يعزي رسوله ويسليه بتقرير هذه الحقيقة له "[٣].

ويقول أيضًا في موضع آخر: " فما ترتعش القلوب هكذا إلا حين تحركها إصبع الرحمن إلى الهدى والاستجابة والإشراق، والله يعلم حقيقة القلوب وما يجازيها عليه بالهدى أو بالضلال"[٤].

يثبت لفظ اليد على ظاهره في بعض النصوص، كقوله تعالى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[٥] ، وقوله : ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[٦] وغيرها . حيث يشير إلى أن القرآن الكريم في هذه الآيات ونحوها يلفت نظر الناس إلى ما حولهم و" يطلق الحواس والعقل والبصيرة ترتاد آفاق الكون، وأغوار النفس، وطباق الجو وخفايا الغيوب فترى يد الله المبدعة "[٧] .

ب) نصوص فهم منها البعض أن سيد يؤول صفة اليد ومنها :

١ – في ظلال قول الله تعالى :﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[٨]، يقول سيد : " وذلك من سوء تصور يهود لله سبحانه ، فقد حكى القرآن الكريم الكثير من سوء تصورهم ذاك وقد قالوا : إن الله فقير ونحن

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٢٣٤٢- ٢٣٤٣ بتصرف يسير ، وينظر أيضًا ٦/ ٣٧٦٣ .
(٢) سورة فاطر ، الآية ٨
(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٢٧ .
(٤) المصدر السابق ٥/ ٢٠٤٨ ، وينظر أيضًا ، ٥/ ٢٧٤٤ .
(٥) سورة الملك ، الآية ١ .
(٦) سورة المؤمنون ، الآية ٨٨ .
(٧) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٢٩ . وينظر أيضًا :٤/ ٢٤٧٨ ،٦/ ٣٤٩٦ .
(٨) سورة المائدة ، الآية ٦٤ .

أغنياء ، عندما سئلوا النفقة ! . وقالوا : يد الله مغلولة ، يعللون بذلك بخلهم ، فالله – بزعمهم – لا يعطي الناس ولا يعطيهم إلا القليل ، فكيف ينفقون ؟ ! .

وقد بلغ من غلظ حسهم ، وجلافة قلوبهم ، ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي أرادوه وهو البخل بلفظه المباشر ، فاختاروا لفظا أشد وقاحة وتهجما وكفرًا فقالوا : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾؟ ".

ويجيء الرد عليهم بإحقاق هذه الصفة عليهم ، ولعنهم وطردهم من رحمة الله جزاء على قولهم : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ وكذلك كانوا ، فهم أبخل خلق الله بمال ! ثم يصح هذا التصور الفاسد السقيم ويصف الله سبحانه بوصفه الكريم، وهو يفيض على عباده من فضله بلا حساب ، ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾. وعطاياه التي لا تكف ولا تنفد لكل مخلوق ظاهرة للعيان ، شاهدة باليد المبسوطة ، والفضل الغامر ، والعطاء الجزيل .. "[1].

حيث فهم البعض[2]. من النص السابق أن سيد يؤول صفة اليد لأنه فسر بسط اليد بالعطاء والفضل والنعم ، والذي يظهر من التأمل في النص السابق أن سيد لم ينف اليد بدليل قوله " شاهدة باليد المبسوطة " ولكنه بين معنى بسطها ، بالعطاء والفضل ".

وكلام سيد في تفسير الآية هو نفسه ما فسرها به كثير من أعلام السلف ، كالإمام الطبري وابن كثير وابن عباس –رضي الله عنهم–، حيث فسروا البسط بالفضل الواسع والعطاء الجزيل ، وأن الله سبحانه عبر ببسط اليد عن هذا المعنى ، لأن العطاء والبذل يكون غالبًا باليد .. وهو من إضافة صفة الموصوف إلى يديه "[3].

٢– في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4] ،

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٩٢٩ .

(٢) ينظر : المفسرون بين الإثبات والتأويل للمغراوي ٣/ ١٣٨٥ ، وأضواء على عقيدة سيد قطب للمدخلي ص ١٧٦ .

(٣) ينظر في ذلك : تفسير الطبري ١٠/ ٤٥٠، ٤٥٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٧٥ . وفي ظلال القرآن في الميزان د/ صلاح الخالدي ص ١٢٣ .

(٤) سورة الزمر ، الآية ٦٧ .

يقول سيد : " نعم ما قدروا الله حق قدره ، وهم يشركون به بعض خلقه ، وهم لا يعبدونه حق عبادته ، وهم لا يدركون وحدانيته وعظمته ، وهم لا يستشعرون جلاله وقوته .

ثم يكشف لهم عن جانب من عظمة الله وقوته ، على طريقة التصوير القرآنية، التي تقرب للبشر الحقائق الكلية في صورة جزئية ، يتصورها إدراكهم المحدود .. وكل ما يرد في القرآن وفي الحديث من هذه الصور والمشاهد ، إنما هو تقريب للحقائق التي لا يملك البشر إدراكها بغير أن توضع لهم في تعبير يدركونه ، وفي صورة يتصورنها ، ومنه هذا التصوير لجانب من حقيقة القدرة التي لا تتقيد بشكل ولا تتحيز في حز ، ولا تتحدد بحدود " (١).

٣- في ظلال قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾(٢)، يقول : " ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟ والله خالق كل شيء ، فلا بد أن يكون هناك خصوصية في خلق هذا الإنسان تستحق هذا التنويه ، هي خصوصية العناية الربانية بهذا الكائن ، وإيداعه نفخة من روح الله دلالة على هذه العناية "(٣) .

حيث استدل بهذه النصوص وبكلام قريب منها في كتاب التصوير الفني (٤) من قال بأن سيد قطب يؤول الصفات ومنها صفة اليد (٥).

وأقول : أما كلامه في التصوير الفني حول طريقة القرآن في تصوير الحقائق ، ومنها ما يتعلق بأفعال الله فهو كلام خاطئ ، لكن سيد في كتبه الأخيرة كالظلال والمقومات أثبت بعض الصفات التي جاء في كلامه في التصوير الفني تأويلًا لها ، مما يعني أن كلامه السابق لا يصح كدليل على أنه ينفي الصفات بإطلاق .

وأما كلامه في النصوص السابقة فلا شك أنه مخالف لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة في تفسير تلك الآيات ، والتي تثبت لله صفة اليدين والقبض والطي ، وأن آدم

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٦١- ٣٠٦٢ ، وينظر أيضًا : التصوير الفني في القرآن وسيد قطب ص ٧٣ .
(٢) سورة ص ، الآية ٧٥ .
(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٢٨ .
(٤) ينظر : التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - ص ٧٣ .
(٥) انظر : المفسرون بين الإثبات والنفي للمغراوي ص ١٣٨٦ ، والمورد الزلال للدويش ص ١٨٦، ١٨٩ ، وأضواء على عقيدة سيد قطب للمدخلي ص ١٧٥ .

خلقه الله بيده .

ومع قولنا بخطأ سيد في هذين الموضعين إلا أن الاستدلال بها على أنه يؤول صفه اليد غير قاطع الدلالة ، لأن له نصوصًا كثيرة سبق إيراد بعضها يثبت فيها صفة اليد والأصابع لله سبحانه وتعالى.

أما قول الله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [١]. فقد فسرها بالقوة تبعًا لجمهور المفسرين من السلف[٢]. لأنها عند الجميع ليست من آيات الصفات .

الفرع الرابع : صفة العين الإلهية :

صفة العين من الصفات التي ورد إثباتها الله -تعالى- في آيات قرآنية متعددة من ذلك: قوله تعالى : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [٣] وقوله تعالى : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٤]، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٥] وغيرها .

وكذلك جاء في السُّنَّة النبوية الصحيحة إثبات صفة العين الإلهية في أحاديث كثيرة ومنها حديث الدجال، وقوله ﷺ: " إن الله ليس بأعور ، وأشار بيده إلى عينه " [٦].

وبناءً على ذلك ، فقد أثبت أهل السُّنَّة والجماعة صفة العين لله تعالى ، كما يليق به سبحانه [٧]. وتأولها الجهمية والمعتزلة [٨].

صفة العين الإلهية عند سيد قطب :

باستقراء كلام سيد عن الآيات التي ورد فيها ذكر العين الإلهية نجد أنه يثبت صفة العين وما يلزم منها من لوازم كالحفظ والعناية والرعاية والملاحظة ونحو ذلك ومن النصوص في ذلك :

---

(١) سورة الذاريات ، الآية ٤٧ .
(٢) انظر : في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٨٥ ، وتفسير الطبري ١١/ ٤٧٢، وتفسير بن كثير ٧/ ٣٣١٠.
(٣) سورة هود ، الآية٣٧ .
(٤) سورة القمر ، الآية ١٤ .
(٥) سورة الطور ، الآية ٤٨ .
(٦) رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قوله الله (ولتصنع على عيني) ،٦/ ٢٦٩٥ برقم ٦٩٧٣ .
(٧) التوحيد لابن خزيمة ص ٤٢ ، وفتح الباري لابن حجر ١٣/ ٤٠١ ، والأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٤٢ .
(٨) أساس التقديس للرازي ص ٨ ، وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٢٧ .

١- في ظلال قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ (١)، يقول سيد: "وهي تجري في رعاية الله بملاحظة أعينه " (٢) ، وقوله في ظلال قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (٣) : "فدفع به إلى الأخذ بالأسباب مع رعاية الله له " (٤) و في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾(٥)، يقول سيد: " برعايتنا وتعليمنا " (٦).

وتفسير العين بالرعاية والملاحظة هو من تفسير الشيء بلازمة ، ولا بأس به إذا كان مع إثبات العين ، بخلاف تفسير العين بالرعاية والرؤية مع إنكار حقيقة العين" (٧).

٢ - في ظلال قوله تعالى لموسى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾(٨)، يقول سيد : " فربه يطلعه على أنه لن يذهب غفلا من التهيؤ والاستعداد ، وأنه لم يُرسل إلا بعد التهيئة والإعداد ، وأنه صنع على عين الله منذ زمان ،... (٩)، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ وما من شرح يمكن أن يضيف شيئًا إلى ذلك الظل الرفيق اللطيف العميق ، الذي يلقيه التعبير القرآني العجيب ، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ وكيف يصف لسان بشري خلقًا يصنع على عين الله ؟ إن قصارى أي بشر أن يتأمله ويتملاه .

أنها منزلة ، وإنها كرامة أن ينال إنسان لحظة من العناية، فكيف بمن يصنع صنعًا على عين الله ؟ إنه بسبب من هذا أطاق موسى أن يتلقى ذلك العنصر العلوي الذي تلقاه .

ولتصنع على عيني تحت عين فرعون- عدوك وعدوي - وفي متناول يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع ،ولكن عينه لا تمتد إليك بالشر، لأني ألقيت عليك

(١) سورة القمر ، الآية١٤ .
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٣٠ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية ٢٧ .
(٤) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٦٥ .
(٥) سورة هود ، الآية ٣٧ .
(٦) في ظلال القرآن ٤/ ١٨٧٦ .
(٧) شرح الواسطية ، للشيخ ابن عثيمين ص ٢٤ .
(٨) سورة طه ، الآية ٣٩ .
(٩) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٣٤ .

محبة مني ، ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني" [١]. "إنما أنت للمهمة التي صنعتك على عيني لها ، واصطنعتك لتؤديها " [٢].

٣ - في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[٣] يقول: " فعين الله على كل فرد" [٤].

٤ - في ظلال قوله تعالى:﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [٥] .

يقول: " إن الخيال البشري لينطلق وراء النص القصير ، يرتاد آفاق المعلوم والمجهول ، وعالم الغيب وعالم الشهود ، وهو يتبع ظلال علم الله في أرجاء الكون الفسيح ... مفاتحها كلها عند الله .. ويتبع الأوراق الساقطة من أشجار الأرض لا يحصيها عد ، وعين الله على كل ورقة تسقط ، هنا وهنا وهناك ، ويلحظ كل حبة مخبوءة في ظلمات الأرض لا تغيب عن عين الله ، ويرقب كل رطب وكل يابس في هذا الكون العريض ... " [٦].

٥ - في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٧] .

يقول سيد : " ويا له من تعبير : ويا له من تصوير ! ويا له من تقدير ! ، إنها مرتبة لم يبلغها قط إنسان ، هذه المرتبة التي يصورها هذا التعبير الفريد في القرآن كله ، حتى بين التعبيرات المشابهة .

لقد قيل لموسى -عليه السلام- : " وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى " ، وقيل له : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ ، وقيل له: ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ وكلها تعبيرات تدل على مقامات رفيعة ، ولكنه قيل لمحمد ﷺ :﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، وهو تعبير فيه إعزاز خاص ، وأنس خاص، وهو يلقي ظلًا فريدًا أرق وأشف من كل ظل، ولا يملك التعبير البشري أن يترجم هذا التعبير الخاص ، فحسبنا أن نشير

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٣٥ .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) سورة مريم ، الآية ٩٥ .
(٤) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٢١ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية ٥٩ .
(٦) في ظلال القرآن ، ٢/ ١١١٢ .
(٧) سورة الطور ، الآية ٤٨.

إلى ظلاله ، وأن نعيش في هذا الظلال "[١].

بالإضافة إلى ما سبق من كلام لسيد عند صفة السمع والبصر وتقريره أن الله سميع يسمع ، وبصير يرى ، وأنه بكل شيء بصير يبصره ويراه ، مما يدل على إثباته لصفة العين الإلهية [٢].

الفرع الخامس : صفة الساق :

ورد ذكر الساق في القرآن الكريم مرة واحدة ، منكرة غير مضافة ، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله سبحانه ، لأنه لم يضف الساق إليه ، وإنما ثبتت هذه الصفة بالسُّنَّة .

وذهب بعض أهل العلم إلى إثباتها بالآية مستدلًا أيضًا بالسُّنَّة ومنها حديث الشفاعة وفيه : " فيكشف عن ساقه " [٣]، وفي رواية " فيكشف عن ساق " [٤]. وهو الموافق للفظ الآية :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾[٥].

وتفسير الآية بالحديث ، والاستدلال بها على الصفة هو ما عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة [٦].

بينما يرى البعض أن هذه الآية ليست من آيات الصفات ،وأن المقصود بالساق الذي يكشف عنه يوم القيامة هو: الأمر العظيم أو شدة الأمر وجده ، كما هو مروي عن غير واحد من الصحابة والتابعين[٧].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه وغيره أن ما روى عن ابن عباس وغيره من المفسرين من تفسيرهم للساق بشده الأمر وعظمته ، ليس من باب تأويلات المتكلمين المبتدعة "، " وإنما هو من التفسير الجلي لا من التأويل الخفي بالمعني

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٤٠٢ .
(٢) وينظر أيضًا : المصدر السابق ٦/ ٣٦٤٣.
(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قوه تعالى " وجوه يمئذ ناظرة " ٦/ ٢٧٠٦ برقم ٧٠٠١ .
(٤) رواه مسلم في الإيمان باب معرفة طرق الرؤية ١/ ١٤٥-١٤٦ برقم ١٨٣ .
(٥) سورة القلم ، الآية ٤٢ .
(٦) انظر : الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ١٣٣، وتفسير بن كثير ٤/ ٣٥٩٧.
(٧) انظر : تفسير الطبري ، وتفسير ابن كثير ٨/ ٣٥٩٦-٣٥٩٧، والأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٣٧، وفتح الباري ٨/ ٦٦٤ .

الأصولي.."[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه - رحمه الله - : " والصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية، هل المراد به الكشف عن الشدة ، أو المراد به أنه يكشف الرب عن ساقه ، ولم تتنازع الصحابة والتابعون فيما ذكر من آيات الصفات إلا في هذه الآية ، وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة لله تعالى، لأنه قال :﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ ولم يقل : عن ساق الله ولا قال : يكشف الرب عن ساقه ، وإنما ذكر ساقًا نكرة غير معرفة ولا مضافة ، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن الذي قال فيه : " فيكشف الرب عن ساقه " وقد يقال إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود والسجود لا يصلح إلا الله ، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه " [٢].

ثم ذكر – رحمه الله – عدم صحة حمل الساق على الشدة ، لأن المستعمل في اللغة أن يقال كشف الشدة : أي أزالها ، وفي الآية يراد بالكشف الإظهار والإنابة ، كما أنه في يوم القيامة تحدث الشدة لا يزيلها "[٣].

ومن خلال ما سبق نرى أن تفسير الآية على أنها من آيات الصفات هو الراجح لما ثبت من الأحاديث الصحيحة المفسرة لما في القرآن .

وأن القول بأنها ليست من آيات الصفات قول مرجوح وليس براجح .

أما سيد قطب – رحمه الله – فقد فسر الآية بالقول المرجوح وليس بالقول الراجح الذي عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة .

ويظهر أنها ليست عنده من آيات الصفات حيث فسرها تبعًا لدلالة اللغة فيقول: "والكشف عن الساق كناية – في تعبيرات اللغة العربية المأثورة –عن الشدة والكرب، فهو يوم القيامة الذي يشمر فيه عن الساعد ، ويكشف فيه عن الساق، ويشتد الكرب والضيق ، ويدعي هؤلاء المتكبرون إلى السجود ، فلا يملكون السجود ، إما لأن وقته قد فات ، وإما لأنهم كما وصفهم في موضع آخر يكونون

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٩/ ١٤٥ ، ومجموع فتاوى بن تيمية ٦/ ٣٩٤- ٣٩٥ .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ، ٦/ ٣٩٤- ٣٩٥ ، وينظر أيضًا الصواعق المرسلة لابن القيم ١/ ٢٥٢ .
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/ ٣٩٥ .

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ وكأن أجسامهم وأعصابهم مشدودة من الهول على غير إرادة، وعلى أية حال فهو تعبير يشي بالكرب والعجز والتحدي المخيف .."[1].

الفرع السادس : صفة النور :

في ظلال قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.. الآية ﴾[2]، يقول سيد : " وما يكاد النص العجيب يتجلى حتى يفيض النور الهادئ الوضيء فيغمر الكون كله، ويفيض على المشاعر والجوارح، وينسكب في الحنايا والجوانح، وحتى يسبح الكون كله في فيض النور الباهر، وحتى تعانقه وترشفه العيون والبصائر، وحتى تنزاح الحجب، وتشف القلوب، وترف الأرواح، ويسبح كل شيء في الفيض الغامر، ويتطهر كل شيء في بحر النور، ويتجرد كل شيء من كثافته وثقله فإذا هو انطلاق ورفرفة، ولقاء ومعرفة، وامتزاج وألفة، وفرح وحبور، وإذا الكون كله بما فيه ومن فيه نور طليق من القيود والحدود، تتصل فيه السماوات بالأرض، والأحياء بالجماد، والبعيد بالقريب، وتلتقي فيه الشعاب والدروب، والطوايا والظواهر، والحواس والقلوب ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾.

النور الذي منه قوامها ومنه نظامها، فهو الذي يهبها جوهر وجودها، ويودعها ناموسها، ولقد استطاع البشر أخيرًا أن يدركوا بعلمهم طرفًا من هذه الحقيقة الكبرى، عندما استحال في أيديهم ما كان يسمى بالمادة – بعد تحطيم الذرة – على إشعاعات منطلقة لا قوام لها إلا النور! ولا مادة لها إلا النور! فأما القلب البشري فكان يدرك الحقيقة الكبرى قبل العلم بقرون، فكان يدركها كلما شفَّ ورفَّ، وانطلق إلى آفاق النور.

ولقد أدركها كاملة شاملة قلب محمد رسول الله ﷺ ففاض بها وهو عائد من الطائف نافضٌ كفيه من الناس، عائذ بوجه ربه يقول : " أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة "[3]، وفاض بها في رحلة الإسراء والمعراج

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٦٧- ٣٦٦٨، وينظر أيضًا : مشاهد القيامة ص ٥٨ .

(٢) سورة النور، الآية ٣٥ .

(٣) أخرجه بن منده في كتاب التوحيد لابن منده، تحقيق د/ علي الفقيهي مكتبة العلوم والحكم – المدينة ط١ عام ١٤٢٣هـ ٣/ ٣٨ برقم ٣٩٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٣٥، وابن هشام، انظر السيرة النبوية لابن هشام دار التراث العربي القاهرة ٢/ ٢٦٥ .

فلما سألته عائشة - ﷺ - هل رأيت ربك ؟ قال : " نور أنى أراه " (١).

ولكن الكيان البشري لا يقوى طويلًا على تلقي ذلك الفيض الغامر ، ولا يستشرف طويلًا ذلك الأفق البعيد ، فبعد أن جلا النص هذا الأفق المترامي ، عاد يقرب مداه ، ويقربه إلى الإدراك البشري المحدود ، في مثل قريب محسوس.

﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾(٢).

- وهو مثل يقرب للإدراك المحدود صورة غير المحدود ، ويرسم النموذج المصغر الذي يتأمله الحس حين يقصر عن تملي الأصل ، وهو مثل يقرب للإدراك طبيعة النور حين يعجز عن تتبع مداه وآفاقه المترامية وراء الإدراك البشري الحسير ...﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ وبذلك نعود إلى النور العميق الطليق في نهاية المطاف ! إنه نور الله الذي أشرقت به الظلمات في السموات والأرض ، النور الذي لا ندرك كنهه ولا مداه ، إنما هي محاولة لوصل القلب به ، والتطلع إلى رؤياه ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ ممن يفتحون قلوبهم للنور فتراه ...

- إنما المثل الذي ضربه الله لنوره وسيلة لتقريبه إلى المدارك ، وهو العليم بطاقة البشر ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ذلك النور الطليق ، الشائع في السماوات والأرض ، الفائض في السماوات والأرض ، يتجلى ويتبلور في بيوت الله ، التي تتصل فيها القلوب بالله ، تتطلع إليه وتذكره وتخشاه ، وتتجرد له وتؤثره على كل مغريات الحياة " (٣).

الفرع السابع : صفة الأول والآخر والظاهر والباطن :

في ظلال قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٤)

---

(١) رواه مسلم في الإيمان باب قوله " نور أني اراه " ١/ ١٤١ برقم ١٧٨ .والترمذي في التفسير ٥/ ٦٩ / ٣٢٨٢ . وفي لفظ لمسلم " رأيت نورًا "

(٢) سورة النور ، الآية ٣٥ .

(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢٥١٨ - ٢٥٢٠ بتصرف يسير .

(٤) سورة الحديد ، الآية ٣.

يقول: " الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء ، الأول والآخر مستغرقًا كل حقيقة الزمان ، والظاهر والباطن مستغرقًا كل حقيقة المكان ، وهما مطلقتان ، ويتلفت القلب البشري فلا يجد كينونة لشيءٍ إلا اله ، وهذه كل مقومات الكينونة ثابتة له دون سواه، حتى وجود هذا القلب ذاته لا يتحقق إلا مستمدًا من وجود الله ، فهذا الوجود الإلهي هو الوجود الحقيقي الذي يستمد منه كل شيء وجوده ، وهذه الحقيقة هي الحقيقة الأولى التي يستمد منها كل شيء حقيقته ، وليس وراءها حقيقة ذاتية ولا وجود ذاتي لشيء في هذا الوجود" [١]، ولابن القيم – رحمه الله –كلام قريب من هذا في إحاطة هذه الأسماء الأربعة بالزمان والمكان [٢].

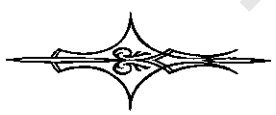

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٤٧٩.

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم المطبعة السلفية القاهرة طبعة عام ١٣٧٥هـ ص ٢٤ .

obeikandl.com

المطلب الرابع
الصفات الفعلية " العقلية السمعية "

ذكرنا سابقًا أن المقصود بالصفات الفعلية : الصفات التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته سبحانه إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعل ، ولذا يعبر عنها بالأفعال الاختيارية [١].

والصفات الفعلية عند أهل السُّنَّة والجماعة قائمة بذات الله تعالى ، فهي من حيث قيامها بالذات تسمى صفات ذات لأن الذات متصفة بها ، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى صفات أفعال [٢].

وعلى هذا فالصفات الفعلية – في اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة – قديمة النوع ، حادثة الآحاد ، بمعنى أن نوعها قديم لم يزل الله تعالى موصوفًا بها أزلًا وأبدًا ، فلم تحدث له صفة بعد أن لم يكن متصفًا ، وأما آحاد هذه الصفات وأفرادها فهي حادثة، بمعنى أنها تقع شيئًا فشيئًا ، تبعًا لقدرة الله تعالى وإرادته وحكمته [٣].

وهذا النوع من الصفات – أي الفعلية – ينقسم إلى قسمين :

الأول : صفات الفعل العقلية السمعية ، وهي التي يشترك في إثباتها الدليل السمعي (النقلي) والدليل العقلي ، كالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها .

والثاني : صفات الفعل الخبرية ، وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ، كالاستواء والنزول والمجيء والغضب ونحوها [٤].

وعمومًا فصفات الفعل العقلية السمعية من الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى، وهي دالة على ربوبيته سبحانه .

---

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ٨٠ ، والقواعد المثلى لابن عثيمين ص ٤٣ .
(٢) انظر : شرح القصيدة النونية لهراس ٢/ ١١٧ .
(٣) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢/ ١٤٧ – ١٤٨ ، وشرح الواسطية لهراس ص ١٦٠ .
(٤) انظر : فتح الباري ١٣/ ٣٧٥ ، والصفات الإلهية للدكتور / محمد أمان الجامي ص ٢٠٧ – ٢٠٨ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٧٨- ٨٠ .

وليس حولها خلاف بين الفرق ، لأنها من لوازم ربوبيته سبحانه والإقرار بربوبيته سبحانه أمر فطري لم ينكره إلا شواذ الخلق ، فحتى المشركون لم يكونوا يجادلون في صفات الربوبية كالخلق والرزق ونحوها كما سبق، ولم يحصل خلاف في هذه الصفات بين الفرق إلا في صفة الكلام باعتبارها صفة فعل وذات وقد سبق الحديث عنها في المطلب السابق .

وسيد – رحمه الله – يثبت صفات الفعل العقلية السمعية في ظلال الآيات التي جاء فيها ذكر صفات الخلق والرزق والإحياء والإماتة ، والإعطاء والمنع ، والضر والنفع .. إلى آخر صفات ربوبيته سبحانه [١] .

ومن الأمثلة لكلام سيد في بيان هذه الصفات وتفرد الله بها قوله: " إن كل ما ادعاه البشر في جاهلياتهم آلهة ، لا يخلقون ، ولا يرزقون ، ولا ينفعون أو يضرون ، ولا ينصرون عبادهم من الله ولا أنفسهم ينصرون ، ولا يحيون ولا يميتون ، ولا يبعثون ولا ينشرون، ولا يحاسبون، ولا يجزون وإذن فليسوا آلهة لأن الإله هو الذي يخلق ويرزق ويضر وينفع ويحيى ويميت ويبعث ويجزي " [٢].

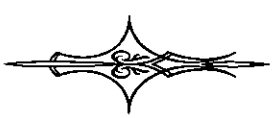

(١) ينظر أمثلة من كلام سيد حول صفات التدبير: في ظلال القرآن ١/ ٥٢، ٥٣ ، ٤/ ١٨٥٦، ٥/ ٢٧٥٠، ٢٧٧٢، ٢٨٠٦، ٦/ ٢٣٨ . ومقومات التصور الإسلامي ، فصل حقيقة الألوهية كاملًا ص ١٨٩ – ٣٢٢ .

(٢) مقومات التصور الإسلامي ، ص ٢٨٥ .

المطلب الخامس
الصفات الفعلية " الخبرية "

وهذه ا لصفات هي التي حصل حولها خلاف بين الفرق الإسلامية ، ويمكن بيانها وموقف سيد قطب منها في الفروع الآتية :

الفرع الأول : صفة الاستواء :

وهي من أشهر الصفات التي وقع فيها النزاع بين السلف والمتكلمين ، وبالتالي تحتاج إلى إيضاح وتفصيل كما يأتي :

أولا : المقصود بالاستواء وعلاقته بالعلو :

لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان :

الأول: مطلق : وهو ما لم يوصل معناه بحرف " أي مجرد " مثل قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾[1] وهذا معناه كَمُلَ ، وتَمَّ .

الثاني: مقيد : وهو على ثلاث أضرب :

١ – مقيد بـ﴿ إِلَىٰ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[2] وهذا له معنيان : إما العلو والارتفاع ، وإما القصد والإقبال .

٢ – مقيد بـ﴿ عَلَىٰ ﴾كقوله تعالى :﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾[3]،وقوله: ﴿ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ﴾[4] وقوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[5]، وله عدة معانٍ منها : العلو،

---

(١) سورة القصص : الآية ١٤ .

(٢) ينظر أمثلة من كلام سيد حول صفات التدبير: في ظلال القرآن ١/ ٥٢، ٥٣ ، ٤/ ١٨٥٦، ٥/ ٢٧٥٠، ٢٧٧٢، ٢٨٠٦، ٦/ ٢٣٨ . ومقومات التصور الإسلامي ، فصل حقيقة الألوهية كاملًا ص ١٨٩ – ٣٢٢ .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ١٣ .

(٤) سورة هود ، الآية ٤٤ .

(٥) سورة الحديد ، الآية ٤ .

والارتفاع ، والاستقرار ، والصعود [١].

٣- المقرون بالواو : أي واو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو "استوى الماء والخشبة " بمعنى ساواها [٢].

العلاقة بين العلو والاستواء :

الاستواء علوٌّ خاص بالعرش ، وأما العلو فهو علوٌّ عام على جميع المخلوقات . فالاستواء على العرش أخص من مطلق العلو ، فعلوه سبحانه وتعالى ثابت له أزلًا وأبدًا ، لم يزل عاليًا على كل شيء قبل أن يخلق العرش ، ولا يلزم من عدم استوائه على العرش عدم علوه ، بل هو عالٍ ثم بعد خلق السماوات والأرض علا علوًا خاصًا على العرش .

ولهذا تجد أن الذين ينفون علو الله العام على جميع خلقه ينفون كذلك علوه الخاص على العرش ، لكن العلو - كما سبق من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل عند أئمة المثبتة ، وأما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل [٣]، وهي الصفات الخبرية [٤].

ثانيًا : مواقف الفرق من استواء الله عز وجل :

ويمكن بيان موقف الناس من استواء الله عز وجل فيما يأتي :

١ - الاستواء المقرون بـ ﴿ إِلَى ﴾ : وقد جاء في موضعين من القرآن الكريم هما قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾[٥]، وقوله تعالى في سورة فصلت: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ

(١) شرح القصيدة النونية ، لهراس ١/ ٢٤١ .

(٢) ينظر في ذلك : مختصر الصواعق لابن القيم ٢/ ٣٠٦ ، وفتح الباري ١٣/ ٤٠٦، والإتقان للسيوطي ٢/ ٦ ، ٧ ، وتفسير السعدي ١/ ٤٩ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٣٨٤- ٣٨٥، ولسان العرب ١٤/ ٤١٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٢٧ .

(٤) انظر : شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لابن عثيمين ص ١٠٣، ١١٦ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ص ٣٨٥.

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٩ .

سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾[١].

والمفسرون في بيان معنى الاستواء في هاتين الآيتين على قولين:

القول الأول: أن معنى استوى علا وارتفع إليها، فهي والمعداة بـ" على" سواء في المعنى وعلى هذا جماعة من أهل العلم، يقول ابن جرير والطبري- رحمه الله -: " وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾: " علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات "[٢].

ويقول ابن القيم - رحمه الله - : " والمقيد بـ﴿ إِلَى ﴾ كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ واستوى فلان إلى السطح، وإلى الغرفة، بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف "[٣].

القول الثاني: أن معنى استوى هنا: قصد، والمعنى " قصد إليها قصدًا كاملًا، وإلى هذا ذهب جماعة من أهل العلم، يقول ابن كثير - رحمه الله - : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي قصد إلى السماء، والاستواء هاهنا مضمن معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بـ﴿ إِلَى ﴾[٤]، ويقول الإمام السعدي [٥] - رحمه الله - : " استوى ترد في القرآن على ثلاثة معاني:

والثالث: تكون بمعنى " قصد " كما إذا عديت بـ﴿ إِلَى ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ ﴾ أي: لما خلق تعالى الأرض قصد إلى خلق السماوات فسواهن سبع سموات فخلقها وأحكمها وأتقنها "[٦].

وقد ذكر القولين الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - عند كلامه على معنى الاستواء

---

(١) سورة فصلت، الآيتان ١١، ١٢.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٢٢٢، ١١/ ٩٢.

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٠٦ بتصرف يسير.

(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٢٢٤ وينظر تفسير الطبري ١/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٥) هو: عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي من كبار علماء نجد المعاصرين ولد بعنيزه عام ١٣٠٧هـ اشتغل بالتدريس والدفاع عن عقيدة السلف له مؤلفات عديدة، توفى عام ١٣٦٧هـ انظر علماء نجد خلال ستة قرون لعبد الرحمن البسام مكتبة مكة ط١ عام ١٣٩٨، ٢/ ٤٢٢ الأعلام ٣/ ٣٤٠

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي دار الذخائر الرياض طبعة عام ١٩٩٤هـ ١/ ٤٩.

فقال : " والمعداة بـ﴿ إِلَى ﴾ مثل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فهل معناها كالأولى المعداة بـ" على" ؟ فيها خلاف بين المفسرين :

- منهم من قال : إن معناهما واحد ، وهذا ظاهر تفسير ابن جرير - رحمه الله - فمعنى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي : ارتفع إليها .

- ومنهم من قال : بل الاستواء هنا بمعنى القصد الكامل ، فمعنى استوى إليها أي : قصد إليها قصدًا كاملًا ، وأيدوا تفسيرهم هذا بأنها عديت بما يدل على هذا المعنى وهو﴿ إِلَى ﴾ وإلى هذا ذهب ابن كثير - رحمه الله - ، ثم ذكر كلام ابن كثير السابق " [1].

٢) الاستواء المقرون بـ" على" : جاء الاستواء المقرون بـ﴿ عَلَى ﴾ المضاف إلى الله تعالى في القرآن الكريم في سبعة مواضع هي :

قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [2].

قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[3].

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[4].

قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[5].

قوله تعالى﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [6]

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[7].

قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/ ٣٨٤- ٣٨٥ مطبعة دار المدني - جدة - طبعة عام ١٤٠٨هـ.
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٥٤ .
(٣) سورة يونس ، الآية ٣ .
(٤) سورة الرعد ، الآية ٢.
(٥) سورة طه ، الآية ٥ .
(٦) سورة الفرقان ، الآية ٥٩ .
(٧) سورة السجدة ، الآية ٤.

ٱلْعَرْشِ ﴾[1].

ففي هذه السبعة المواضع جاء التصريح باستوائه سبحانه على العرش ، بعد خلق السموات والأرض .

وقد اختلفت آراء الفرق في معنى الاستواء في هذه الآيات السبع على أقوال هي:

القول الأول : إثبات صفة الاستواء لله تعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه وهذا هو قول جمهور أهل السُّنَّة والجماعة حيث يفسرون الاستواء على العرش بالعلو والارتفاع، فيقولون:﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ أي : علا وارتفع وصعد واستقر [2].

فالاستواء صفة فعلية ثابتة لله تعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه دون الخوض في كيفية الاستواء ، كما قال الإمام مالك - رحمه الله - عندما سئل عن الاستواء فقال : " الاستواء معلوم ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة " وفي رواية عنه " الاستواء غير مجهول " [3].

وقد اشتهرت هذه المقولة عنه وإن كانت محفوظة عن غيره أيضًا ، وغدت قاعدة محكمة تنطبق على جميع نصوص الصفات عند أهل السُّنَّة والجماعة .

القول الثاني : تأويل الاستواء بالاستيلاء ، كما يقول غلاة الجهمية والمعتزلة وبعض الأشاعرة ، حيث يفسرون الاستواء بالاستيلاء، ويستدلون لتحريفهم هذا بدليلٍ موجَب ودليلٍ سالب ، أما الموجب فقول الشاعر :

قد استوى بِشْرٌ على العراق ∴ من غير سيف أو دمٍ مهراق

وأما السلبي فقالوا : لو أثبتنا أن الله جل وعلا مستوٍ على عرشه بمعنى العلو

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٤ .

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٩٨، وتفسير الطبري ١/ ٢٢٨ - ٢٣٠ ، والتمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٣١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥١٨ ، وشرح نونية ابن القيم لهراس ١/ ٢٤١ ، ولسان العرب ١٤/ ٤١٤ .

(٣) انظر : الرد على الجهمية للدرامي ص ٢٨٠ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للألكائي ٣/ ٣٩٨، والحلية لأبي نعيم ٦/ ٣٢٥ ، والأسماء والصفات للبيهقي ص ٥١٥ ، والتمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٣٨، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ١٠٠، والحموية لابن تيمية ص ٢٤ ، والعلو للذهبي ص ١٠٣ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٩٦ .

والاستقرار، للزم من ذلك لوازم منها : أن يكون محتاجًا إلى العرش ، وأن يكون محدودًا ، وأن يكون جسمًا وهذه أمور مستحيلة على الرب [١].

وهذا تأويل بعيد لأنه لم يرد في كلام العرب تفسير الاستواء بالاستيلاء ، وإنما حملهم على ذلك أنهم ينكرون علو الله تعالى على خلقه، وأنه ليس في السماء ، ولا على العرش ، فكان تفسيرهم له بالاستيلاء ليتوافق مع تعطيلهم .

وقد رد هذا القول شيخ الإسلام ابن تيميه وأبطله من أثنى عشر وجهًا ، وأبطله الإمام ابن القيم من اثنين وأربعين وجهًا، وكذا ابن عبد البر وغيرهم[٢].

القول الثالث: التفويض:وهو قول كثير من الأشاعرة المتقدمين وبعض المتأخرين، بحجة أنه أسلم في زعمهم ، حيث يجعلونه من المتشابه الذي يفوض علمه إلى الله تعالى وممن قال به أيضًا الإمام ابن حجر ، والشاطبي[٣]، وغيرهما [٤].

وهذا القول مخالف لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة حيث أن أهل السُّنَّة يقولون : الاستواء معلوم في لغة العرب – كما سبق – وإنما المجهول للبشر هو كيفية استواء الله تعالى ، ولذلك أثبت أهل السُّنَّة الاستواء بمعناه المعلوم في اللغة ، وفوضوا الكيفية على حد القول المأثور عن الإمام مالك وغيره : "الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعه " [٥].

---

(١) انظر : الفصل لابن حزم ٢/ ٢٨٩ ، وتفسير الرازي ٤/ ١٠٦، وأصول الدين للبغدادي ص ١١٣ ، ومقالات الإسلاميين للأشعري ص ١٥٧، والكشاف للزمخشري دار إحياء التراث بيروت، ط١، عام ١٤١٧هـ ١/ ٦١ ، شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار ص ٢٢٦ ، والإرشاد للجويني ص ٤٠ وشرح الواسطية لابن عثيمين ص ٣٧٥- ٣٧٦ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ١٤٤- ١٤٩، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٣٠٦- ٣٢٢ ، والتمهيد لابن عبد البر ٧/ ١٣٧ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ص ٣٧٥ وما بعدها .

(٣) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، فقيه وأصولي ومفسر من أئمة المالكية له مصنفات عديدة ، توفى سنة ٧٩٠هـ انظر الأعلام الزركلي ١/ ٧٥ .

(٤) انظر : فتح الباري ١٣/ ٤١٦، وهدى الساري مقدمة فتح الباري ص ١٣٦، والموافقات للإمام الشاطبي دار الكتب العلمية بيروت ب.ت ٣/ ٣٤٤، وتفسير الرازي ١٤/ ١٢١، وأصول الدين للبغدادي ص ١١٢ ، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٢.

(٥) سبق تخريجه الصفحة السابقة .

وقد بسط القول في الرد على أهل التفويض جماعة من أهل السُّنَّة [١].

القول الرابع : تفسير الاستواء بمعنى الاستعلاء والسيطرة والملك والسلطان والقدرة : [٢].

وهذا وإن كان مخالفًا لما عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة ، إلا أن له وجهًا من لغة العرب ، بخلاف القول الثاني - تفسيره بالاستيلاء - لأنه لم يرد في كلام العرب ذلك .

ثالثًا : موقف سيد قطب من تفسير الاستواء :

حدث جدل طويل حول موقف سيد قطب من صفة الاستواء ، حيث اتهمه بعضهم بأنه جهميٌ معطل ، وأشعري معتزلي مؤول [٣]، ودافع عنه آخرون ، وحتى تتبين لنا حقيقة موقف سيد قطب من صفة الاستواء لا بد من عرض كلامه كاملًا ، ثم الحكم عليه وذلك على النحو الأتي :

١ - تفسير - سيد - للاستواء المقيد بـ﴿ إِلَى ﴾ :

مر معنا أن لفظ الاستواء أضيف إلى الله تعالى مقرونًا بـ﴿ إِلَى ﴾ في موضعين من القرآن الكريم ، وأن أهل العلم اختلفوا في تفسيره على قولين :

الأول : أنه بمعنى العلو والارتفاع ، والثاني : أنه بمعنى القصد والإقبال [٤].

أما سيد قطب - رحمه الله - فقد فسرها في هذين الموضعين بالمعنى الثاني - أي القصد والإقبال- تبعًا لابن كثير وغيره من أئمة التفسير الذين قالوا بهذا الرأي. وإليك كلام سيد في الموضعين :

أ - في ظلال قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ١٤- ١٦، ومجموع الفتاوى ٤/ ٦٧- ٦٨ ، ٥/ ٣٤- ٣٦ ، ومختصر الصواعق لابن القيم ١/ ٥٤- ٥٥ .

(٢) انظر : فتح الباري ١٣/ ٤٠٥- ٤٠٦ ، والتحف في مذاهب السلف للإمام الشوكاني ص ١٥ ، وقاموس القرآن للدامغاني ص٢٥٥.

(٣) أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب للمدخلي ص١٧٤ ،والجماعات الإسلامية للهلالي ص٢١٤ .

(٤) انظر : شرح العقيد الواسطية لابن عثيمين ص ٣٨٤ ، وص من هذا البحث .

﴿ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [١] يقول: " ويكثر المفسرون والمتكلمون هنا من الكلام عن خلق الأرض والسماء ، ويتحدثون عن القبلية والبعدية ، ويتحدثون عن الاستواء والتسوية ، وينسون أن " قبل وبعد " اصطلاحان بشريان لا مدلول لهما بالقياس إلى الله تعالى ، وينسون أن الاستواء والتسوية اصطلاحان لغويان يقربان إلى التصور البشري المحدود صورة غير المحدود ولا يزيدان ، وما كان الجدل الكلامي الذي ثار بين علماء المسلمين حول هذه التعبيرات القرآنية إلا آفةً من آفات الفلسفات الإغريقية والمباحث اللاهوتية عند اليهود والنصارى ، عند مخالطتها للعقلية العربية الصافية والعقلية الإسلامية الناصعة ، وما كان لنا أن نقع في هذه الآفة ، فنفسد جمال العقيدة وجمال القرآن بقضايا علم الكلام ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ولا مجال للخوض في معنى الاستواء إلا بأنه رمز السيطرة ، والقصد بإرادة الخلق والتكوين " [٢].

ب - في ظلال قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [٣] يقول سيد : " والاستواء هنا القصد ، والقصد من جانب الله تعالى هو توجه الإرادة ، و" ثم " قد لا تكون للترتيب الزمني ، ولكن للارتقاء المعنوي " [٤].

ويظهر من كلام سيد السابق ، أنه فسر الاستواء إلى السماء بالقصد إليها وتوجه إرادته لخلقها ، وهو قول قال به بعض أهل السُّنَّة وله أصل في لغة العرب [٥]، ونسبة سيد بناءً على تفسيره هذا إلى المعتزلة [٦]، لمجرد أن الزمخشري قال بهذا الرأي غير صحيح ، لأنه قد قال به جماعة من أهل السُّنَّة والجماعة أيضًا .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٩ .
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٥٣ ، ٥٤ .
(٣) سورة فصلت ، الآية ١١ .
(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٣١١٤ .
(٥) انظر : تفسير الطبري ١/ ٤٢٨ ، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٢٤ ، وتفسير السعدي ، ١/ ٤٩ .
(٦) الجماعات الإسلامية لسليم الهلالي ص ٢١٤ ، وينظر أيضًا : في ظلال القرآن في الميزان د/ صلاح الخالدي ص ١٢٩ - ١١٣.

٢ - تفسيره للاستواء المقيد بـ "﴿ عَلَى ﴾ :

الذي عليه جمهور أهل السُّنَّة والجماعة أن الاستواء على العرش معناه : العلو والارتفاع ، كما يليق بجلاله سبحانه ، دون السؤال عن كيفيته كما سبق ، وأما المخالفون لأهل السُّنَّة من الجهمية والمعتزلة وبعض الأشاعرة ففسروه بالاستيلاء، وبعضهم فسره بالاستعلاء ، وآخرون توقفوا وفوضوا المعنى والكيفية وجعلوه من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله .

أما سيد قطب - رحمه الله - فقد كان كلامه عن الاستواء في الطبعة المنقحة مختلف عنه في الطبعة الأولى ، والسبب في ذلك :" أن سيدًا - رحمه الله - كتب من أول الظلال إلى الجزء السادس عشر قبل دخوله السجن ، ثم في السجن أتم إلى الجزء السابع والعشرين ، ثم كتب الأجزاء الثلاثة الأخيرة مركزًا فيها على المنهج الحركي ، وبعد أن أكمل الظلال ، عاد من أوله ينقحه ويفسره تبعًا للمنهج الحركي عنده ، فكتب العشرة الأجزاء الأولى من القرآن بتركيز شديد ، وعلى منهج جديد ، وبطريقة جديدة ، فكان يقف عند الآيات طويلًا ، ويسجل كل خواطره حولها ويتعرض للحديث عما توحي له من قضايا في العقيدة والحركة وغير ذلك .. والأجزاء من الحادي عشر إلى الثالث عشر لم يقف طويلًا عند آياتها ، لأنه قال معظم ما يريد قوله في الأجزاء السابقة ، وكان يريد إكمال الأجزاء الباقية لكن الطغاة عاجلوه بالإعدام فلم يتمكن من ذلك "[1].

وهذا يعني أننا بحاجة إلى أن نقف على كلام سيد قطب في الطبعة الأولى ، وكذا في الطبعة المنقحة لنعرف هل كان واحدًا أم مختلفًا ، ثم نحكم بعد ذلك على ما استقرعليه، وذلك كما يلي :

أ ـ تفسير سيد للاستواء في الطبعة الأولى :

من خلال تتبع كلام سيد قطب حول الاستواء في السبعة المواضع من الطبعة الأولى ، نجد أنه كان يميل إلى تأويل الاستواء بأنه رمز للسيطرة ، وإليك كلامه فيها مرتبًا على النحو التالي :

---

(١) مدخل إلى ظلال القرآن . د/ صلاح الخالدي ص ٥٠- ٥٢ بتصرف .

في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[١] في سورة الأعراف قال : "مستعليًا على هذا الكون الهائل يدبره بأمره ويصرفه وفق الناموس الذي اختاره"[٢].

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[٣] في يونس قال " ثم استوى على العرش عرش الكون ، كناية عن مقام السيطرة العلوية الثابتة الراسخة ، باللغة التي يفهمها البشر، ويتمثلون بها المعاني على طريقة القرآن في التصوير، وتجسيم المعاني المجردة في صورة حسية تخييلية " [٤].

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[٥] في سورة الرعد ، يقول : " وهو الاستعلاء المطلق يرسخه في صورة ،على طريقة القرآن في تقريب الأمور المطلقة لمدارك البشر المحدودة"[٦].

في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[٧] في سورة طه يقول : " وهو المهيمن على الكون كله ، " على العرش استوى " والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء فأمر الناس إذن إليه .. "[٨].

في تفسير قوله تعالى :﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[٩] في سورة الفرقان يقول : " أما الاستواء على العرش فهو الاستعلاء والسيطرة " [١٠]

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[١١] في سورة السجدة يقول : "والاستواء على العرش ، رمز لاستعلائه على الخلق كله ، وأما العرش ذاته ، فلا

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٥٤ .
(٢) في ظلال القرآن ، الطبعة الأولى ، ٨/ ٧٩، نقلا عن : في ظلال القرآن في الميزان ، د/ صلاح الخالدي ص ١٣٢.
(٣) سورة يونس ، الآية ٣ .
(٤) في ظلال القرآن ، الطبعة الأولى ١١/ ٥٦ ، نقلًا عن الخالدي ص ١٣٣ .
(٥) سورة الرعد ، الآية ٢ .
(٦) في ظلال القرآن ، الطبعة الأولى ١١/ ٤٥ ، نقلًا عن الخالدي ص ١٣٣ .
(٧) سورة طه ، الآية ٥ .
(٨) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٢٨ .
(٩) سورة الفرقان ، الآية ٥٩ .
(١٠) في ظلال القرآن ٥/ ٢٥٧٤ .
(١١) .سورة السجدة ، الآية ٤ .

سبيل إلى قول شيء عنه ، ولا بد من الوقوف عند لفظه ، وليس كذلك الاستواء فظاهر أنه كناية عن الاستعلاء ، ولفظ " ثم " لا يمكن قطعًا أن يكون للترتيب الزمني ، لأن الله سبحانه – لا تتغير عليه الأحوال ، ولا يكون في حال أو وضع – سبحانه – ثم يكون في حال أو وضع تالٍ ، إنما هو الترتيب المعنوي ، فالاستعلاء درجة فوق الخلق يعبر عنها هذا التعبير .. وهو سبحانه المسيطر على العرش والسماوات والأرض وما بينها "[1]

في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[2] في سورة الحديد يقول : "وكذلك العرش فنحن نؤمن به كما ذكره ولا نعلم حقيقته ، أما الاستواء على العرش فنملك أن نقول : إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق ، استنادًا إلى ما نعلمه من القرآن عن يقين من أن الله – سبحانه – لا تتغير عليه الأحوال ، فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش ، ثم تتبعها حالة الاستواء .

والقول بأننا نؤمن بالاستواء ولا ندرك كيفيته لا يفسر قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ والأولى أن نقول: إنه كناية عن الهيمنة كما ذكرنا .

والتأويل هنا لا يخرج على المنهج الذي أشرنا إليه آنفًا ، لأنه لا ينبع من مقررات وتصورات من عند أنفسنا ، إنما يستند إلى مقررات القرآن ذاته ، وإلى التصور الذي يوحيه عن ذات الله سبحانه وصفاته "[3].

ونخلص مما سبق عرضه من كلام سيد قطب عن الاستواء في الطبعة الأولى وفي الأجزاء غير المنقحة من الظلال إلى الآتي :

أولا : أن سيد قطب – رحمه الله – في جميع المواضع يفسر الاستواء بأنه رمز وكناية عن الاستعلاء والسيطرة والهيمنة على الخلق .

ثانيًا : أنه اعترف بأنه أول الاستواء إلى معنى الاستعلاء ، وبيَّن أن الذي دفعه إلى هذا التأويل هو لفظ " ثم " في الآيات حيث يرى أنه لا يجوز أن تكون للترتيب الزمني لأن الله سبحانه منزه عن الحدوث ، ولا تتغير عليه الأحوال ، فلا يكون في

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٠٧

(٢) سورة الحديد ، الآية ٤ .

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٨٠.

حالة عدم استواء ثم يصبح في حالة استواء .

لذلك فهو يرى أن " ثم " للترتيب المعنوي وليس الزمني .

ثالثًا: يرى أن قول السلف " نؤمن بالاستواء ولا ندك كيفيته " لا يفسر الاستواء، فلا بد عنده من أن يكون الاستواء كناية عن الهيمنة ، ويقرر أنه في تأويله هذا متبع لطريقة القرآن في التعبير عن الغيبيات بصورة تقريبها للإدراك البشري .

ب - تفسيره للاستواء على العرش في الطبعة المنقحة :

كان أول موضع ذكر فيه الاستواء في الطبعة المنقحة هو سورة الأعراف ، وقد سبق معنا في الفقرة السابقة أن سيدًا فسر الاستواء في سورة الأعراف من الطبعة الأولى ، بأنه: " الاستعلاء على الكون وتدبير أمره وفق الناموس الذي اختاره "

وبالنظر في الطبعة المحققة نجد أن تفسيره للاستواء اختلف تمامًا حيث يقول في ظلال قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾[1] : " إن عقيدة التوحيد الإسلامية، لا تدع مجالا لأي تصور بشري عن ذات الله سبحانه ، ولا عن كيفيات أفعاله ، فالله سبحانه ليس كمثله شيء ، ومن ثم لا مجال للتصور البشري لينشئ صورة عن ذات الله ، فكل التصورات البشرية إنما تنشأ في حدود المحيط الذي يستخلصه العقل البشري مما حوله من أشياء، فإذا كان الله – سبحانه– ليس كمثله شيء ، توقف التصور البشري إطلاقًا عن إنشاء صورة معينة لذاته تعالى ، ومتى توقف عن إنشاء صورة لذاته العلية فإنه يتوقف تبعًا لذلك عن تصور كيفيات أفعاله جميعًا ، ولم يبق أمامه إلا مجال تدبر آثار هذه الأفعال في الوجود من حوله ، وهذا هو مجاله .

ومن ثم تصبح أسئلة كهذه : كيف خلق السماوات والأرض ؟ كيف استوى على العرش ؟ كيف هذا العرش الذي استوى عليه سبحانه ؟ ! تصبح هذه الأسئلة وأمثالها لغوًا يخالف توجيهها قاعدة الاعتقاد الإسلامي ، أما الإجابة عليها فهي اللغو الأشد الذي لا يزاوله من يدرك تلك القاعدة ابتداءً ، ولقد خاضت الطوائف

(١) سورة الأعراف ، الآية ٥٤.

– مع الأسف – في هذه المسائل خوضًا شديدًا في تاريخ الفكر الإسلامي، بالعدوى الوافدة على هذا الفكر من الفلسفة الإغريقية ! "[١].

ويقول أيضًا في تفسيره سورة الأعراف في موضع آخر بعد هذا عند حديثه عن الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم : " فأما كيف كان هذا المشهد ؟ وكيف أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ؟ وكيف خاطبهم ﴿ يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ﴾ وكيف أجابوا ﴿ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا ﴾؟ فالجواب عليه : أن كيفيات فعل الله – سبحانه – غيب كذاته ، ولا يملك الإدراك البشر أن يدرك كيفيات أفعال الله ، ما دام أنه لا يملك أن يدرك ذات الله ، إذ أن تصور الكيفية فرع عن تصور الماهية ، وكل فعل ينسب لله سبحانه مثل الذي يحكيه قوله هذا ، كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى آخر ما تحكيه النصوص الصحيحة عن فعل الله – سبحانه – لا مناص من التسليم بوقوعه ، دون محاولة إدراك كيفيته ، إذ أنه لا سبيل إلى تشبيه فعله بفعل أي شيء . ما دام أنه ليس كمثله شيء ، وكل محاولة لتصوير كيفيات أفعاله على مثال كيفيات أفعال خلقه ، هي محاولة مضللة ، لاختلاف ماهيته – سبحانه– عن ماهيات خلقه ، وما يترتب على هذا من اختلاف كيفيات أفعاله عن كيفيات أفعال خلقه ، وكذلك جهل وضل كل من حاولوا – من الفلاسفة والمتكلمين – وصف كيفيات أفعال الله ، وخلطوا خلطا شديدًا "[٢].

ويقول أيضا في مقومات التصور الإسلامي وهو آخر ما كتبه : " .. وكذلك الاستواء على العرش ، فكل كلام عن العرش ما هو ، وكل كلام عن المقصود بالاستواء على العرش ، هو دخول في متاهة لا دليل فيها، فلا بد من الاكتفاء باللفظ القرآني، وما يوحيه من الهيمنة والتسلط والسلطان والقهر والعلم، والإحاطة بشئون السماوات والأرض ، وهذا أسلم منهج في مواجهة هذه الكيفيات التي لم يوهب الإدراك البشري علمها ، ولو علم الله أن في إدراكها خيرًا للإنسان لأقدره

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٩٦.
(٢) في ظلال القرآن ٣ / ١٣٩٣.

عليه ولوهبه له .. "[١].

ومما سبق عرضه نخلص إلى :

١- أن كلام سيد - رحمه الله - عن الاستواء في الطبعة المنقحة وفي المقومات اختلف عن كلامه في الطبعة الأولى من الظلال ، حيث فسر الاستواء بالطبعة الأولى في كل المواضع بالاستعلاء والهيمنة ، واعترف بذلك وبين سببه والحامل له على هذا التأويل .

أما في الطبعة المنقحة فقد رأينا في كلامنا في النص الأول : أنه يثبت أن الاستواء فعل لله ، وأن أفعال الله تعالى لا يمكننا إدراك كيفياتها ، وأن الواجب هو تدبر آثارها في الوجود دون الخوض في كيفياتها ، وأن الخوض في كيفيات أفعال الله لغوًا وافدًا من الفلسفة الإغريقية .

وفي النص الثاني : يستعرض بعض أفعال الله سبحانه "كالاستواء إلى السماء" أو "الاستواء على العرش" "وطي السماوات بيمينه" و "مجيء الله يوم القيامة" ونحوها. ويقرر أنه " لا مناص من التسليم بوقوعها دون محاولة إدراك كيفياتها ".

وفي النص الثالث في المقومات : يقرر عدم الدخول في متاهة البحث عن الكيفيات ، والاكتفاء بما يوحيه اللفظ القرآني من معاني تربوية يدل عليها ، ويرى أن ذلك هو المنهج الأسلم في مواجهة الكيفيات الغيبية .

٢ - يؤكد ما قلناه من أن سيد - رحمه الله - في الطبعة المنقحة أثبت الاستواء كفعل لله سبحانه غير معلوم الكيفية ، أنه في الجزء التاسع والعشرين من الظلال - أي بعد تأويله للاستواء في المواضع السبعة في الطبعة الأولى ، بأنه كناية ورمزًا للسيطرة والاستعلاء- ردًّ على الذين يرون في الغيبيات أنها مجرد تمثيل وتصوير ، كالذين يرون أن الملائكة تمثيلًا لقوة الخير والطاقة ، والشياطين تمثيلًا لقوة الشر ، والرجوم تمثيلًا للحفظ والصيانة .. الخ ، بأنهم يجيئون إلى نصوص القرآن بمقررات عقلية سابقة ويحاكمون إليها القرآن ، وأن الواجب على المسلم أن يلتزم بمنهج التصور الإسلامي الذي يقوم على التسليم للنصوص القرآنية ، وعدم محاكمة

(١) مقومات التصور الإسلامي ، سيد قطب ، ص ٣١٩.

القرآن والحديث لغير القرآن ، وأن لا ينفي شيئًا يثبته القرآن ولا يؤوله ، ولا يثبت شيئًا ينفيه القرآن ، أو يبطله ، وأن هذا الكلام موجه لمن يؤمنون بالقرآن وهم مع ذلك يؤولون نصوصه لتوائم مقررات سابقة في عقولهم "[١].

واعترف بعد ذلك بأنه وقع في مؤلفاته السابقة وفي الأجزاء الأولى من الظلال في شيء من التأويل ، وأنه هنا يتراجع عن تأويل النصوص ويبدي رغبة في تصحيحها إذا مد له في العمر فيقول : " وما أبرئ نفسي أنني فيما سبق من مؤلفاتي ، وفي الأجزاء الأولى من هذه الظلال قد انسقت إلى شيء من هذا ، وارجوا أن أتداركه في الطبعة التالية إذا وفق الله ، وما أقرره هنا هو ما اعتقده الحق بهداية من الله "[٢].

وبناءً على ما سبق لا نكون مخطئين إن قلنا إن كلام سيد في الطبعة المنقحة في سورة الأعراف عن الاستواء وإثباته فعلًا لله غير مدرك الكيفية ، هو تحقيقًا لما وعد به في نهاية الطبعة غير المحققة من تدارك ما أوله فيها .

وكذلك كلامه عن سائر أفعال الله كالطي والمجيء ونحو ذلك – مما سيأتي بيانه في مواضعه – كان تصحيحًا وتداركًا لكلامه في " التصوير الفني " سابقًا حيث جعل هذه الأفعال وغيرها من باب التصوير التخييلي والتجسيم للمعاني المجردة[٣].

بالإضافة إلى أن تأويل سيد للاستواء في الطبعة الأولى لم يكن كتأويل وغيره من النفاة ، لأنهم ينفون علو الله على خلقه ابتداءً وبالتالي أولوا الاستواء حتى يسلم له نفي العلو ، أما سيد فقد سبق معنا أنه يثبت صفة العلو لله ، ويقرر أن الله في السماء وأنه فوق العرش ، وإنما حصل الخلل عنده في الاستواء كفعل ، بناءً على المبررات التي ذكرها ، وإن كنا لا نوافقه عليها إلا أنه لا يصح جعل تأويله كتأويل الجهمية والمعتزلة الذين أنكروا العلو مطلقًا .

بالإضافة إلى انه لا يصح الاعتماد على كلامه في التصوير الفني أو في المواضع غير المنقحة من الظلال للحكم عليه بالتأويل للاستواء ، ما دام أنه في نهاية الأجزاء غير المنقحة من الظلال اعترف بخطئه فيما سبق له تأويله في الكتب السابقة والأجزاء

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣٠ – ٣٧٣١ بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣١ ، هامش ١ .

(٣) انظر نص كلامه السابق في " التصوير الفني في القرآن" ، ص ٧٣ .

الأولى ، وأنه فعلًا تدارك ذلك في أول موضع ذكر فيه الاستواء على العرش من الطبعة المنقحة في سورة الأعراف كما رأينا في نصين واضحين ، والله أعلم .

رابعًا : العرش والكرسي : ومما له صلة بموضوع الاستواء مسالة العرش والكرسي.

والعرش في اللغة: يطلق على سرير الملك وكرسيه الرسمي في مجلس الحكم والتدبير [١] .

وشرعا : هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو سقف المخلوقات [٢].

فأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون العرش والكرسي بناءً على النصوص الشرعية الصحيحة الواردة في إثباتهما.

وذهبت طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة وربما سموه الفلك الأطلس، أو التاسع..

ومنهم من فسره بالملك ، وكلاهما ليس بصحيح ، لأنه قد ثبت أنه مخلوق وله قوائم وتحمله الملائكة وكان على الماء قبل خلق المخلوقات وهي أمور تنافي تفسيرهم السابق [٣] .

وأما الكرسي :

فهو موضع القدمين بين يدي العرش كالمرقاة كما يقول ابن عباس- رضي الله عنهما- ولا يقدر قدره إلا الله .

وقال بعضهم بأنه العرش ،والصحيح أنه غيره ، وفسره آخرون بالعلم ، والأول الصحيح [٤] .

وقد ذكر السلف أن الله مستغن عن العرش وما دونه ، وأن خلقه للعرش واستواءه عليه ليس لحاجته إليه ، بل في ذلك حكمة اقتضته ، وكون العالي فوق السافل لا يلزم منه أن يكون السافل حاويًا له ومحيطًا به حاملًا له ، ولا أن يكون

(١) تهذيب اللغة ١/ ٤١٣ ، والصحاح ص ٧٢٢ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٦ .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية: ص ٣٦٦، ٣٦٨ بتصرف .
(٤) المصدر السابق : ص ٣٦٨- ٣٧١ بتصرف .

الأعلى مفتقرًا إليه ، وضربوا لذلك مثالًا بحال السماء مع الأرض ... فالرب تعالى أعظم شأنًا وأجلّ من أن يلزم من علوه ذلك ..[١] .

موقف سيد قطب من العرش والكرسي :

أما سيد قطب- رحمه الله - فقد تحدث عن العرش في ظلال الآيات التي ورد فيها ذكر العرش ، ومن خلال استقراء كلامه تبين لي ما يأتي :

أولًا : أنه يفسر العرش في اللغة بأنه السرير الذي يجلس عليه الملك ، ويعبر به أيضًا عن الملك والسلطان [٢].

ثانيًا : أنه في بعض المواضع يثبت وجود العرش دون التعرض له بأي تفصيل ، ومن ذلك ذكره لبعض الأحاديث وكذا بعض الأحداث والمشاهد التي فيها ذكر العرش دون التعرض لها مثل :

١- حديث: " إن أرواح الشهداء تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش .." [٣].

٢- حديث: "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي" [٤].

٣-حديث الحارث بن مالك الأنصاري وفيه .. " كأني أنظر إلى عرش ربي بارزًا ..." [٥]، وعلق عليه سيد - رحمه الله - بقوله: " ولقد ذكر هذا الصحابي الذي استحق شهادة رسول الله - ﷺ - له بالمعرفة من حال نفسه ، ما يصور مشاعره ويشي بما وراءها من عمل وحركة ، فالذي كأنه ينظر إلى عرش ربه بارزًا، وينظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وإلى أهل النار يتضاغون فيها إنما هو يعيش ويعمل ويتحرك في ظل هذه المشاعر.. إلى جانب ما أسهر ليله وأظمأ نهاره ، وكأنما هو ناظر

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧٢ .

(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٣/ ١٣٥٠ ، ٤/ ٢٠٢٩ ، ٥/ ٢٦٣٨، ٢٦٣٩ .

(٣) رواه :مسلم في كتاب الإمارة ، باب أرواح الشهداء في الجنة ٣/ ١١٩٤ برقم ١٨٨٧ ، وانظر: في ظلال القرآن : ١/ ١٤١ .

(٤) رواه : البخاري في كتاب التوحيد ،باب قوله تعالى " ويحذركم الله نفسه"٦/ ٢٦٩٤ برقم ٦٩٦٩و٣٠٢٢، وانظر في ظلال القرآن ٢/ ١٠٥٠

(٥) سبق تخريجه ص ٢٨٤ .

إلى عرش ربه بارزًا "[١].

٤- قوله في أثناء حديثه عن المعراج .. " فأما أنها سدرة المنتهى ، فقد يعني هذا أنها التي ينتهي إليها المطاف ، فجنة المأوى عندها ، أو التي انتهت إليها رحلة المعراج، أو التي انتهت إليها صحبة جبريل لرسول الله ﷺ حيث وقف هو وصعد محمد ﷺ درجة أخرى أقرب إلى عرش ربه وأدنى ، وكله غيب من غيب الله ، أطلع عليه عبده المصطفى ، ولم يرد إلينا عنه إلا هذا وكله أمر فوق طاقتنا أن ندرك كيفيته .."[٢].

٥- قوله: "وإنه لأمر عصيب أن يقف الإنسان عريان الجسد و النفس و المشاعر، و التاريخ و العمل ما ظهر منه وما استتر ، أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله ، من الإنس والجن والملائكة ، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع "[٣].

٦- قوله في ظلال قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[٤] " .. وذكر العرش هنا يوحي بالارتفاع والتسامي على هذه الخلائق التي يدعون أنها آلهة " مع الله " وهي تحت عرشه وليست معه ، ويعقب على ذلك بتنزيه الله في علاه ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ ثم يرسم السياق للكون كله بما فيه ومن فيه مشهدًا فريدًا ، تحت عرش الله ، يتوجه كله إلى الله ، يسبح له ويجد الوسيلة إليه ... فإذا الوجود كله تسبيحه واحدة شجية ، ترتفع في جلال إلى الخالق الواحد الكبير المتعال "[٥].

ثالثًا: بعض المواضع يقرر سيد قطب الإيمان بالعرش ويفوض معناه وكيفيته؛ ومن ذلك :

١- قوله: " وكذلك العرش ، فنحن نؤمن به كما ذكره ولا نعلم حقيقته.."[٦].

٢- وقوله أيضًا: " ونحن لا نعرف ما هو العرش؟ ولا نملك صورة له ، ولا نعرف كيف يحمله حملته، ولا كيف يكون من حوله حوله ، ولا جدوى من الجري

---

(١) في ظلال القرآن : ٣/ ١٤٧٨ .
(٢) المصدر السابق : ٦/ ٣٤٠٧ .
(٣) المصدر السابق : ٦/ ٣٦٨٠ بتصرف .
(٤) سورة الإسراء : الآية ٤٢ .
(٥) في ظلال القرآن : ٤/ ٢٢٣٠ بتصرف يسير .
(٦) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٤٨٠ .

وراء صور ليس من طبيعة الإدراك البشري أن يلم بها، ولا من الجدل حول غيبيات لم يطلع الله أحدًا من المتجادلين عليها "[٧].

٣-قوله : " أما العرش ذاته فلا سبيل إلى قول شيء عنه ، ولا بد من الوقوف عند لفظه"[٨].

٤- ويقول أيضا: في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٩]، "وجملة " وكان عرشه على الماء " تفيد أنه عند خلق السماوات والأرض أي إبرازهما إلى الوجود في شكلهما الذي انتهيا إليه كان هناك الماء ، وكان عرش الله سبحانه على الماء ..

أما كيف كان هذا الماء ، وأين كان ، وفي أية حالة من حالاته كان ، وأما كيف كان عرش الله على هذا الماء .. فزيادات لم يتعرض لها النص ، وليس لمفسر يدرك حدوده أن يزيد شيئًا على مدلول النص ، في هذا الغيب الذي ليس لنا من مصدر لعلمه إلا هذا النص وفي حدوده " [١٠].

٥- ويقول : " وعقيدة التوحيد الإسلامية ، لا تدع مجالًا لأي تصور بشري عن ذات الله سبحانه، ولا عن كيفيات أفعاله، فالله سبحانه ليس كمثله شيء ... ومن ثم تصبح أسئلة كهذه : كيف خلق الله السماوات والأرض ؟ كيف استوى على العرش ؟ كيف هذا العرش الذي استوى عليه الله سبحانه؟! تصبح هذه الأسئلة وأمثالها لغوًا يخالف توجيهها قاعدة الاعتقاد الإسلامي ، أما الإجابة عليها فهي اللغو الأشد ..وقد خاضت الطوائف - مع الأسف - في هذه المسائل خوضًا شديدًا في تاريخ الفكر الإسلامي، بالعدوى الوافدة على هذا الفكر من الفلسفة الإغريقية"[١١].

أما الكرسي : فقد قال سيد - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

(٧) المصدر السابق: ٥/ ٣٠٧٠ وينظر أيضا: ٢/ ١٠٤٢.
(٨) المصدر السابق : ٥/ ٢٨٠٧ .
(٩) سورة هود : الآية ٧.
(١٠) في ظلال القرآن : ٤/ ١٨٥٧ .
(١١) المصدر السابق : ٣/ ١٢٩٦ .

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[١] " وقد جاء التعبير في هذه الصورة الحسية في موضع التجريد المطلق ، على طريقة القرآن في التعبير التصويري ، لأن الصورة هنا تمنح الحقيقة المراد تمثيلها للقلب قوة وعمقًا وثباتًا ، فالكرسي يستخدم عادة في معنى الملك ، فإذا وسع كرسيه السماوات والأرض فقد وسعهما سلطانه، وهذه هي الحقيقة من الناحية الذهنية .

ولكن الصورة التي ترتسم في الحس من التعبير بالمحسوس أثبت وأمكن، وكذلك التعبير بقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾فهو كناية عن القدرة الكاملة ، ولكنه يجيء في هذه الصورة المحسوسة صورة انعدام الجهد والكلال ، لأن التعبير القرآني يتجه إلى رسم صور للمعاني تجسمها للحس ، فتكون فيه أوقع وأعمق وأحس .

ولا حاجة بنا إلى كل ما ثار من الجدل حول مثل هذه التعبيرات في القرآن، إذا نحن فقهنا طريقة القرآن التعبيرية، ولم نستعر من تلك الفلسفات الأجنبية الغريبة التي أفسدت علينا كثيرًا من بساطة القرآن ووضوحه.

ويحسن أن أضيف هنا أنني لم أعثر على أحاديث صحيحة في شأن الكرسي والعرش تفسر وتحدد المراد مما ورد منها في القرآن، ومن ثم أوثر أن لا أخوض في شأنها بأكثر من هذا البيان" [٢].

والخلاصة : أن كلام سيد – رحمه الله – حول العرش والكرسي وتفويضه لمعناه وحقيقتها في بعض المواضع ، مخالف لما عليه السلف من إثبات العرش وأنه مخلوق ذو قوائم تحمله الملائكة وأنه كالسقف للعوالم و وأن الله مستوٍ عليه من غير حاجة إليه ، ومن أن الكرسي هو كالمرقاة بين يدي العرش وقد جاءت أحاديث وآثار حول العرش والكرسي ، تبين المراد مما ورد فيها في القرآن الكريم ، وليس كما قال سيد – رحمه الله – " [٣].

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .

(٢) في ظلال القرآن : ١/ ٢٩٠ .

(٣)ينظر : المورد الزلال للدويش : ص ٣٣-٣٤ ، وأضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب ، د/ ربيع المدخلي : ص ١٣٩ – ١٤٠ ، وينظر الأحاديث والآثار :

الفرع الثاني : صفة المجيء والإتيان :

الإتيان والمجيء صفتان فعليتان ثابتتان لله عز وجل على الوجه اللائق به ، ومن أدلتهما في القرآن قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ (١)، وقوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢) وفي السُّنَّة حديث النبي ﷺ في بيان أحوال الناس يوم القيامة وفيه : " .. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون .. " (٣).

والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة ، الإيمان بذلك على حقيقته ، والابتعاد عن التأويل والتعطيل (٤).

وأما المخالفون لأهل السُّنَّة والجماعة فهم :

١- المؤولة : الذين أولوا صفة المجيء والإتيان بأنها عبارة عن رؤيتهم إياه ، فعبر عن الرؤية بالإتيان مجازًا، أو إتيان أمره ، أو إتيان بعض ملائكته " (٥).

٢- المفوضة : الذين يقولون بتفويض معاني هذه الصفات وإدعاء أنها غير معلومة ، وأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه (٦).

صفة المجيء والإتيان عند سيد قطب :حتى يتضح موقف سيد قطب من صفة الإتيان والمجيء لابد من استعراض كلامه في تفسير الآيات التي ورد فيها لفظ الإتيان والمجيء ، وذلك فيما يأتي :

١- في ظلال قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٠ .
(٢) سورة الفجر ، الآية ٢٢ .
(٣) رواه البخاري ٦٥٧٣ .
(٤) ينظر:الرد على المريسي للإمام الدارمي ص ١٤٨- ١٥٠ ، والإبانة للأشعري ص ١٣٠ ، مختصر الصواعق لابن القيم ص٢٩٠ - ٣٩١ ، وشرح الواسطية لهراس ص ١١٢، وشرح الواسطية لابن عثيمين ص ٢٧٤ وما بعدها .
(٥) ينظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٢٨٧ ، والفصل لابن حزم ٢/ ٣٥٠ ، والأسماء والصفات للبيهقي ، ص ٤٤٨ - ٤٤٩. وفتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٥٠ . الإرشاد للجويني ١٤٩
(٦) ينظر : الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٢ ، وأصول الدين للبغدادي ، والموافقات للشاطبي ٣/ ٩٤، ومعالم السنن للخطابي ٤/ ٣٣١.

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [١]. يقول : " وهو سؤال استنكاري عن علة انتظار المترددين المتلكئين ،الذين لا يدخلون في السلم كافة ما الذي يقعد بهم عن الاستجابة ؟ ماذا ينتظرون ؟ وماذا يرتقبون ؟ تراهم سيظلون هكذا في موقفهم حتى يأتيهم الله سبحانه في ظلل من الغمام ، وتأتيهم الملائكة ؟ وبتعبير آخر : هل ينتظرون ويتلكئون حتى يأتيهم اليوم الرعيب الموعود الذي قال الله سبحانه : إنه سيأتي فيه في ظل من الغمام ، ويأتي الملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من إذن له الرحمن وقال صوابًا ؟ ، وفجأة - وبينما نحن أمام السؤال الاستنكاري الذي يحمل طابع التهديد الرعيب - نجد أن اليوم قد جاء ، وأن كل شيء قد انتهى ، وأن القوم أمام المفاجأة التي كان يلوح لهم بها ويخوفهم إياها : ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ ، وطوي الزمان ، وأفلتت الفرصة، وعزت النجاة ، ووقفوا وجهًا لوجه أمام الله الذي ترجع إليه الأمور وحده .

فإلى متى يتخلف المتخلفون عن الدخول في السلم، وهذا الفزع الأكبر ينتظرهم؟ بل هذا الفزع الأكبر يدهمهم ! والسلم منهم قريب ، السلم في الدنيا والسلم في الآخرة ، يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلًا [٢] . يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا ، يوم يقضى الأمر .. وقد قضي ! ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [٣].

٢ - في ظلال قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [٤] نجد أن سيد لم يتعرض فيها لمسألة مجيء الله تعالى ، وإنما تحدث عن إتيان بعض الآيات [٥].

٣ - في ظلال قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢١٠ .

(٢) سيد ذكر تشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة في سياق الحديث عن مجيء الله يوم القيامة ، وهي وإن لم تكن صريحة في ذلك في هذا الموضع ، إلا أن أهل السُّنَّة والجماعة يذكرون هذه الآية ضمن الآيات التي تدل على مجيئه سبحانه ، انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين ص ٢٧٨- ٢٧٩ .

(٣) في ظلال القرآن ١/ ٢١٢

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٥٨.

(٥) في ظلال القرآن ١٢٣٨- ١٢٣٩ .

صَفًّا صَفًّا ﴾ [١]. يقول : " ودك الأرض وتحطيم معالمها وتسويتها وهو أحد الانقلابات الكونية التي تقع في يوم القيامة فأما مجيء ربك والملائكة صفًا صفًا، فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته ونحن في هذه الأرض ، ولكنا نحس وراء التعبير بالجلال والهول ، كذلك مجيء جهنم نأخذ منه قربها منهم وقرب المعذبين منها وكفى ، فأما حقيقة ما يقع وكيفيته فهي من غيب الله المكنون ليومه المعلوم .

إنما يرتسم من وراء هذه الآيات ، ومن خلال موسيقاها الحادة التقسيم [٢] الشديدة الأسر، مشهد ترجف له القلوب ، وتخشع له الأبصار ، والأرض تدك دكًا دكًا ، والجبار المتكبر يتجلى ، ويتولى الحكم والفصل ، ويقف الملائكة صفًا صفًا ، يجاء بجهنم فتقف متأهبة هي الأخرى " [٣].

وبعد أن ذكر تفسير بقية الآيات في السورة ، وقف في نهايتها قائلًا : "ثم تمضي الآيات تباعًا تغمر الجو كله بالأمن والرضى والطمأنينة.. ألا أنها الجنة بأنفاسها الرضية الندية تطل من خلال هذه الآيات وتتجلى عليها طلعة الرحمن الجليلة البهية " [٤].

" إنه الجلال ، يغمر الجو كله ويغشاه في حضرة الرحمن " [٥].

وأما قول بعضهم بأن سيد قطب يعطل الصفات كما هو شأن الجهمية ومنها صفة النزول والمجيء [٦] بناءً على أنه يؤول الاستواء ، وكذلك بناءً على كلام له في

---

(١) سورة الفجر ، الآية ٢١- ٢٢ .

(٢) يقصد بالموسيقى هنا كما يقول سيد نفسه " الإيقاع الموسيقى في القرآن يتألف من عناصر شتى من مخارج الحروف في الكلمة الواحدة ، ومن تناسق الإيقاعات بين كلمات الفقرة ، ومن اتجاهات المد في الكلمة ، ثم من اتجاهات المد في نهاية الفاصلة المطردة في الآيات ، ومن حروف الفاصلة المطردة في الآيات ، ومن حروف الفاصلة ذاته وجميع العناصر التي يتألف منها الإيقاع في هذه السورة واحدة ، ما عدا اتجاهات المد وحروف الفاصلة في القسم الأول منها حتى آية ٥ ،فمد الفاصلة وحرفها " يؤمنون – توقنون – يتفكرون – يفعلون – خالدون " وبقية السورة " العقاب ، هاد ، بمقدار ... " انظر : في ظلال القرآن ٤/ ٢٠٣٩ الهامش .

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٩٠٦ .

(٤) المصدر السابق ٦/ ٣٩٠٧

(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٣٥٣.

(٦) انظر : أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب للمدخلي ص ١٧٤ وما بعدها ، والمورد الزلال للدويش ص ٣٠٥.

" التصوير الفني " ، من أن ما يحكيه القرآن من أفعال منسوبة لله تعالى ، إنما هو مجرد تخييل وتجسيم للمعاني المجردة في صورة حسية [١] ومنها قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [٢]. فبيانه كالآتي :

أولا : أن كلامه هذا في كتاب التصوير الفني وهو أول ما كتب من الإسلاميات قبل التزامه بالإسلام - كما سبق- وكان الهدف من تأليفه هدف فني بحت ، وليس هدفًا دينيًا يناقش قضايا الاعتقاد وغيرها باعترافه [٣].

ثانيًا : ان الأفعال نفسها التي ذكر في " التصوير الفني " تأويلها بأنها مجرد تخييل وتجسيم للمعاني المجردة في صورة حسية ، لسيد نص صريح حولها يصرح فيه بإثبات هذه الأفعال لله حقيقة ، والتسليم بوقوعها دون محاولة إدراك كيفيتها ، وهذا النص في الطبعة المنقحة من الظلال وهو قوله : " .. إن كيفيات أفعال الله -سبحانه - غيب كذاته ، ولا يملك الإدراك البشري أن يدرك كيفيات أفعال الله ، ما دام أنه لا يملك أن يدرك ذات الله ، .. وكل فعل ينسب إلى الله مثل الذي يحكيه هنا - أخذ الميثاق والإشهاد عليه - وكقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾، ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ ، ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ .. إلى آخر ما تحكيه النصوص الصحيحة عن فعل الله -سبحانه - لا مناص من التسلم بوقوعه ، دون محاولة إدراك كيفيته .. " [٤].

وبالتالي فإنا نعتمد على هذا النص في بيان موقف سيد من صفة المجيء والإتيان، وخاصة أنه جاء بعد اعترافه بتأويل بعض الأمور وتراجعه عن التأويل إجمالا وإبداء رغبته في تدارك ما كان منه في كتبه السابقة ، ومن بينها " التصوير الفني " وفي الأجزاء التي لم تصل إليها يده لتصححها ، وهذا كافٍ في نفي التهمة عنه .

---

(١) التجسيم التخييل لا يقصد به سيد ما عند المتكلمين، وإنما ما يبعثه التعبير من تأملات تستفز الخيال فتجعله يتملى فيما وراء المعنى المعبر عنه بالالفاظ ، وهو عامل من عوامل التأثير بالقرآن،فعبارات القرآن الكريم تجعل السامع وكأنه يشاهد الخبر واقعة حدثت ، مجسمة أمامه ، فيسرح خياله في التأمل فيما وراء ذلك ليخشع قلبه بعدها وينيب.(من إضافات: أ. د / خليل الكبيسي -حفظه الله - المناقش الخارجي للرسالة) .

(٢) انظر : التصوير الفني في القرآن - سيد قطب ، ص ٧٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٩ ، ومشاهد القيامة في القرآن ص ١٢ .

(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٩٣.

ثالثًا : أن لسيد قطب كلامًا واضحًا وصريحًا في إثبات مجيء الله يوم القيامة وتجليه للحكم بين العباد ، وهو في الأجزاء المنقحة من الظلال - كما سبق قبل قليل-.

الفرع الثالث : صفات المحبة والرضى والود والخلة :

صفات المحبة والرضى والود والخلة ، من صفات الله تعالى الفعلية الاختيارية ، التي تتعلق بمشيئته - تعالى-،والنصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة في إثباتها أكثر من أن تحصر - وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات هذه الصفات لله تعالى وما يترتب عليها من أثار على الوجه الذي يليق بجلاله ، وهي لا تماثل ما سمي باسمها من صفات البشر ، كما أن ذاته سبحانه ونفسه وعلمه وقدرته لا تماثل ذوات البشر وعلمهم وقدرتهم بلا فرق [١].

- أما المتكلمون ومن تأثر بهم فقد تأولوها بلوازمها من الإثابة والإحسان ، فرارًا من تشبيه الخالق بعبيده الذين تعد هذه الصفات انفعالات نفسية لهم يتنزه الله عنها [٢].

صفات المحبة والرضى والود والخلة عند سيد قطب : أما سيد قطب - رحمه الله - فيثبت هذه الصفات لله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق به ويمكن بيان ذلك فيما يأتي :

أولا : صفة المحبة : من خلال استقراء كلام سيد - رحمه الله - في ظلال الآيات التي جاء فيها التصريح بحب الله سواءً لأعمال أو أشخاص أو صفات نجد :

١ - في مواضع نجد أنه يمرها على ظاهر دون الخوض فيها ، ومن ذلك حب الله للمحسنين وللمقسطين وللمتقين وللمجاهدين وللشكر والصبر ونحو ذلك [٣].

٢ - في مواضع يثبت صفة المحبة لله سبحانه دون تأويل ومن النصوص في

(١) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٢/ ٣٥٤، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام الصابوني ص ٢٨، وشرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٤، ١٦٧ ، وشرح الواسطية لهراس ص ١٤٣ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٢٢٤وما بعدها .

(٢) انظر : أساس التقديس للرازي ص ٢، والتمهيد للباقلاني ص ٢٩٩ ، وأصول الدين للبغدادي ص ٧٩- ٧١ ، وفتح الباري لابن حجر ١/ ١٠٢، ١٠/ ٤٦٢، ١٣/ ٤٥٠ ، ٤٦٢/٦، ٣٨٩، ١١/ ٢٠٨، ٧/ ٢٢.

(٣) انظر في ظلال القرآن ١/ ١٩٢ ، ٥٠٣، ٢/ ٨٩٣ ، ٣/ ١٦٠١، ٥/ ٣٠٤٠، ٦/ ٣٥٥٤.

ذلك:

أ - في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١]. يقول: " والله " يحب " المحسنين، والحب هو التعبير الودود الحاني المشرق المنير، الذي يتناسق مع ذلك الجو اللطيف الوضيء الكريم.

ومن حب الله للإحسان والمحسنين، ينطلق حب الإحسان في قلوب أحبائه، وتنبثق الرغبة الدافعة في هذه القلوب، فليس هو مجرد التعبير الموحي، ولكنها الحقيقة كذلك وراء التعبير! والجماعة التي يحبها الله، وتحب الله ..هي جماعة متضامنة.. متآخية .قوية"[٢]. " والمتقون لهم المغفرة من ربهم، والجنة تجري من تحتها الأنهار بعد المغفرة وحب الله "[٣].

ب - في ظلال قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٤] يقول: " والتعبير بالحب من الله للصابرين له وقعه وله إيحاؤه، فهو الحب الذي يأسو الجراح، ويمسح على القرح، ويعوض ويربو عن الضر والقرح والكفاح المرير ... "[٥].

" ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ وشهد لهم سبحانه بالإحسان فقد أحسنوا الأدب، وأحسنوا الجهاد، وأعلن حبه لهم، وهو أكبر من النعمة، وأكبر من الثواب، ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ "[٦].

ج- في ظلال قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[٧] يقول: " فالحب والرضى المتبادل هو الصلة بينهم وبين ربهم.. الحب.. هذا الروح الساري اللطيف الرفاف المشرق الرائق البشوش.. هو الذي يربط القوم بربهم الودود.. وحب الله لعبد من عبيده، أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله - سبحانه - بصفته كما وصف نفسه، وإلا من وجد

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٤.
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٤٧٥.
(٣) المصدر السابق ١/ ٤٧٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٤٦.
(٥) في ظلال القرآن ١/ ٤٨٨.
(٦) المصدر السابق ١/ ٤٨٩.
(٧) سورة المائدة، الآية ٥٤.

إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها ، أجل لا يقدِّر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي ، الذي يعرف من هو الله .. من هو صانع هذا الكون الهائل ، وصانع الإنسان .. من هو في عظمته ، ومن هو في قدرته ، ومن هو في تفرده ، ومن هو في ملكوته ، من هو ومن هذا العبد الذي يتفضل الله عليه منه بالحب ، والعبد من صنع يديه – سبحانه – وهو الجليل العظيم ، الحي الدائم، الأزلي الأبدي ، الأول والآخر ، والظاهر والباطن .

–وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد ، لا يدركها كذلك إلا من ذاقها ، وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرًا هائلًا عظيمًا ، وفضلًا غامرًا جزيلًا ، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد الذي لا نظير له في مذاقات الحب كلها ولا شيبيه .. هو إنعام هائل عظيم .. وفضل غامر جزيل ..

–وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرًا فوق التعبير أن يصفه ، فإن حب العبد لربه أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره ، إلا فلتات قليلة من كلام المحبين ، وهذا هو الباب الذي تفوق فيه الواصلون من رجال التصوف الصادقين .. وهم قليل من بين ذلك الحشد الذي يلبس مسوح التصوف ويعرف في سجلهم الطويل – ولا زالت أبيات رابعة العدوية تنقل إلى حسي مذاقها الصادق لهذا الحب الفريد وهي تقول :

فليتك تحلو والحيـــاة مريـرة . . وليتك تـرضى والأنـــام غضاب
وليت الـذي بيني وبينك عامـر . . وبيني وبـين العـالمين خـراب
إذا صح منك الـود فالكل هين . . وكل الـذي فـوق الـتراب تراب

وهذا الحب من الجليل للعبد من العبيد ، والحب من العبد للمنعم المتفضل ، يشيع في هذا الوجود ويسرى في هذا الكون العريض ، وينطبع في كل حي وفي كل شيء ، فإذا هو جو وظل يغمران هذا الوجود ، ويغمران الوجود الإنساني كله ممثلا في ذلك العبد المحب والمحبوب .

–والتصور الإسلامي يربط بين المؤمن وربه بهذا الرباط العجيب الحبيب ،

وليست مرة واحدة ، ولا فلتة عابرة ، إنما هو أصل وحقيقة وعنصر في هذا التصور أصيل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾، ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وغيرها كثيرة.

وعجبًا لقوم يمرون على هذا كله ، ليقولوا : إن التصور الإسلامي تصور جاف عنيف، يصور العلاقة بين الله والإنسان علاقة قهر وقسر ، وعذاب وعقاب ، وجفوة وانقطاع ..لا كالتصور الذي يجعل المسيح ابن الله وأقنوم الإله ، فيربط بين الله والناس في هذا الازدواج! .

إن نصاعة التصور الإسلامي في الفصل بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، لا تجفف ذلك الندى الحبيب ، بين الله والعبيد ، فهي علاقة الرحمة كما أنها علاقة العدل ، وهي علاقة الود كما أنها علاقة التجريد ، وهي علاقة الحب كما أنها علاقة التنزيه ، إنه التصور الكامل الشامل لكل حاجات الكينونة البشرية في علاقتها برب العالمين "[1].

وهذا النص الذي نقلته مع طوله يعبر تعبيرًا واضحًا وجليًا عن موقف سيد من إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى .

ثانيًا : صفة الرضى : وموقف – سيد – من هذه الصفة هو موقفه من صفة المحبة، حيث يثبتها لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله ، ومن النصوص في ذلك :

أ – في ظلال قوله تعالى : ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[2] يقول : " ورضى الله عنهم هو الرضى الذي تتبعه المثوبة ، وهو في ذاته أعلى وأكرم مثوبة ، ورضاهم عن الله هو الاطمئنان إليه سبحانه ، والثقة بقدره ، وحسن الظن بقضائه ، والشكر على نعمائه ، والصبر على ابتلائه .

ولكن التعبير بالرضى هنا وهناك يشيع جو الرضى الشامل الغامر ، المتبادل

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٩١٨- ٩١٩ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ١٠٠ .

الوافر ، الوارد الصادر، بين الله سبحانه وهذه الصفوة المختارة من عباده يرفع من شأن هذه الصفوة – من البشر– حتى ليبادلون ربهم الرضى ، وهو ربهم الأعلى ، وهم عبيده المخلوقون ، وهو حالٌ وشأنٌ وجوٌ لا تملك الألفاظ البشرية أن تعبر عنه ، ولكن يُتنسم ويُستشرف ويُستجلى من خلال النص القرآني بالروح المتطلع والقلب المتفتح والحس الموصول .

ذلك حالهم الدائم مع ربهم ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ وهناك تنتظرهم علامة هذا الرضى ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾، وأي فوز بعد هذا وذلك عظيم ؟؟؟ " [1].

ب – في ظلال قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ يقول : " وإنني لأحاول اليوم من وراء ألف وأربعمائة عام أن استشرف تلك اللحظة القدسية التي شهد فيها الوجود كله، ذلك التبليغ العلوي الكريم من الله العلي العظيم ، إلى رسوله الأمين عن جماعة المؤمنين ، أحاول أن استشرف صفحة الوجود في تلك اللحظة وضميره المكنون ، وهو يتجاوب جميعه بالقول الإلهي الكريم ، عن أولئك الرجال القائمين إذ ذاك في بقعة معينة في هذا الوجود .. وأحاول أن استشعر بالذات شيئًا من حال أولئك السعداء الذين يسمعون بآذانهم، أنهم هم ، بأشخاصهم وأعيانهم يقول الله عنهم : لقد ﷺ ، ويحدد المكان الذي كانوا فيه ، والهيئة التي كانوا عليها حين استحقوا هذا الرضى : ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ يسمعون هذا من نبيهم الصادق المصدوق على لسان ربه العظيم الجليل.

يا لله ! كيف تلقوا – أولئك السعداء – تلك اللحظة القدسية وذلك التبليغ الإلهي ؟ التبليغ الذي يشير إلى كل أحد في ذات نفسه ، ويقول له : أنت . أنت بذاتك ، يبلغك الله ، لقد رضي عنك ، وأنت تبايع تحت الشجرة ، وعلم ما في نفسك ، فأنزل السكينة عليك.

إن الواحد منا ليقرأ أو يسمع ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فيسعد، يقول في نفسه : ألست أطمع أن أكون داخلا في هذا العموم ؟ ويقرأ أو يسمع ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فيسعد يقول في نفسه: ، ألست أطمع أن أكون داخلا في هذا العموم؟

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٧٠٥ – ١٧٠٦.

ويقرأ أو يسمع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فيطمئن يقول في نفسه : ألست أرجو أن أكون من هؤلاء الصابرين؟ وأولئك الرجال ، يسمعون ويبلغون ، واحدًا واحدًا ، أن الله يقصده بعينه وبذاته ويبلغه : لقد رضى عنه ! وعلم ما في نفسه ، ورضي عما في نفسه ! يا لله ! إنه أمر مهول! "(١).

ج - في ظلال قوله تعالى : ﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾(٢). يقول : " وهذه صورة وضيئة مطمئنة ، ترسم حالة المؤمنين هؤلاء في مقام عال رفيع ، وفي جو راض وديع ، ربهم راض عنهم ، وهم راضون عن ربهم ، انقطعوا عن كل شيء ووصلوا أنفسهم به، فتقبلهم في كنفه ، وأفسح لهم جنابه ، وأشعرهم برضاه ، فرضوا ، رضيت نفوسهم هذا القرب وأنست به واطمأنت إليه.. "(٣).

د- في ظلال قوله تعالى : ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾(٤)، يقول : " هذا الرضى من الله وهو أعلى وأندى من كل نعيم ، وهذا الرضا في نفوسهم عن ربهم ، الرضا عن قدره فيهم ، والرضا عن إنعامه عليهم ، والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق.

إنه تعبير يلقي ظلاله بذاته ، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ حيث يعجز أي تعبير آخر عن إلقاء مثل هذه الظلال ! "(٥).

وهناك نصوص آخر لا يسع المجال لها هنا ، يثبت فيها سيد - رحمه الله - صفة الرضا لله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يليق به سبحانه(٦).

ثالثًا : صفة الود :

يثبت - سيد - صفة الود لله سبحانه وتعالى ، ومن النصوص في ذلك :

أ - في ظلال قول الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٢٥- ٣٣٢٦ .
(٢) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .
(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥١٥ .
(٤) سورة البينة ، الآية ٨ .
(٥) في ظلال القرآن ٦/ ٣٩٣٥ .
(٦) ينظر :في ظلال القرآن ١/ ٤١٨ ، ٥٠٦ ، ٢/ ٨٤٢ ، ١٠٠٢ .

﴿ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[١]. يقول : " وللتعبير بالود في هذا الجو نداوة رخية تمس القلوب ، ورَوح رضى يلمس النفوس ، وهو ودٌ يشيع في الملأ الأعلى ، ثم يفيض على الأرض والناس، فيمتلئ به الكون كله ويفيض جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : " إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلانًا فأحبوه ، قال : فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإن الله إذا أبغض عبدًا دعا جبريل فقال: يا جبريل إني أبغض فلانًا فابغضه ، قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلانًا فأبغضوه ، قال فيبغضه أهل السماء ، ثم يوضع له البغضاء في الأرض " [٢] " [٣].

ب - في ظلال قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾[٤]، يقول : " والمغفرة تتصل بقوله من قبل ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ فهي من الرحمة والفضل الفائض بلا حدود ولا قيود ، وهي الباب المفتوح الذي لا يغلق في وجه عائد تائب ، ولو عظم الذنب وكبرت المعصية ..

أما الود .. فيتصل بموقف المؤمنين ، الذين اختاروا ربهم على كل شيء ، وهو الإيناس اللطيف الحلو الكريم .. حين يرفع الله عباده الذين يؤثرونه ويحبونه إلى مرتبة ، يتحرج القلم من وصفها لولا أن فضل الله يجود بها .

مرتبة الصداقة .. الصداقة بين الرب والعبد .. ودرجة الود من الله لأودائه وأحبابه المقربين .. فماذا تكون الحياة التي ضحوا بها وهي ذاهبة ؟ وماذا يكون العذاب الذي احتملوه وهو موقوت ؟ ماذا يكون هذا إلى جانب قطرة من هذا الود الحلو ؟ وإلى جانب لمحة من هذه الإيناس الحبيب ؟ .

إن عبيدًا من رقيق هذه الأرض ، عبيد الواحد من البشر ، ليلقون بأنفسهم إلى التهلكة لكلمة تشجيع تصدر من فمه ، أو لمحة رضا تبدو في وجهه ، وهو عبد

---

(١) سورة مريم ، الآية ٩٦

(٢) رواه : البخاري في بدء الوحي باب ذكر الملائكة ٣/ ١١٧٥ برقم ٣٠٣٧ ، ومسلم في البر والصلة ٤/ ١٦١١ برقم ٢٦٣٧.

(٣) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٢١ .

(٤) سورة البروج ، الآية ١٤ .

وهم عبيد .. فكيف بعباد الله . الذين يؤنسهم الله بوده لكريم الجليل ، الله ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ العالي المهيمن الماجد الكريم ؟ آلا هانت الحياة ، وهان الألم ، وهان العذاب ، وهان كل غال عزيز ، في سبيل لمحة رضى يجود بها المولى الودود ذو العرش المجيد " [١].

رابعًا : صفة الخلة :

وهي كمال المحبة المستغرقة للمحب ، وهي أخص من مطلق المحبة [٢]. قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[٣] وقال ﷺ : " إن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا " [٤]، ففي هذين النصين إثبات الخلة لله تعالى ، وخلته – سبحانه – كمحبته من صفاته الفعلية المتعلقة بمشيئته ، وهو موصوف بها على الوجه الذي يليق به من غير تكييف ولا تشبيه ، كما هو منهج أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب [٥].

وقد أنكرها الجهمية ، وتأولها المتكلمون بالنصرة والمعاونة ونحوها [٦].

أما سيد – رحمه الله – فيقف في ظلال الآية السابقة : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾. قائلًا : " جاء هذا النص يرد هؤلاء وهؤلاء إلى العمل ، والعمل وحده ، ويرد الناس كلهم إلى ميزان واحد ، هو إسلام الوجه لله – مع الإحسان – واتباع ملة إبراهيم وهي الإسلام – إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا " [٧].

فهو يجريها على ظاهرها، مقررًا أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا.

الفرع الرابع : صفات الكره والغضب والسخط والمقت :

وهذه الصفات الأربع أيضًا من صفات الله الفعلية الثابتة بنصوص الكتاب والسُّنَّة الصحيحة . وهي عند أهل السُّنَّة والجماعة صفات حقيقية على ما يليق به ،

---

(١) في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٨٧٥ .
(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٣٩٦.
(٣) سورة النساء ، الآية ١٢٥ .
(٤) رواه : مسلم ٤/ ١٤٧٩ برقم ٢٣٨٣ ، وأبي شيبة في المصنف ١١/ ٤٧٣ واللفظ له .
(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٩٦ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٢٣٨.
(٦) انظر: أساس التقديس للرازي ، وأصول الدين للبغدادي ص ٧٩/ ٨١
(٧) في ظلال القرآن ٢/ ٧٦٢.

لا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق [١].

وتأولها المخالفون بأنها إرادة إيصال العذاب والعقوبة لمن عصاه [٢].

صفات الكره والسخط والمقت والغضب عند سيد قطب : وموقف سيد قطب - رحمه الله - من هذه الصفات أنه يقرها على ظاهرها في ظلال الآيات التي جاء فيها ذكر الكره والغضب والسخط والمقت ، ويصرح في مواطن عديدة بأن الله يكره من يستحق الكره .

- ففي ظلال قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [٣] يقول: " حيث يكرههم الله ويعاقبهم بما أثموا " ، " وقد كرههم الله للإثم والخيانة"، "وهم يزورون من القول و ما لا يرضاه .." [٤] . .

- **ويقول أيضًا :**" لذلك كله كره الله للجماعة المسلمة أن تشيع فيها قالة السوء .."، " ويربط الأمر في النهاية بالله ، بعد ما ربطه في البداية بحب الله وكرهه " [٥]، " من أجل هذا كله يكره الله الخائنين ويكره الله الخيانة " [٦]، " ومن ثم فهم مكروهون من الله لاستكبارهم" [٧]، " وأنه يكره المعتدين " [٨]. " إنما هو فضل الله ورحمته بالمؤمنين، وكراهيته سبحانه للكافرين " [٩].

" ثم يعاتب الله الذين آمنوا عتابًا شديدًا على أمر حدث من طائفة منهم ، أمر يكرهه الله أشد الكره ، ويمقته أكبر المقت ، ويستفظعه من الذين آمنوا على وجه الخصوص، ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ " [١٠].

- ويقول أيضًا في صفة السخط : " وهم الذين كرهوا رضوان الله فلم يعملوا

(١) انظر: عقيدة السلف أصحاب الحديث للإمام الصابوني ص ٢٨ ، وشرح الواسطية لهراس ص ١٤٢ .
(٢) انظر : أساس التقديس للرازي ص ٨ ، وأصول الدين للبغدادي ص ٧٩- ٨١ .
(٣) سورة النساء ، الآية ١٠٧ .
(٤) في ظلال القرآن ٢/ ٧٥٤ .
(٥) المصدر السابق ٢/ ٧٩٦.
(٦) المصدر السابق ٣/ ١٥٤٢.
(٧) المصدر السابق ٤/ ٢١٦٧
(٨) المصدر السابق ٤/ ٢٤٢٥
(٩) المصدر السابق ٥/ ٢٧٧٣ .
(١٠) المصدر السابق ٦/ ٣٥٥١

له، بل عملوا ما يسخط الله ويغضبه "[١]" التعامل أولًا هو تعامل مع الله ، يلحظ فيه جناب الله ، ويتجنب به سخطه ويطلب به رضاه "[٢].

- **ويقول في صفة المقت :** و- صفة الخيلاء- حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق، وهي تعبير عن شعورٍ مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء" وأن الله لا يحب كل مختال فخور "[٣].

- وفي ظلال قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾[٤] يقول : " والمقت : أشد الكره ، وهم ينادون من كل جانب ، إن مقت الله لكم يوم كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون أشد من مقتكم لأنفسكم ، وأنتم تطلعون اليوم على ما قادتكم إليه من شر ونكر .."[٥].

- وعن صفة الغضب يقرر هذه الصفة لله سبحانه ، في ظلال الآيات التي وردت صفة الغضب فيها ومن ذلك :

يقول سيد : "غير المغضوب عليهم : أي الذين غضب الله عليهم لمعرفتهم الحق ثم حيدتهم عنه "[٦]. " فعادوا - أي اليهود في هذا الظلم بغضب على غضب "[٧]، " ورجعوا من رحلتهم يحملون هذا الغضب "[٨].

" وقصة لعنة الله لهم وغضبه عليهم واردة في مواضع شتى من القرآن الكريم "[٩].

ويقول : " ومن أعطى العدو دبره يوم الزحف فقد استحق ذلك العقاب : غضب من الله ، ومأواه في جهنم "[١٠]، " إنه العذاب الذي لا دافع له ، وغضب الله

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٢٩٨ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٤١٨ وينظر أيضًا ١/ ٥٠٦ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٧٩٠ .
(٤) سورة غافر ، الآية ١٠ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٧٢ .
(٦) المصدر السابق ١/ ٢٦ .
(٧) المصدر السابق ١/ ٩٠ .
(٨) المصدر السابق ١/ ٤٤٩.
(٩) المصدر السابق ٢/ ٩٢٦ ، وينظر أيضًا المواضع الآتية ١/ ٧٥ ، ٣/ ١٣٧٥، ٤/ ٢٣٤٧ .
(١٠) المصدر السابق ٣/ ١٤٨٧ ، وينظر أيضًا ٢١٩٦ .

المصاحب له " [١].

وفي مواضع كثيرة من القرآن يذكر الله تعالى أنه لا يحب أصنافًا من الناس وأعمالا ، وسيد يمرها على ظاهر ، من ذلك إخباره بأنه سبحانه : ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ ، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ ، ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، ﴿ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ ، ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ ونحو ذلك [٢].

ويقول: " والتعبير القرآني يقول: إن الله " لا يحب" هؤلاء ، والله سبحانه لا ينفعل انفعال الكره ، والحب ، إنما المقصود ما يصاحب هذا الانفعال في مألوف البشر من الطرد والأذى وسوء الجزاء " ؟؟ [٣].

الفرع الخامس : صفة المعية والقرب :

ورد في الكتاب والسُّنَّة وصف الله تعالى بأنه مع عباده عمومًا ، ومع بعضهم خصوصًا وقريب منهم ، وبناءً على تلك النصوص فقد قسم السلف المعية إلى معيتن :

١ - معية عامة : وهي لكل الخلق ، تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر، وتستلزم الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة ، وسمعًا ، وبصرًا وسلطانًا وغير ذلك من معاني ربوبيته سبحانه، ودليلها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[٤] ، وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[٥] وقوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[٦].

وصفة المعية العامة من صفات الذات ، لأن الله لم يزل ولا يزال محيطًا بالخلق

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١٣١١ .
(٢) المصدر السابق ١ / ١٨٨ ، ٢٩٥ ، ٣٢٨، ٣٧٨، ٤٠٤، ٤٨٢ ، ٢/ ٧٥٤، ٩٦٩، ٣/ ١٢٢٣، ١٦٩٧ ، ٥/ ٢٧١١، ٣٠٤٠
(٣) المصدر السابق ٢/ ٦٦١ .
(٤) سورة الحديد ، الآية ٤ .
(٥) سورة النساء ، الآية ١٠٨ .
(٦) سورة المجادلة ، الآية ٧.

علمًا وقدرة وسلطانًا وغير ذلك من معاني الربوبية [١].

٢ - معية خاصة : وهي قسمان :

أ - مقيدة بشخص معين : كقوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[٢] وقوله تعالى لموسى وهارون : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٣].

ب - مقيدة بوصف : كقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٤] ونحوها والمعية الخاصة بنوعيها تستلزم ما تستلزمه المعية العامة من الإحاطة بالخلق علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وغير ذلك ، وتستلزم مع ذلك أيضًا النصر والتأييد .

وهي من الصفات الفعلية لأنها تابعة لمشيئته سبحانه وكل صفة مقرونة بسبب فهي من الصفات الفعلية [٥].

وأما صفة القرب فلم تثبت إلا خاصةً ، بخلاف المعية فإنها تكون عامة وخاصة كما سبق [٦].

موقف الفرق من صفة المعية والقرب :

الجهمية ومن وافقهم من الحلولية يقولون : بأن الله تعالى ليس على عرشه في السماء بل هو في كل مكان بذاته ، مستدلين بآية المعية [٧].

أما أهل السُّنَّة والجماعة فهم فريقان :

الفريق الأول : يفسر المعية بلازمها،فيقول أنها كناية عن العلم وعن السمع والبصر والقدرة وما أشبه ذلك [٨].

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٠٣ .
(٢) سورة التوبة ،الآية ٤٠ .
(٣) سورة طه ، الآية ٤٦ .
(٤) سورة النحل ، الآية ١٢٨ .
(٥) شرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٠٣ .
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥/ ٤٩٤ .
(٧) انظر : الرد على الجهمية للدارمي ص ١٤ - ١٦ ،والشريعة للآجري ص ٢٨٥ - ٢٨٨ .
(٨) انظر : شرح أصول أهل السُّنَّة للألكائي ٣/ ٤٤٥- ٤٤٦، وفتح الباري لابن حجر ١٣/ ٥٠٠، وتفسير الطبري ١/ ٦٧٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٢٨ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٠٢،

الفريق الثاني : يقولون هي على حقيقتها لكنها معية تليق بالله خاصة به، فليست كمعية الإنسان للإنسان ، فمعية الله ثابتة له وهو في علوه ، ويضربون لذلك مثلًا بالقمر، فهو في السماء وهو مع المسافر وغيره أينما كانوا بظهوره واتصال نوره ، فإذا جاز هذا للقمر وهو من أصغر المخلوقات ، أفلا يجوز بالنسبة إلى اللطيف الخبير الذي أحاط بعباده علمًا وقدرة .

وقولهم بأن معية الله حق على حقيقتها ، لا يقتضي الممازجة ولا المخالطة ، فإن الله تعالى بائن من مخلوقاته ، وهم بائنون منه ، وعلوه -عزَّ وجلَّ -لا يناقض معيته ، ومعيته لا تبطل علوه ، بل كلاهما حق ، ولذلك جمع بينهما في آية واحدة فقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1] والله من أسمائه: الظاهر والباطن ، وهما اسمان لعلوه وقربه ، وقد جمع النبي ﷺ بين كون الله صاحبًا في السفر وخليفة في الأهل في قوله ﷺ : " اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل "[2]، فمعيته- سبحانه - وقربه لا ينافي علوه وفوقيته ، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته ، وهو علي في دنوه ، قريب في علوه[3].

صفة المعية والقرب عند سيد قطب:

من خلال استقراء كلام سيد حول الآيات التي جاء فيها ذكر المعية والقرب نجد أنه يثبت هذه الصفة على حقيقتها ويثبت لوازمها أيضًا من العلم والإحاطة والنصر والتأييد ونحوها ، وفيما يلي مجموعة من النصوص :

في ظلال قوله تعالى : ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾[4]، يقول: " والنص يتضمن حقائق : أولها حقيقة حضور الله - سبحانه - معهم،

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٤ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الحج ، باب ما يقول إذا ركب في سفر الحج ٢/ ٧٩٨، برقم ١٣٤٢ .

(٣) ينظر في ذلك : كتاب التوحيد لابن منده ٣/ ١٢٥ برقم ١٢٨ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ١٤٣ ، ٥/ ٤٦٦، ٥١٠، ومختصر الصواعق للموصلي ص ٣٧٥، ٣٩٧، ، وتفسير المنار ٢/ ١٦٨ ، ١٦٩ ، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤٠٤، وما بعدها ، وشرح الواسطية ، لهراس ص٢٢٩، ٢٢٨.

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٢٢ .

وسمعه وعلمه بكل ما كان وما دار بينهم ، وهي الحقيقة التي تحرص التربية القرآنية على استحضارها وتقريرها وتوكيدها وتعميقها في التصور الإسلامي ، وهي الحقيقة الأساسية الكبيرة التي أقام عليها الإسلام منهجه التربوي..

وياله من مشهد الله حاضره ، ويا له من موقف الله شاهده ، ويا لها من رهبة إذن ومن روعة تحف به وتخالط كل ما دار فيه من تشاور ، والسرائر مكشوفة فيه لله ، وهو يسمع ما تقوله الألسن ويعلم ما تهمس به الضمائر.

ويكشف الله المخبوء .. لاستعادة الأحداث ولتصوير خلجات النفوس ، وإشعار أهلها حضور الله معهم ، وعلمه بمكنونات ضمائرهم كما قال لهم : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ لتوكيد هذه الحقيقة وتعميقها في حسهم .." [1].

في ظلال قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي ﴾[2] يقول : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ ﴾ وهو وعدٌ عظيم ، فمن كان الله معه فلا شيء إذن ضده ، ومهما يكن ضده من شيء فهو هباء ، لا وجود –في الحقيقة – له ولا أثر ، ومن كان الله معه فلن يضل طريقه فإن معية الله – سبحانه – تهديه كما أنها تكفيه ، ومن كان الله معه فلن يقلق ولن يشقى ، فإن قربه من الله يطمئنه ويسعده وعلى الجملة فمن كان الله معه فقد ضمن ، وقد وصل ، وما له من زيادة يستزيدها على هذا المقام الكريم . ولكن الله – سبحانه – لم يجعل معيته لهم جزافًا ولا محاباة ولا كرامة شخصية منقطعة عن أسبابها وشروطها عنده ، إنما هو عقد .. فيه شرط وجزاء .." [3].

في ظلال قوله تعالى :﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[4]. يقول : " إنه الأمر الهائل – إنها معية الله سبحانه للملائكة في المعركة .. هذا الأمر لا يجوز أن يشغلنا عنه أن نبحث : كيف اشتركت الملائكة ؟ ولا كم قتيلًا قتلت؟ .. إن حركة العصبة المسلمة في الأرض بهذا الدين أمر هائل عظيم،

---

(١) في ظلال القرآن ، ١/ ٤٦٧– ٤٦٨ بتصرف يسير .
(٢) سورة المائدة ، الآية ١٢ .
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٨٥٧ .
(٤) سورة الأنفال ، الآية ١٢ .

أمر يستحق معية الله لملائكته في المعركة " [١].

ثم بين أننا نؤمن بالملائكة ووجودهم وأعمالهم كما أخبر الله ، ولكن لا نملك إدراك كيفية أعمالهم المذكورة ، وأن البحث في تلك الكيفيات ليس من الجد الذي هو طابع العقيدة ولكنه من مباحث الفرق وعلم الكلام في العصور المتأخرة عندما فرغ الناس من الاهتمامات الإيجابية ، ويقرر : " أن وقفه أمام الدلالة الهائلة لمعية الله سبحانه للملائكة في المعركة ، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة لهي أنفع وأجدى " [٢].

في تقديمه لسورة يونس يستعرض موضوع آياتها ومنها الآيات التي : " تصور حضور الله سبحانه وشهوده لكل ما يهم به البشر ، وكل ما يزاولون من نية وعمل، مما يملأ الحس البشري بالرهبة والروعة ، كما يملؤه بالحذر واليقظة .. وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[٣] [٤].

" إن الشعور بالله على النحو الذي تصوره الآية .. شعور مطمئن ومخيف معًا ، مؤنس ومرهب معًا ، وكيف بهذا المخلوق البشري وهو مشغول بشأن من شؤونه يحس أن الله معه ، شاهدٌ أمره وحاضرٌ شأنه ، الله بكل عظمته ، وبكل هيبته ، وبكل جبروته ، وبكل قوته ، الله خالق هذا الكون وهو عليه هينٌ ، ومدبر هذا الكون ما جلَّ منه وما هان ... الله مع هذا المخلوق البشري الذرة التائهة في الفضاء لولا عناية الله تمسك بها وترعاها ! إنه شعور رهيب، ولكنه كذلك شعور مؤنس مطمئن ، إن هذه الذرة التائهة ليست متروكة بلا رعاية ولا معونة ولا ولاية إن الله معها " [٥].

في ظلال قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[٦] يقول : "من المؤثرات

---

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٨٥ .
(٢) المصدر السابق ٣/ ١٤٨٩ بتصرف .
(٣) سورة يونس ، الآية ٦١ .
(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٧٤٧ . .
(٥) المصدر السابق ٣/ ١٨٠٣ بتصرف يسير .
(٦) سورة هود ، الآية ٥ .

التي ترتجف لها القلوب ما يصوره السياق من حضور الله سبحانه ، وإطلاعه على ما يخفي البشر من ذوات الصدور ، بينما هم غارُّون لا يستشعرون حضوره سبحانه ، ولا علمه المحيط ، ولا يحسون قهره للخلائق وإحاطته بها جميعًا" (١).

" ويصور القرآن هذا المعنى – في صورة مرهوبة – وهم في وضع خفي دقيق من أوضاعهم ، حيث يأوون إلى فراشهم ، ويخلون إلى أنفسهم ، والليل لهم ساتر، وأغطيتهم لهم ساترة ، ومع ذلك فالله معهم من وراء هذه الأستار حاضر ناظر قاهر ، يعلم في هذه الخلوة ما يسرون وما يعلنون... " (٢).

في ظلال قوله تعالى لموسى وهارون ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾(٣). يقول: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ ﴾.. إنه القوي الجبار الكبير المتعال ، إنه الله القاهر فوق عباده ، إنه موجد الأكوان والحيوان والأفراد والأشياء بقوله : كن ، ولا زيادة ، إنه معهما ، وكان هذا الإجمال يكفي ولكنه يزيدهما طمأنينة ، ولمسًا بالحس للمعونة﴿ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ فما يكون فرعون ، وما يملك وما يصنع حين يفرط أو يطغى ؟ والله معهما يسمع ويرى ؟ " (٤).

في ظلال قوله تعالى لموسى وهارون أيضًا: ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾(٥)، يقول:" اذهبا " ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ فأية قوة ؟ وأي سلطان ؟ وأي حماية ورعاية وأمان ؟ والله معهما ومع كل إنسان في كل لحظة وفي كل مكان، ولكن الصحبة المقصودة هنا هي صحبة النصر والتأييد فهو يرسمها في صورة الاستماع الذي هو أشد درجات الحضور والانتباه ، وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة ، وذلك على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير " (٦).

في ظلال قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ١٨٤٨ .
(٢) المصدر السابق ٤/ ١٨٥٥- ١٨٥٦ .
(٣) سورة طه ، الآية ٤٦ .
(٤) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٣٧ .
(٥) سورة الشعراء ، الآية ١٥ .
(٦) في ظلال القرآن ٥/ ٢٥٩٠ .

يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١]، يقول : "وهم معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير " وهي كلمة على الحقيقة لا على الكناية والمجاز . فالله – سبحانه وتعالى – مع كل أحد ، ومع كل شيء ، في كل وقت ، وفي كل مكان ، مطلع على ما يعمل بصير بالعباد ، وهي حقيقة هائلة حين يتمثلها القلب ، حقيقة مذهلة من جانب ، ومؤنسة من جانب ، مذهلة بروعة الجلال ، ومؤنسة بظلال القربى ، وهي كفيلة وحدها حين يحسها القلب البشري على حقيقتها أن ترفعه وتطهره ، وتدعه مشغولاً بها عن أعراض الأرض ، كما تدعه في حذر دائم وخشية دائمة مع الحياء والتحرج من كل دنس ومن كل إسفاف "[٢].

في ظلال قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾[٣] ، يقول: " والله معكم ، فلستم وحدكم إنكم في صحبة العلي الجبار القادر القاهر وهو لكم نصير حاضر معكم ، يدافع عنكم فما يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم .. "[٤].

في تعليقه على قصة المجادلة يقول : .. وهذا هو الشأن الذي أنزل الله فيه حكمه من فوق سبع سماوات .. ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[٥]، فإذا الله حاضر هذا الشأن الفردي لامرأة من عامة المسلمين لا يشغله عن سماعه تدبير ملكوت السموات والأرض .. وإنه لأمر .. أن تشعر جماعة من الناس أن الله هكذا معها، حاضر شؤونها ، جليلها وصغيرها .. وهو الله الكبير المتعال ، العظيم الجليل، القهار المتكبر ، الذي له ملك السماوات والأرض وهو الغني الحميد .

وهو مطلع ذو إيقاع عجيب .. إنكما لم تكونا وحدكما ، لقد كان الله معكما ، وكان يسمع لكما إن الله سميع بصير ، يسمع ويرى ، هذا شأنه وهذه صورة منه في الحادث الذي كان الله ثالثكما فيه ، وكلها إيقاعات ولمسات تهز القلوب.. "[٦]،

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٤ .
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٤٨١
(٣) سورة محمد ، الآية ٣٥ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٠٢ .
(٥) سورة المجادلة ، الآية ١ .
(٦) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٠٥- ٣٥٠٦ بتصرف يسير .

"وهي صورة تملأ القلب بوجود الله وقربه وعطفه ورعايته "[١].

وفي ظلال قوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[٢]، يقول: " وتلتقي صورة الرعاية والعناية بصورة الحرب والنكاية في علم الله وإطلاعه، وشعوره وحضوره، فهو شاهد حاضر للعون والرعاية، وهو شاهد حاضر للحرب والنكاية، فليطمئن بحضوره وشهوده المؤمنون، ويحذر من حضوره وشهوده الكافرون.

ويستطرد السياق... إلى رسم صورة حية من هذا الشهود تمس أوتار القلوب.. تبدأ الآية بتقرير علم الله الشامل لما في السماوات وما في الأرض على إطلاقه.. ثم تتدرج وتزحف وتقرب حتى تلمس ذوات المخاطبين وتمس قلوبهم بصورة من ذلك العلم الإلهي تهز القلوب ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ وهي حقيقة في ذاتها، ولكنها تخرج في صورة لفظية عميقة التأثير، تترك القلوب وجلة ترتعش مرة وتأنس مرة، وهي مأخوذة بمحضر الله الجليل المأنوس حيثما اختلى ثلاثة تلفتوا ليشعروا بالله رابعهم، وحيثما اجتمع خمسة تلفتوا ليشعروا بالله سادسهم، وحيثما كان اثنان يتناجيان فالله هناك، وحيثما كانوا أكثر فالله هناك، إنها حالة لا يثبت لها قلب، ولا يقوى على مواجهتها إلا وهو يرتعش ويهتز وهو محضر مأنوس نعم، ولكنه كذلك جليل رهيب، محضر الله " وهو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة " وهذه لمسة أخرى تُرجف وتُزلزل، إن مجرد حضور الله وسماعه أمر هائل، فكيف إذا كان لهذا الحضور والسماع ما بعده من حساب وعقاب ؟ "[٣].

في ظلال قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾[٤].

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٥٠٤.
(٢) سورة المجادلة، الآية ٧.
(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٠٨ بتصرف.
(٤) سورة التوبة، الآية ٤٠.

يقول : ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ والقوم على إثرهما يتعقبون ، والصديق - رضي الله عنه - يجزع - لا على نفسه ولكن على صاحبه - أن يطلعوا عليهما فيخلصوا إلى صاحبه الحبيب، يقول له : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا - والرسول ﷺ - وقد أنزل الله سكينته على قلبه يهدئ من روعه ويطمئن من قلبه فيقول له : " يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما " [١]. [٢].

فهذه النصوص فيها الكفاية لبيان موقفه من إثبات صفة المعية والقرب لله تعالى، وهناك نصوص أخرى في ظلال الآيات التي أخبر سبحانه فيها أنه مع الصابرين والمتقين والمحسنين، يقرر فيها سيد - رحمه الله - معية الله لهم وتأييده وتثبيته ، ويبين ما تلقيه تلك الآيات من ظلال وأنس فمن كان الله معه فهو المنصور بلا جدال ، وما يضره كيد من يكيدون ومن يمكرون، وهذا هو الضمان كل الضمان [٣].

الفرع السادس : صفة الرحمة :

الرحمة صفة من صفات الله تعالى فهو ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٤]، وهي من صفات الذات، ويدل عليها اسم الرحمن ، ومن صفات الفعل إذ يتجدد أفرادها ، فالله يرحم من يشاء من عباده ، ويعذب من يشاء ، فتتعلق بها مشيئته وقدرته، ويدل عليها بهذا الاعتبار اسم " الرحيم " [٥]، فالله سبحانه وتعالى هو ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [٦] وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف ، والنصوص الواردة في إثباتها لا تكاد تحصى،" وكرر الله التمدح بالرحمة أكثر من خمسمائة مرة في القرآن الكريم ، منها أكثر من مائة وستين باسم الرحمن، وأكثر من مائتين مرة باسم الرحيم ، وجمعهما للتأكيد مائة وست عشرة مرة " [٧].

---

(١) رواه : البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين ٣/ ١٣٣٧ برقم ٣٤٥٢ ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر ٤/ ١٤٧٨ برقم ٢٣٨١

(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٦٥٦.

(٣) ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ١/ ١٤٢، ١٩١ ، ٢٦٩، ٣/ ١٥٤٩ ، ١٦٥٣، ٤/ ٢٢٠٣.

(٤) سورة يوسف ، الآية ٥٣ .

(٥) انظر :شرح الواسطية لهراس ص ٨٠ ، ١٣٩ .

(٦) سورة الفاتحة ، الآية ٣ .

(٧) مقتبس من إيثار الحق على الخلق ، لابن الوزير ، ص١٢٥.

قال تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[١]، وقال: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾[٢] وغيرها.

ومن السُّنَّة قوله ﷺ: " إن الله كتب كتابًا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي "[٣].

وبناءً على هذه الأدلة وغيرها أثبت السلف هذه الصفة[٤].

على الوجه الذي يليق كسائر صفاته وأنكرها المتكلمون وأولوها بلوازمها، لأن الرحمة - كما يقولون - رقة تعتري القلب والله منزه عنها[٥].

والرحمة قسمان:

رحمة عامة: تشمل جميع المخلوقات حتى الكفار، لأن الله قرن الرحمة مع العلم، في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[٦] ولكن رحمة الله للكافر رحمة جسدية دنيوية لا تقارن برحمة المؤمن.

ورحمة خاصة: بالمؤمنين وهي رحمة إيمانية دينية دنيوية أيضًا، كقوله سبحانه ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[٧].

صفة الرحمة عند سيد قطب:

أما سيد قطب - رحمه الله - فقد وقف وقفات طويلة مع صفة الرحمة، استعرض فيها حقيقتها ومجالاتها ومظاهرها وآثارها في الحياة عمومًا.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١٣٣.
(٣) رواه: البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى " ويحذركم الله نفسه ٦/ ٢٦٩٤ برقم ٦٩٦٩ وفي لفظ له (سبقت) برقم ٣٠٢٢.
(٤) انظر: السُّنَّة لابن أبي عاصم ١/ ٢٧٠، وصحيح البخاري ٦/ ٢٦٩٤، والتوحيد لابن منده ٢/ ٤٧، وشرح الواسطية لهراس ص ١٣٨، ومختصر الصواعق لابن القيم ص ٢٩٦ وما بعدها، وشرح الواسطية لابن عثيمين ١/ ٢٤٨
(٥) انظر: أساس التقديس للرازي ص ٢، ومختصر الصواعق لابن القيم ص ٢٩٦، وفتح الباري لابن حجر ٨/ ١٥٥، ١٠/ ٤٣٢، ١٣/ ٣٥٨.
(٦) سورة غافر، الآية ٧.
(٧) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

١ - في ظلال سورة الفاتحة يقول- رحمه الله - : " ووصفه - سبحانه - في البدء بالرحمن الرحيم، يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها ، وهو المختص وحده باجتماع هاتين الصفتين ، كما أنه المختص وحده بصفة الرحمن ، فمن الجائز أن يوصف عبد من عباده بأنه رحيم ، ولكن من الممتنع من الناحية الإيمانية أن يوصف عبد من عباده بأنه رحمن ، ومن باب أولى أن تجتمع له الصفتان ، ومهما يختلف في معنى الصفتين : أيتهما تدل على مدى أوسع من الرحمة، فهذا الاختلاف ليس مما يعنينا تقصيه في هذه الظلال ، إنما نخلص منه إلى استغراق هاتين الصفتين مجتمعتين لكل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها " [١].

" فصفة ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ تستغرق كل معاني الرحمة ، وحالاتها ومجالاتها ، تتكرر في صلب السورة في آية مستقلة ، لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة ، ولتثبت قوائم الصلة الدائمة بين الرب ومربوبيه ، والخالق ومخلوقاته ، إنها صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء إنها الصلة التي تقوم على الطمأنينة وتنبض بالود ، فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية .. [٢].

٢ - وفي ظلال قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمۡ ذُو رَحۡمَةٖ وَٰسِعَةٖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُهُۥ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[٣] يقول : " فقل ربكم ذو رحمة واسعة بناء ، وبمن كان مؤمنا من عباده ، وبغيرهم من خلقه ، فرحمته - سبحانه - تسع المحسن والمسيء ، وهو لا يعجل على من استحق العقاب ، حلماً منه ورحمة ، فإن بعضهم قد يتوب إلى الله ، ولكن بأسه لا يرده عن المجرمين إلا حلمه ، وهذا القول فيه من الأطماع في الرحمة بقدر ما فيه من الإرهاب بالبأس .. " [٤].

٣ - في ظلال قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾[٥] يقول " وهو سبحانه المالك.. ولكنه فضلاً منه ومنة كتب على نفسه الرحمة ، كتبها بإرادته ومشيئته ، لا يوجبها عليه موجب ...

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢٢ .
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤ .
(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٤٧.
(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٢٦ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية ١٢

والرحمة قاعدة قضائه في خلقه ، ومعاملته لهم في الدنيا والآخرة ، والاعتقاد بها يدخل في مقومات التصور الإسلامي ، فرحمة الله بعباده هي الأصل ، حتى في ابتلائه لهم أحيانًا بالضراء ليعد طائفة منهم لحمل أمانته ، بعد الخلوص والتجرد والاستعداد.. وليميز الخبيث من الطيب في الصف .. ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حيَ عن بينة ، والرحمة في هذا كله ظاهرة .

على أن تلمس مواضع رحمة الله ومظاهرها يستغرق الأعمار والأجيال ، فما من لحظة إلا وتغمر العباد فيها الرحمة ، إنما ذكرنا الرحمة في الابتلاء بالضراء ، لأن هذه هي التي قد تزيغ فيها القلوب والأبصار، ولن نحاول نحن أن نتقصى مواضع الرحمة الإلهية أو مظاهرها ، بل سنشير إشارة مجملة إلى شيء من ذلك .

ولكن قبل ذلك يستوقف النظر في هذا النص وأمثاله تفضل الخالق المالك ذي السلطان القاهر فوق عباده – سبحانه – بأن جعل رحمته بعباده في هذه الصورة، مكتوبة عليه، كتبها هو على نفسه، وجعلها عهدًا منه لعباده .. وهي حقيقة هائلة .. وتفضله – سبحانه – أيضًا ، بإخبار عباده بما كتبه – سبحانه – على نفسه من رحمته، إن تدبر هذه الحقيقة – يدع القلب في عجب ودهش ، وفي أنس وروْح ، لا تبلغ الكلمات أن تصور جوانبه وحواشيه .. فليس ذلك موكولًا إلى التعبير البشري، وإن كان القلب مهيأ لتذوقه ، لا لتعريفه !

وتَمَثُّل هذه الحقيقة في التصور الإسلامي يوضح جانبًا من تصور حقيقة الألوهية وعلاقة العباد بها وهو تصور جميل مطمئن ودود لطيف .. ورحمة الله تفيض على عباده جميعًا ، وتسعهم جميعًا وبها يقوم وجودهم ، وتقوم حياتهم ، وهي تتجلى في كل لحظة من لحظات الوجود ، أو لحظات الحياة للكائنات ، فأما حياة البشر خاصة فلا نملك أن نتابعها في كل مواضعها ومظاهرها ، ولكننا نذكر منها لمحات في مجاليها الكبيرة .

– إنها تتجلى ابتداءً في وجود البشر ذاته ، ونشأتهم من حيث لا يعلمون ، وإعطائهم هذا الوجود الإنساني الكريم ، بكل ما فيه من خصائص يتفضل بها الإنسان على كثير من العالمين .

– وتتجلى في تسخير ما قدر الله أن يسخره للإنسان من قوى الكون وطاقاته ،

وفي الرزق أيضًا ..

- وتتجلى في تعليم الله للإنسان بإعطائه الاستعداد للمعرفة ، وتقدير التوافق بين استعداداته وإيحاءات الكون ومعطياته .

- وتتجلى في رعاية الله لهذا الخلق بعد استخلافه في الأرض ، بإرسال الرسل بالهدى كلما نسي أو ضل وحلم الله عليه كلما لج في الضلال ، وهو على الله هين ، لكن رحمة الله هي التي تمهله .

- وتتجلى في تجاوز الله - سبحانه - عن سيئاته إذا عمل السوء بجهالة ثم تاب، وبكتابة الرحمن على نفسه ممثلة في المغفرة لمن أذنب ثم تاب .

- وتتجلى في مجازاته عن السيئة بمثلها ، وعلى الحسنة بعشر أمثالها ، والمضاعفة بعد ذلك لمن يشاء ومحو السيئة بالحسنة .. فلا يبلغ أحد أن يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته حتى رسول الله ﷺ كما قال عنه نفسه [١].

والإقصار منا عن متابعة رحمة الله في مظاهرها ، وإعلان القصور والعَّي عنها هو أجدر وأولى ، وإلا فما نحن ببالغين من ذلك شيئًا :

إن لحظة واحدة يفتح الله فيها أبواب رحمته لقلب العبد المؤمن ، فيتصل به ويعرفه، ويطمئن إليه - سبحانه -ويأمن في كنفه ، ويستروح في ظله .. إن لحظة واحدة من هذه اللحظات لتعجز الطاقة البشرية عن تمليها واستجلائها ، فضلًا على وصفها والتعبير عنها .

فلننظر كيف مثل رسول الله ﷺ لهذه الرحمة بما يقربها للقلوب شيئاً ما :

- قال ﷺ : لما قضى الله الخلق - وفي رواية : لما خلق الله الخلق - كتب في كتابٍ فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي سبقت غضبي [٢].

- وقال ﷺ : " جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها

(١) رواه: البخاري في الرقاق باب القصد والمداومة ٥/ ٢٣٧٣ برقم ٦٠٩٨ ، ٦٠٩٩، ومسلم في صفات المنافقين باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ٤/ ١٧٢٠ برقم ٢٨١٦، ٢٨١٧، ٢٨١٨ واللفظ له .

(٢) سبق تخريجه ص ٥٩٧ .

عن ولدها خشية أن تصيبه "[١].

- وقال ﷺ: " إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم ، وتسعة وتسعون ليوم القيامة" [٢].

وهذا التمثيل النبوي الموحي ، يقرب للإدراك البشري تصور رحمة الله تعالى ، ذلك إذ ينظر إلى رحمة الأمهات بأطفالها في الخلائق الحية ، ويتملاها ويتعجب لها، وإلى رحمة القلوب البشرية بالطفولة والشيخوخة ، والضعف والمرض ، وبرحمة الطير والوحش بعضها ببعض - ومنها ما يدعو إلى الدهش والعجب - ثم يرى أن هذا كله من فيض رحمة واحدة من رحمات الله سبحانه .

وكان رسول الله ﷺ لا ينى يعلم أصحابه ويذكرهم بهذه الرحمة الكبرى :

- ففي الحديث : أنه قدم على رسول الله ﷺ بسبي ، فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلَّب ثديها ،إذ وجدت صبيًا في السبي ، فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته ، فقال ﷺ : " أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : " لا والله وهي تقدر ألا تطرحه، قال ﷺ: " فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها " [٣] وكيف لا، وهذه المرأة إنما ترحم ولدها، من فيض رحمة واحدة من رحمات الله الواسعة؟.

- ومن تعليم رسول الله ﷺ لأصحابه هذه الحقيقة القرآنية ، بهذا الأسلوب الموحي ، كان ينتقل بهم خطوة أخرى ، ليتخلقوا بخلق الله هذا في رحمته ، ليتراحموا فيما بينهم ، وليرحموا الأحياء جميعًا، ولتتذوق قلوبهم مذاق الرحمة وهم يتعاملون بها ، كما تذوقتها في معاملة الله لهم بها من قبل ومن الأحاديث في ذلك :

- " الراحمون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " [٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الولد ٥/ ٢٢٣٥ برقم ٥٦٣٥ ، ومسلم في التوبة باب سعة رحمة الله ٤/ ١٦٧٥ برقم ٢٧٥٢ واللفظ له .

(٢) رواه : البخاري في الأدب باب رحمة الولد ٥/ ٢٢٣٥ برقم ٥٦٥٣ ، ومسلم في التوبة ٤/ ١٦٧٦ برقم ٢٧٥٤ .

(٣) رواه : البخاري في الجنائز باب الدعاء ١/ ٤٣٢ برقم ١٢٢٤ ، ومسلم في الجنائز باب البكاء على الميت ٢/ ٣٠ برقم ٩٢٣ .

(٤) رواه : البخاري في التوحيد ٦/ ٢٦٨٦ برقم ٢٩٤١ واللفظ له ، ومسلم في الأدب ٤/ ١٤٤٣ برقم ٢٣١٩ .

- " لا يُرحم الله من لا يرحم الناس "[١].

- " لا تُنزع الرحمة إلا من شقي "[٢].

- " من لا يرحم لا يُرحم "[٣]، قاله للأعرابي الذي رآه يقبل الحسن رضي الله عنه فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدًا منهم .

ولم يقف الرسول ﷺ في تعليمه لأصحابه - رضوان الله عليهم- عند حد الرحمة بالناس، وقد علم أن رحمة ربه وسعت كل شيء، وأن المؤمنين مأمورون أن يتخلقوا بأخلاق الله وأن الإنسان لا يبلغ تمام إنسانيته إلا حين يرحم كل حي تخلقًا بخلق الله سبحانه، ومن ذلك : قصة الرجل الذي سقى الكلب فغفر الله له[٤].

- قصة المرأة البغي التي سقت الكلب فغفر لها [٥].

- نهيه ﷺ عن إحراق قرية النمل[٦] .

وهكذا علَّم رسول الله ﷺ أصحابه هدي القرآن ليتذوقوا رحمة الله من خلال مزاولتهم للرحمة ، أليس إنما يتراحمون برحمة واحدة من رحمات الله الكثيرة "[٧].

واستقرار هذه الحقيقة على هذا النحو يسكب في قلب المؤمن الطمأنينة إلى ربه - حتى وهو يمر بفترات الابتلاء بالضراء ، التي تزيغ فيها القلوب والأبصار - فهو يستيقن أن الرحمة وراء كل لمحة ، وكل حالة ، وكل وضع ، وأن ربه لا يعرضه

---

(١) رواه الترمذي في البر و الصلة ٤/ ٢٨٥ برم ١٩٢٣، وأبو داود في الأدب ٥/ ٢٣٢ برقم ١٩٤٢، وسنن أبي داود ، دار الحديث حمص ط١ عام ١٣٩٤ وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٣٥٠ .

(٢) رواه البخاري في الأدب باب رحمة البهائم ٥/ ٢٢٣٩ برقم ٢٦٦٧ ، ومسلم في الفضائل ٤/ ١٤٤٣ برقم ٢٣١٨ .

(٣) البخاري في الأدب ، باب رحمة البهائم ٥/ ٢٢٣٩ برقم ٢٦٦٧ ، ومسلم في الفضائل ٤/ ١٤٤٣ برقم ٢٣١٨ .

(٤) البخاري في الأدب ٥/ ٢٢٣٨ ، برقم ٥٦٦٣، ومسلم في السلام باب فضل سقي البهائم ٤/ ١٤٠٥ برقم ٢٢٤٤ .

(٥) البخاري في الأنبياء ٣/ ١٢٧٩ برقم ٣٢٨٠ ، ومسلم في السلام باب فضل سقي البهائم ٤/ ١٤٠٥ برقم ٢٢٤٥ .

(٦) البخاري في الجهاد ٣/ ١٠٩٩ برقم ٢٨٥٦ ، ومسلم في السلام باب النهي عن قتل النمل ٤/ ١٤٠٣ برقم ٢٢٤١ .

(٧) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٨- ١٠٥٢ بتصرف .

للابتلاء لأنه تخلى عنه ، أو طرده من رحمته فإن الله لا يطرد من رحمته أحدًا يرجوها، إنما يطرد الناس أنفسهم من هذه الرحمن حين يكفرون بالله ويرفضون رحمته ويبعدون عنها ! .

وهذه الطمأنينة إلى رحمة الله تملأ القلب بالثبات والصبر وبالرجاء والأهل وبالهدوء والراحة فهو في كنف ودود ، يستروح ظلاله ، ما دام لا يُبعد عنه في الشرود ! .

والشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو يستجيش في حس المؤمن الحياء من الله ، فإن الطمع في المغفرة والرحمة لا يجرئ على المعصية - إنما يستجيش الحياء من الله الغفور الرحيم ، والقلب الذي تجرئه الرحمة على المعصية هو قلب لم يتذوق حلاوة الإيمان الحقيقية ! لذلك لا أستطيع أن أفهم أو أسلم ما يجري على ألسنة بعض المتصوفة من أنهم يلجون في الذنب ليتذوقوا حلاوة الحلم ، أو المغفرة أو الرحمة ، إن هذا ليس منطق الفطرة السوية في مقابلة الرحمة الإلهية ! .

كذلك فإن الشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو يؤثر تأثيرًا قويًا في خلق المؤمن، وهو يعلم أنه مأمور أن يتخلق بأخلاق الله - سبحانه - وهو يرى نفسه مغمورًا برحمة الله مع تقصيره وذنبه وخطأه فيعلمه ذلك كيف يرحم، وكيف يعفو ، وكيف يغفر ، كما رأينا في تعليم الرسول ﷺ لأصحابه "[1].

٤- في ظلال قوله تعالى ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] يقول :" حين تستقر هذه الصورة في قلب بشري - فإنها تيأسهُ من مظنة كل رحمة في السماوات والأرض ، وتصله برحمة الله ، وتوصد أمامه كل باب في السماوات والأرض ، وتفتح أمامه باب الله ...

ورحمة الله تتمثل في مظاهر لا يحصيها العد ، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه وتكوينه ، وتكريمه بما كرمه ، وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته ، وفيما أنعم به عليه مما يعلمه ومما لا يعلمه وهو كثير .

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٠٥٢ .

(٢) سورة فاطر ، الآية ٢ .

ورحمة الله تتمثل في الممنوح ، ويجدها من يفتحها الله له في كل شيء ، وفي كل وضع ، وفي كل حال ، وفي كل مكان ، يجدها في نفسه ، وفي مشاعره ، وفيما حوله وحيثما كان ، وكيفما كان ، ولو فقد كل شيء مما يَعُد الناسُ فقده هو الحرمان ، ويفتقدها من يمسكها الله عنه في كل شيء ، وفي كل وضع وفي كل حال وفي كل مكان ، ولو وجد كل شيء مما يَعُده الناس علامة الوجدان والرضوان ! .

– وما من نعمة – يمسك الله معها رحمته – حتى تنقلب هي بذاته نقمة .

– وما من محنة – تحفها رحمة الله – حتى تكون هي بذاتها نعمة .

– ينام الإنسان على الشوك – مع رحمة الله – فإذا هو مهاد ، وينام على الحرير – وقد أمسكت عنه – فإذا هو شوك القتاد .

– يعالج أعسر الأمور – برحمة الله – فإذا هي هوادة ويسر ، ويعالج أيسر الأمور – وقد تخلت رحمة الله – فإذا هي مشقة وعسر .

– يخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام ، ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة بوار .

– ولا ضيق مع رحمة الله ، إنما الضيق في إمساكها دون سواه ، لا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السحن أو في جحيم العذاب ، أو في شعاب الهلاك ، ولا سعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم ، وفي واقع الرخاء .

– فمن داخل النفس برحمة الله تنفجر ينابيع السعادة والرضى والطمأنينة ، ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب والكدر والمعاناة.

– هذا الباب وحده يفتح وتغلق جميع الأبواب .. فلا عليك هو الفرج والفسحة واليسر والرخاء وهذا الباب وحده يغلق وتفتح جميع الأبواب .. فما هو بنافع ، وهو الضيق والكرب والشدة والقلق .

– هذا الفيض يفتح ، ثم يضيق الرزق .. والسكن .. والعيش .. وتخشن الحياة ، ويشوك المضجع فلا عيك ، فهو الرخاء والراحة والطمأنينة والسعادة .

وهذا الفيض يمسك ، ثم يفيض الرزق ، ويقبل كل شيء فلا جدوى ، إنما هو

الضنك والحرج والشقاوة .

– المال والولد والصحة والقوة والجاه والسلطان ، تصبح مصادر قلق وتعب ونكد إذا أمسكت عنها رحمة الله ، فإذا فتح الله أبواب رحمته ، كان فيها السكن والراحة والسعادة والاطمئنان .

– يبسط الله الرزق – مع رحمته – فإذا هو متاع طيب ورخاء ، ورغد في الدنيا وزاد في الآخرة، ويمسك رحمته فإذا هو مثار قلق وخوف ، وحسد وبغض .. وقد يكون معه التلف بإفراط واستهتار.

– يمنح الله الذرية – مع رحمته – فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح واستمتاع ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله ، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء ..

– يهب الله الصحة والقوة – مع رحمته – فإذا هي نعمة وحياة طيبة ويمسك نعمته فإذا هي بلاء.

– يعطي الله السلطان والجاه – مع رحمته – فإذا هي أداة إصلاح ، ومصدر أمن، وادخار الطيب من العمل ، ويمسك الله رحمته فإذا بهما مصدر قلق وطغيان وبغي ومثار حقد ، ورصيد من النار ..

– العلم الغزير والعمر الطويل والمقام الطيب ، كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال مع الإمساك ومع الإرسال .. والجماعات كالآحاد ، والأمم كالأفراد ، في كل أمر .. ووضع .. وحال ..

– ومن رحمة الله أن تحس برحمة الله ! فرحمة الله تضمك وتغمرك وتفيض عليك، ولكن شعورك بوجودها هو الرحمة ، ورجاؤك فيها وتطلعك إليها .. وثقتك بها وتوقعها في كل أمر هو الرحمة .

– والعذاب هو : العذاب في احتجابك عنها أو يأسك منها أو شكك فيها ، وهو عذاب لا يصبّه الله على مؤمن أبدًا .

– رحمة الله لا تعـزُّ على طالبٍ في أي مكان ولا في أي حال .

- وجدها إبراهيم - عليه السلام - في النار - ووجدها يوسف -عليه السلام -في الجب والسجن - ووجدها يونس - عليه السلام - في بطن الحوت في ظلمات ثلاث .

- ووجدها موسى - عليه السلام - في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة وحراسة ، كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له متربص به يبحث عنه .

- وجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور ، فقال بعضهم لبعض ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ﴾ .

- ووجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونهما ويقصون الآثار .

- ووجدها كل من آوى إليه يأسًا من كل ما سواها، منقطعًا عن كل شبهة من قوة، وعن كل مظنة في رحمة ، قاصدًا باب الله وحده دون الأبواب .

- ثم إنه متى فتح الله أبواب رحمته فلا ممسك لها ، ومتى أمسكها فلا مرسل لها . ومن ثم فلا مخافة من أحد ولا رجاء في أحد ، ولا مخافة من شيء ولا رجاء في شيء، ولا خوف من فوت وسيلة ولا رجاء مع الوسيلة.

أي طمأنينة ؟ وأي قرار ؟ وأي وضوح في التصورات والمشاعر والقيم والموازين تقره هذه الآية في الضمير ؟ !..

وهكذا أنشأ القرآن بمثل هذه الآية وهذه الصورة تلك الفئة العجيبة من البشر في صدر الإسلام .. التي تبدو لنا اليوم كالأحلام .. لأنها لم تكن تتعامل مع ألفاظ القرآن ومعانيه فقط بل كانت تتعامل مع الحقيقة التي تمثلها آيات القرآن وتعيش في واقعها بها ولها .

وما يزال هذا القرآن - قادرًا على أن ينشئ بآياته تلك أفرادًا وفئات تمحو وتثبت في الأرض - بإذن الله - ما يشاء الله .

ويبقى أن أتوجه أنا بالحمد لله على رحمة منه خاصة عرفتها منه في هذه الآية :

لقد واجهتني هذه الآية في هذه اللحظة وأنا في عسر وجهد وضيق ومشقة واجهتني في لحظة جفاف روحي ، وشقاء نفسي ، وضيق بضائقة ، وعسر من مشقة، واجهتني في ذات اللحظة ، ويسر الله لي، أن أطلع منها على حقيقتها ، وأن تسكب

حقيقتها في روحي ، كأنما هي رحيق أرشفه وأحس سريانه ودبيبه في كياني ، حقيقة أذوقها لا معنى أدركه ، فكانت رحمة بذاتها ، تقدم نفسها لي تفسيرًا واقعيًا لحقيقة الآية التي تفتحت لي تفتحها هذا ، وقد قرأتها من قبل كثيرًا ، ومررت من قبل بها كثيرًا ، ولكنها اللحظة تسكب رحيقها وتحقق معناها ، وتنزل بحقيقتها المجردة ، وتقول : هاأنذا.. نموذجًا من رحمة الله حين يفتحها ، فانظر كيف تكون ! .

– إنه لم يتغير شيء مما حولي ، ولكن لقد تغير كل شيء في حسي ! إنها نعمة ضخمة أن يتفتح القلب لحقيقة كبرى من حقائق هذا الوجود ، كالحقيقة الكبرى التي تتضمنها هذه الآية نعمة يتذوقها الإنسان ويعيشها ، ولكنه قلما يقدر على تصويرها ، أو نقلها للآخرين عن طريق الكتابة ، وقد عشتها وتذوقتها وعرفتها ، وتم هذا كله في أشد لحظات الضيق والجفاف التي مرت بي في حياتي وهاأنذا أجد الفرج والفرح والري والاسترواح والانطلاق من كل قيد ومن كل كرب ومن كل ضيق وأنا في مكاني ! إنها رحمة الله يفتح الله بابها ويسكب فيضها في آية من آياته ، آية من القرآن تفتح كوة من النور، وتفجر ينبوعًا من الرحمة ، وتشق طريقًا ممهدًا إلى الرضى والثقة والطمأنينة والراحة في ومضة عين وفي نبضة قلب وفي خفقت جنان، اللهم حمدًا لك . الله منزل هذا القرآن هدى ورحمة للمؤمنين "[1].

وبهذه الكلمات الرائعة والموقف الفريد اختم هذا الفصل الذي استعرضت فيه موقف سيد – رحمه الله – من توحيد الأسماء والصفات . راجيًا لنا وله ولعموم المسلمين الرحمة في الدنيا والآخرة .. إنه سميع مجيب .

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٢١- ٢٩٢٤ بتصرف يسير .